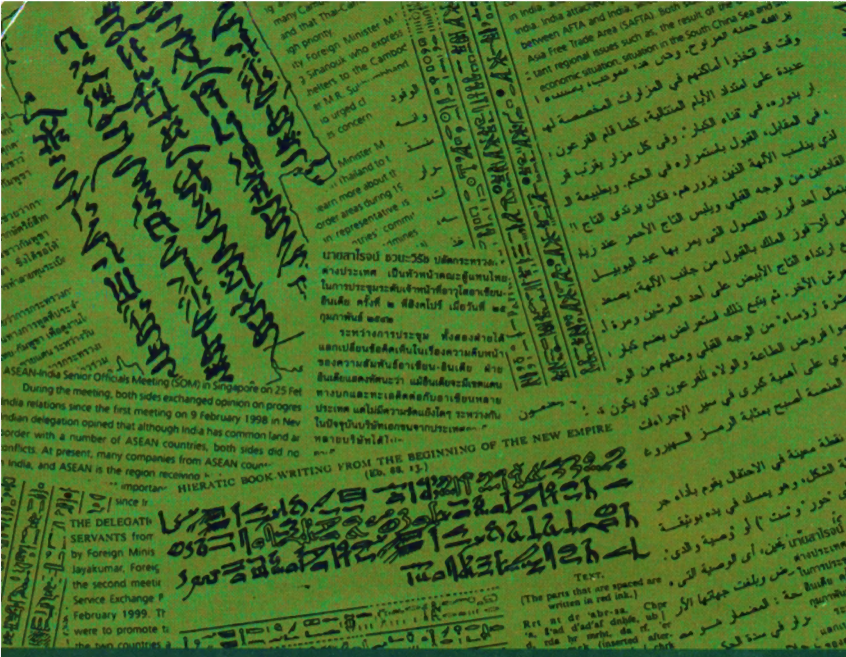

بيومي قنديل

فن الترجمة

فن الترجمة

تصميم الغلاف :
هدية من الفنان حامد العويضى

بيومي قنديل

الترجمة فن

إهداء

إلى..

صديقى اللبنانى القديم

عفيف توفيق فراج

الترجمة فن

Docendo Discitur.
Seneca

بنتعلّم و احنا بنعلّم.

سينيكا(٤ق.م- ٦٥م)

Si tu veux être fort, reconnais ta faiblesse

Arnauld d' andilly (1589-1674)

لو كنت عايز تبقا عَفي، إعترف بضعفك.

أرنو دا نديللي (١٥٨٩- ١٦٧٤)

استفتاح

حفَّزني إلى وضع هذا الكتاب الذي بدأت فكرته كتذييل و حسب لكتاب ترجمته عن اللغة الإنجليزية، انعقاد موقف ينطوي على إصرارين، والأدق إصرار وإصرار

مضاد، من جانب مراجعي الدكتور من ناحية و من جانبي من ناحية أخرى. فلقد أصر سيادته، على سبيل المثال، على "تصحيح" ترجمتي لكلمة "Kingdom" من "مملكة" إلى "دولة". و عندما استوضحت من سيادته أسبابه وراء هذه "الترجمة" الغريبة لم يجد في جعبته سوى أن علماء المصريات الفرنسيين "يجمعون" على الإشارة إلى المؤسسة السياسية الحاكمة في مصر القديمة بصفتها "دولة" état، وأن أساتذة المصريات في جامعات مصر "استقروا" معهم والأولى وراءهم على هذا الإسم. و لكن هذا الإجماع المزعوم ليس له وجود إلاّ في رأس سيادته، وهو الأمر الذي سأقف أمامه بتفصيل أكبر في متن الكتاب الذي بين يدي القاريء الكريم. و عزز الإصرار الأول إصرار رئيس تحرير السلسلة التي لا أستطيع إنكار حظيانها باحترام واسع، على إقرار الدكتور المراجع على "تحسين" مستوى ترجمتي لعنوان الكتاب " "Akhnaten,the heretic king من "أخناتون، ذلك الفرعون المارق" إلى "أخناتون وعقيدة التوحيد". وعندما حاولت استيضاح السبب وراء هذا النوع من التحرير و لا أقول التترجيم، قال سيادته أن السلسلة سبق لها أن نشرت كتاباً باسم "أخناتون". ومضى سيادته إلى القول بأنه لا يستطيع نشر كتاب آخر في نفس السلسلة بنفس الإسم. و خلال النقاش الذي استمر بيننا وقتاً أطول مما ينبغي حدست، دون أن أملك دليلاً حاسماً، بأن المسئول الفاضل يملك أسباباً أخرى لا يريد الإفصاح لي عنها، خصوصاً وأن اسم "أخناتون" الذي يؤكد سعيه إلى تفاديه موجود في العنوان الآخر المحرر مثلما هو موجود في العنوان الذي ترجمته بأمانة علمية، حسبت أنها ستكون محمودة. ولدهشتي، صدق حدسي. فلقد اندفع لسان سيادته في فورة المحاججة، بالسبب الأعمق وراء إصراره الذي وقف أمامي غريباً بافتقاره إلى أي مسوغ:

- إحنا ملزومين بتمجيد "أخناتون"!

و لاندهاشي لم أشأ أن أطرح عليه أي سؤال من الأسئلة التي تستثيرها هذه الحجة. فما دخل المؤلف الكندي الجنسية فيما يلتزم آخرون بتمجيده؟ و ما صلتي كمترجم بهذا التمجيد؟ و كيف نقود مؤلفاً، لا يريد لـ "أخناتون" تمجيداً إلى تمجيده، عن طريق لي عنق العمل الذي وصفه فيه بـ "الفرعون المارق"؟ أين الأمانة العلمية التي ينبغي أن تكون التزاماً أخلاقياً يحمل المترجم مسئوليته أمام نفسه ثم أمام الآخرين؟ من الذي سيكون مسئولاً أمام القاريء الكريم عن هذه الترجمة الموجّهة "oriented"، إذا جاز التعبير، المترجم أو المراجع الدكتور أو رئيس تحرير السلسلة الفاضل؟

حقيقة الأمر أنني وجدت نفسي أمام طريقين لا ثالث لهما: إهدار عمي الذي نشأت على حبه كالعبادة وزيادة في سبيل النشر او سحب ترجمتي. وكان أن اخترت الطريق الثاني، دعني أعترف، بعد تردد طويل، كنت أحاول خلاله درس التنازل عن كل ما أستطيع التنازل عنه، من حقوقي المادية إلى ترك ذلك الدكتور المتخصص في الآثار يضع اسمه، دون أي قدر من الإستحقاق، كمراجع لترجمتي، موطِّناً نفسي على أننا بتنا في مصر نعاني من أشكال بالغة التنوع للبطالة المقنعة،(قد يأتي "المصححون اللغويون" قبل المراجعين في هذا الصدد)، مما لا ترضى به سوى ضمائر "المتعلمين المصريين" دون أمييهم. إلاّ أن كافة محاولاتي باءت بالفشل. لكنني كنت قد رسيت على ضرورة تذييل الترجمة التي قمت بها، بنبذة موجزة عما حدث، وهي النبذة التي تطورت معي إلى هذا الكتاب الذي يجده القارىء الكريم بين يديه.

و لقد قسَّمت الكتاب إلى سبعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: فن صعب أو مستحيل؟

و يتناول الترجمة بصفتها فناً و ليست علماً. ولكن كونها كذلك لا يحُول دون وصفها وصفاً علمياً في سبيل الإرتقاء بأنواتها.

الفصل الثاني: مهمة المترجم.

و يعرض لهذه المهمة التي يرى أنها تتمثل في استئناس تيار جبار لنهر فياض ثم سوقه في اتجاه تيار جبار لنهر فياض جديد. و يقسم هذا الفصل هذه المهمة إلى ثلاثة أضلاع: الموضوع و اللغة المنقول عنها أو اللغة المصدر و اللغة المنقول إليها أو اللغة الهدف.

الفصل الثالث: الترجمة قراءة عميقة.

و يقف هذا الفصل أمام الترجمة بصفتها عملية قراءة، أي عملية مفتوحة النهاية، حيث تقبل كل جملة و كل سطر عدداً من الترجمات يصل إلى عدد المترجمين المحتملين الذي ينهضون بمحاولة نقلها من لغة للغة أخرى.

الفصل الرابع: معوقات الترجمة.

يبسط هذا الفصل أمام القاريء الكريم ثلاثة معوقات أساسية في عملية الترجيم هي:

التفاصح: الذي يزرع شلالاً في وجه تيار المعنى.

الإلتصاق: الذي يشبه رمي جندل في وجه ذلك التيار.

التعويم: الذي يوازي إلقاء خور يحُول دون وصول المعنى كاملاً إلى القاريء الكريم.

الفصل الخامس: عملية الترجيم.

و يفرد مساحته لهذه العملية التي تشتمل على صف الكلمات التي تمتد طولياً كي تقف، بصورة نظرية، رأسياً، أي وفق أهميّتها النسبية في السياق، ونبالة بعض الكذب، والشرح الذي تنطوي عليه عملية الترجيم، ودور المترجم في خلق لغته القومية، ودور القاموس و هل هو دور لاحق أو سابق؟

الفصل السادس: ترجمة الشعر.

و ينصب على ترجمة هذا الفن الذي يقف على رأس الفنون القولية إلى لغة طازجة أو خضراء، كما يقول الفرنسيون في تعبيرهم الأثير: La langue Verte

الفصل السابع والأخير: دور المراجع و حدوده.

و يعطي فضاءه لهذه "الوظيفة": المراجعة التي نكاد ننفرد بها نحن المصريين، دون جميع البشر، تماماً مثلما ننفرد بـ"وظيفة" أخرى أشد غرابة، وهي "وظيفة" التصحيح اللغوي.

الفصل الأول

فن صعب أم مستحيل ؟

لا تزال الترجمة فناً من الفنون، و أظن أنها سوف تستمر كذلك لفترة طويلة قادمة. فموضوعها، و هو نقل المعاني بظلالها و إيحاءاتها و مستوياتها المتعددة من لغة إلي أخرى خاضع للذوق الشخصي في مرحلة الإنتاج التي ينهض بها المترجم و الاستقبال التي يقوم بها القارئ. ولم يهتدِ بنو الإنسان بعد إلى منهج موضوعي بحت، مثلما هو الحال مع مختلف العلوم، يؤدي تطبيقه في هذا المجال إلى نتائج حتمية أي واحدة أو موحدة.

لكن ذلك، أي كون الترجمة فناً، لا يحُول بيننا و بين دراستها بطبيعة الحال ومحاولة وصفها وصفاً علمياً، أي خارج نطاق الذوق الشخصي. إلا أن هذه الدراسة لن تكفل لنا، في تصوري، سوى الارتقاء و حسب بأدواتها، و هو الأمر الذي قد يؤدي إلى الارتقاء، بدوره، بعملية الترجمة، والأولى "التترجيم". و لعل نفس الأمر ينطبق بنفس الدرجة أيضاً على دراسة الأوزان (البحور) بالنسبة للشعر أو قواعد المنظور بالنسبة للرسم أو علاقات الكتلة بالفراغ في النحت. فالترجمة عندي نوع من أنواع الخلق والإبداع. وعلي قدر ما يعي المترجم ضرورة الدخول إليها من هذا الباب، يعلو مستوى ترجمته حتى يقترب من الأصل، و أحياناً وإن كانت نادرة، يرتفع مستوى نصه المترجم عن النص الأصلي الذي ترجم عنه.

و لعل أول درس نتعلّمه من أساتذتنا الأجلاء و نعلّمه لتلاميذنا النجباء أن الترجمة مستحيلة، بمعنى استحالة نقل المعني بكافة مستوياته وإيحاءاته و ظلاله، من أي لغة إلي أخرى. و يسوقون لنا في هذا الشأن دليلاً ناصعاً على ذلك بقولهم أن تحية الوداع au revoir الفرنسية تختلف عن Ciao الإيطالية، رغم قرب المسافة بين اللغتين في الفريع اليوناني - الروماني من العائلة الهندو- أوروبية. فالفرنسيون يهزون أيديهم و هم يعطون بطنها لمتلقي الوداع، بينما يعطيه الإيطاليون

ظهرها.

و قد يتوهم البعض منا أن كلمة "حب" تترجم لنا معنى والأولى معاني كلمات مثل: love, liebe, amour, amor etc. . لكن الأصح أن هذه الكلمات الأوروبية لا تشير إلي كتلة من الأحاسيس و حسب مثلما هو الحال مع اللغة العربية، بل إلى أمر يُحس و يُمارس. وهذا هو السر في أن العرب و المتعربين لا يملكون في لغتهم تعابير مثل: make love, liebemachen, faire l'amour,hacer el amor. . وقد نطمئن إلى أن كلمة "أرجل" عندنا تنقل معنى كلمة piernas الأسبانية و لكن الأسبان يخصصون كلمتهم هذه لأرجل الإنسان بينما يملكون كلمة أخرى لأرجل الحيوان هي: patas. ونفس الأمر ينطبق على كلمة "أصابع" التي نتخيل أنها توازي كلمة: fingers في اللغة الإنجليزية. و لكن هذه اللغة تملك كلمة أخرى لأصابع القدم هي: toes فيما تتسع الكلمة العربية لمعنى الكلمتين.

و يطمئن المترجمون الإنجليز أن لغتهم تملك ما يوازي كلاً من الفعلين: conocer& saber الأسبانيين، وكذلك كلاً من: connaître & sa-voir الفرنساويين، أي يملكان فعل know. ولكن طمأنينة المترجمين الأسبان والفرنسيين أقل من طمأنينة زملائهم الإنجليز، حيث يقفون حائرين أمام كل فعل إنجليزي من هذا النوع يصادفونه وهل ينبغي أن يترجموه إلى هذا الفعل أو ذاك من الفعلين اللذين يملكونهما في لغتيْهم، نظراً لأن أحدهما مخصص لمعرفة الأشخاص والآخر لمعرفة الأشياء وما أشبه.

و لكن المترجمين الإنجليز يجدون أنفسهم و قد وقفوا حائرين، أي نفس موقف الفرنساويين والأسبان، أمام كلمة: die Uhr الألمانية، عند محاولتهم ترجمتها إلى الإنجليزية، حيث يملكون في لغتهم هذه كلمتين مقابلتين هما: Watch & Clock ، أما نحن فنملك كلمة واحدة هي: "ساعة" نظير ثلاث كلمات في لغات أجنبية عديدة هي الكلمتان الإنجليزيتان السابقتان + Die Stunde & The hour & I'heure & La hora

و نحن نعرف في الإنجليزية تعبير: put to death ولكننا نقرأ في جريدة الـ "إندبيندنت" ٤ نوفمبر ٢٠٠٠ نص ما كتبه "أرنولد أموري" في الرسالة التي أرسلها لسيده البابا "إنوسينت" ـ البريء ـ الثالث:

"Nearly 20,000 of the citizens were put to the sword, regardless of age and sex. The workings of divine vengeance have been wondrous"

وذلك في إشارة إلى الجريمة المقدسة التي ارتكبتها الشعبة الثانية من الديانة الإبراهيمية ضد قرية "بيزييه" Béziers في جنوب فرنسا. و هنا لا نملك سوى الإقرار بمرونة التعبير الإنجليزي وقدرته على التحول من الدلالة على الإعدام بشكل عمومي إلى الإعدام بالسيف، و هو الفعل الذي نزل بأبناء القرية بأسرها، خلال عصور الظلام، عقاباً على «هرطقتهم» ، والأدق "هرطقة" بعضهم.

و لكن هناك كثيرين ممن يقولون باستحالة الترجمة. ويؤسسون مقولتهم على أن الكلمة ما هي إلاّ مجاز أو صورة مستعارة للمسمى في إطار الثقافة الخاصة. وبناء عليه فالإرتباطات تختلف من لغة لأخرى وفقاً للمجال المغناطيسي في الثقافة القومية لكل كلمة أو تعبير. و تتمثل مهمة المترجم في السعي إلى تكييف إستعارة جديدة لحمل الإستعارة الأولى في النص الأصلي، وهذه مهمة مستحيلة، حيث يتعذر أن تتوفر الإستعارة الجديدة التي تستطيع حمل كافة مستويات وإيحاءات و ظلال الإستعارة الأولى.

و إذا توقف الأمر عند هذا المستوى القني من "الاستحالة"، لهان. غير أنه يمتد من هذا المستوى إلى مستوى آخر فلسفي يؤسس استحالة الترجمة على "نفي إمكانية عبور الحدود التي تفصل الشعوب التي تنتمي لأعراق أو ثقافات مختلفة".(١)

ولكن هذا قول يخذله العلم الذي يقول بوحدة النوع البشري، خلال أكثر من نسق، وأكثر من منهج. فالبيولوجيا يؤسس، كعلم، هذه الوحدة على أساس "قابلية التخصيب - الداخلي" Inter-fertility، وهذه قابلية جامعة مانعة، أي أن كافة الإناث من هذا النوع قابلة للحمل من كافة ذكور هذا النوع وحده دون سواه، بصرف النظر عن أي اختلافات عرقية أو لونية الخ بين هؤلاء الإناث و أولئك الذكور. ويقول الاجتماعيات (علم السوسيولوجيا) بأن المجتمع البشري المتقدم يطرح الصورة التي سيكون عليها المجتمع البشري المتخلّف، على وجه الترجيح عندما يغادر هذا تخلفه ذاك. و لقد مضي بنا اللغويات أشواطاً طويلة في اكتشاف الكونيات Universals التي تنفرد بها لغات البشر، دون أي لغات لأي أنواع أخرى، تشاركنا العيش على سطح و قرب سطح الكرة الأرضية، مثل القول الذي يقول به التشومسكيون بوحدة

البنيات العميقة Deep Structures في مختلف اللغات، و القول الذي يذهب معه النفس ـ لغويون إلى أن الأطفال الأسوياء للنوع البشري "يكتسبون" لغتهم القومية، أي لغتهم الأم في فترات زمنية متساوية إلى هذا الحد أو ذاك، يقدرها العلماء بنحو خمس سنوات. أما الفن فإنه يؤكد هذه الوحدة في كافة اللحظات التي يتلقى فيها بنو الإنسان أعمالاً فنية، جديرة بهذا الاسم، أي أن الفن يعيد باستمرار تأسيس الوحدة التي تتمثل في إستعدادهم لاستقباله والتأثر به إلي الحد الذي يصل بهم معه إلى مدارج النشوة الروحية.

و قد يهمل المترجمون حقيقة أن عملهم ينصب في نطاق هامش الاختلاف بين اللغات البشرية، وهو هامش ضيق ومحدود، إذا ما قيس بمتن الاتفاق بين هذه اللغات التي تعكس ثقافات قومية، متعددة ومتنوعة و متباعدة، ولكنها في نفس الوقت موحِّدة. وقد يفاجأ المترجمون، في ظل تعظيمهم للفجوة التي تفصل اللغة التي ينقلون عنها و اللغة التي ينقلون إليها، بتعابير تكاد أن تكون واحدة بين لغتين بعيدتين، الواحدة عن الأخرى، مكانياً و زمانياً، بل وعوائلياً. و هنا يميلون إلى افتراض أن تكون إحداهما قد نقلت عن الأخرى، في ظل نظرية الانتشارDiffusion، دون أن يقروا بأن إمكانية "النقل"، في حد ذاتها، و بفرض حدوثها، لا تعني سوى وحدة البنى العقلية عند بني الإنسان. و لسوف أضرب مثلاً واحداً من أمثلة عديدة في هذا الصدد:

أعرني أذنيك.

إدى ني ودنك.

Lend me your ears.

Me pretez vous oreilles.

Geben Sie mir ihre Ohren

ولكن الأمر ليس أمر نقل المعاني و حسب. فلقد ترجم "دونالد فريم" هذه السطور للشاعر الفرنسي المعروف "فيرلين" :Verlaine

Les sanglots longs

Des violons

De L'autonne

Blessent mon coeur

D'une langueur

Monotone.

على هذا النحو

The long sobs

Of the violins

Of autumn

Wound my heart

With a monotonous

Languor.

و لكنه لم يكن سعيداً على وجه الإطلاق لنقله "المعنى" كاملاً على هذا النحو. وتساءل عن الأصوات الأنفية الهامسة، و السائليات و المقاطع الطويلة الشجية و الحروف الصامتة التي سقطت، وما كان لها ألاّ تسقط، خلال الترجمة من/إلى. وقدّر أن ما سقط يصل إلى ثمانين في المئة من جمال و روعة الأصل الفرنسي.(٢)

و لكن هل نملك أن نقول، تأسيساً على هذه المقولة الأوّلية التي تذهب إلى

استحالة الترجمة "الكاملة"، بإمكانية الاستغناء عنها؟

حقيقة الأمر أن هذه الاستحالة تُقابل بضرورة لا مفر منها. فالترجمة أصبحت و تصبح كل يوم إحدى الضرورات التي تمكّننا، من العيش في العصر الذي يمر غير عابئ بأحد، وهو الأمر الذي يوجب علينا ركوب الصعب مهما أوغل في صعوبته، أي محاولة اعتصار الممكن من المستحيل.

إلاّ أن هذه الضرورة لم يكن لها أن تقف على قدمين، ولا أن يمتد الخيال إليها أصلاً، لولا الإيمان العميق الذي رسّخه العلم، في أكثر من نسق، وبأكثر من منهج، كما سبق لي القول، بأن البشرية واحدة، أمها الكبرى: الأرض، مشتركة بين سائر أبنائها. وإذا استثنينا الثقافة السامية في شيخوختها، وفي شيخوختها وحسب، فإننا نجد أن كافة ثقافات بني الإنسان، بما فيها ثقافة الساميين أنفسهم، قد عرفت و عبدت إلهة أم، توازي "إيزيس" المصرية. وأكدت أساطيرها جميعاً الحقيقة الساطعة بأن المرأة هي التي ولدت الرجل لا العكس. و التجربة الإنسانية، على سطح هذه الأرض و على مقربة منه، موحّدة. وسائر الثقافات، بما فيها تلك التي تفصلها آماد وأبعاد واسعة، وفي قلبها اللغات المختلفة، تكشف عن عموميات أعمق، بما لا يقاس من خصوصياتها التي لا تستحق، رغم ذلك، و سواء لهذا السبب أو لأي أسباب أخرى، أن يقلل أحد من شأنها. و بالتالي لا تنهض إمكانية الترجمة من أي لغة إلى كل لغة أخري و حسب بل و ضرورة بذل كل جهودٍ ممكنة في هذا الشأن كذلك.

وهذه هي الجهود التي لم يبخل بها الرعيل الأول من المترجمين المصريين بل و بذل في سبيلها قصارى ما يملك. و لا أغالي إذا قلت: كم كان سواد الليل في مصر ليكون أشد حُلكة لو لم يفتح لنا أستاذنا "رفاعة رافع الطهطاوي"، مع أزهريته أي "كعب أخيل" له، أول طاقة لنا على تراث الفرنسيين و شرائعهم و تقاليدهم. و لا أتجاوز الحقيقة إذا قررت أن ترجمات ذلك الرعيل هي التي حرثت لي عقلي، بصفة شخصية، في صباي، أي عرضته للشمس التي لا ينكر سوى قليلين، و لأسباب عاطفية في الغالب، أنها أصبحت تُشرق من الغرب بالمعني الثقافي للكلمة، بطبيعة الحال. وليس معني ذلك على وجه الإطلاق، أن كل ما يبدو لنا في الأفق الغربي شموس، فالأصولية، بمعنى نفي الآخر، على سبيل المثال لا الحصر، مولودة في ذلك الأفق دون سواه!

و لعلني أنتهز هذه الفرصة كي أحني رأسي إجلالاً لأصحاب الترجمات التي

ساهمت في صنع عقل مستقل لي. وأستسمح القارئ في اعتمادي علي ذاكرتي وحدها، التي لم أعد أملك سواها في هذه النقطة، في استرجاع بعض أهم الأعمال التي أبحرت معها إلى شطوط الشمس العالية في سنوات التكوين الأولي:

الأخـــــلاق	أحمد لطفي السيد
نظام الأثينيـــين	طه حســين
آلام بـــــوذا	علي أدهـــم
طريق التوابـــل	محمد عوض محمد
نشأة الحضـــارة	محمد بـــدران
النظـــرة العلمية	عثمان نـــويه
الكوميديـــا الإلهية	حســـن عثمان
الوســـائل و الغايات	محمـــود محمود
تاريخ الفلسفة الغـربية	فتـــحي الشنيطي
التاريـخ العربي القديم	فـؤاد حسنين علي
الإنسان في العصر الحديث	ترجمة أو مراجعة عبد الحليم منتصر
ديـــانة مصر القديمة	عبد المنعـم أبو بكر
فجـــــر الضمير	سليـــم حسن
الجريمـــة و العقاب	محمـد القصاص
أمسيات قـرب قرية ديكانكا	ابراهيم زكي خورشيد
أرض البشـــــر	مصطفى فـــودة
أعمـــال ديستيوفيسكي	ســـامي الدروبي

و لا أنسى في هذا المجال أن أشير إلي أن ذلك الرعيل الأول كان أكثر إيماناً بذاته أي بقوميته المصرية، حسب رؤيته الخاصة لها. و بالتالي أكثر إعزازاً لـ / و إعتزازاً بخصوصيته كمصري. أكان لقربه زمنياً و روحياً من ثورة برمهات١٩١٩ ، تلك التي فـجّـرها المصـريون - المصـريون أي الأمـيـون كي يقـودها، والأولى كي يجهضها، أنصاف المصريين، وأقصد هنا متعلميهم، صلة بذلك؟ لا أقطع برأي في الأمر. و لكن ذلك الرعيل ترجم في ظل استشعاره للعزة، عوضاً عن الدونية القومية، بقوة و شموخ، فجاءت ترجمته خلقاً و إبداعاً ارتقى في حالة واحدة على الأقل، عن النص الأصلي نفسه. فلقد نقل عن اللاتينية و دع عنك الآن المقابل الإنجليزي والفرنسي - عبارة: divide et impera إلى "فرق تسد" فكانت أبلغ في تصوري من العبارة اللاتينية، إذا كان لنا أن نتفق على أن البلاغة تضييق للفظ كي يتّسع المعنى و يتكثّف و يتعدد. فالمعنى الذي حملته إلينا كلمتان اثنتان، هما فعلان، فعل شرط و جوابه، مع حذف أداة الشرط أوسع وأكثف وأشمل من النص اللاتيني الذي يتكون من ثلاث كلمات، إحداها ما يوازي "واو" العطف في اللغة العربية. فبدا المعني فاتراً ضيقاً و أملس، بينما نجح النص المترجم، بعد حذف كلمة etالتي تعني "و"، في عقد علاقة طردية محكمة بين التفريق و السيادة وغنى عن الذكر أن العبارة المترجمة جاءت إنعكاساً لعبارة «فرق تسود» .

و بناء عليه يستطيع النص المنقول أن يرتقي، أحياناً، عن النص الآخر المنقول عنه. ولعلنا نصادف "اللغة المصري الحديثة"، حسب تسميتي الخاصة، و قد ترجمت باقتدار ساطع هذا التعبير أي Idiom من اللغة العربية: "زاد الطين بلة" إلى:

"زاد المبلُّة طين"

فجاء النص المترجَم (بفتح الجيم) أكفأ في نقل المعنى المراد، بظلاله، عن النص المنقول عنه. و لا أعتقد أن هناك من يستطيع إنكار ذلك، ويظل محتفظاً برجاحة عقله و نزاهة ضميره. فالطين يزيد البلل سوءاً باستمرار أو على الأقل في الغالب الأعم، وهذا هو المعنى المراد، على العكس من "البلل" أي الماء الذي لا يزيد الطين سـوءاً باستمرار. ففي أحيانٍ كثيرة نحتاج إلى إضافة الماء إليه كي "نحسّن" أداءه.

و على نفس النول أو المنوال جاءت ترجمة هذين السطرين:

كان وقع الغناء،

يغفر الذنب في القلب و الأعضاء.

إلى:

El ritmo de los cantos perdonaba

Pecados del corazon y de los miembros.(3)

أكثر شاعرية وأقوى إيحاءاً من الأصل. فالذنوب في صيغة الجمع أوفق، منها في صيغة المفرد، التي وردت في النص المنقول عنه. ونفس القول يصدق كذلك على نسبتها باستخدام حرف الجر de إلى القلب و الأعضاء عوضاً عن تقرير وجودهما فيهما. و لنا أن نتخيَّل شاعرنا المجيد "أبو نواس"، وقد اضطرته تفعيلة: "مفاعلتن" إلى استخدام صيغة المفرد: "ذنب" بدلاً من الجمع: "ذنوب"، مثلما فعلت تفعيلة بحر "المتدارك" مع شاعرنا الحديث، في السطر النواسي الروعة:

تعيبين الذنوب وأي حرٍ من الفتيان ليس له ذنوبُ.

و هكذا فإننا نقف موقف التحفظ أمام قول "جريجوري رباسا" بأن "النص المترجَم لا يمكن بحال من الأحوال، أن يساوي الأصل، ولكنه يستطيع أن يقترب منه وحسب، و لا نستطيع الحكم على كفاءته فيما يتعلق بالدقة إلاّ بمدى اقترابه من ذلك الأصل". (٤) ولعلني أنطلق هنا، أي في تحفُّظي هذا، من مبدأ يقول بأن المترجم المتفاني في عمله ينبغي أن ينشد، باستمرار، الكمال الذي لا يعرف سقفاً، بل وبإمكانه أن يتجاوز كل سقف مظنون، بما في ذلك التفوق على النص الأصلي. و يكتسب هذا المبدأ مشروعيته من إمكانية الفصل بين المعنى و الكلمات التي تحمله على المستوي النظري، تماماً مثلما نستطيع أن نفعل بين الشكل و المضمون - نظرياً- في العمل الفني.

الفصل الثاني
مهمة المترجم

١ـ ١ ثلاثة أضلاع:

أستطيع أن أوجز مهمة المترجم في استئناس تيار جبار لنهر فيَاض أي فهم السياق فهماً عميقاً في لغته الأصلية المنقول عنها، ثم سوقه في اتجاه تيار جبار آخر لنهر فيَاض جديد هو السياق الخاص باللغة المنقول إليها. وتنقسم هذه المهمة، في رأيي إلي ثلاثة أقسام أو ثلاثة أضلاع:

الضلع الأول : اطمئنان المترجم إلى موضع قدميه، أي ضرورة أن يلم على الأقل بأبجديات الموضوع الذي يعتزم اقتحامه. و يتناسب بصورة طردية، على وجه الاحتمال، عمق ذلك الإلمام مع ارتقاء مستوى ترجمته.

الضلع الثاني: استئناس تيار السياق في اللغة الأولى التي ينوي النقل عنها. وهذا الاستئناس لا يتأتى إلا بإتقان المترجم لهذه اللغة المنقول عنها، ليس على المستوى النحوي و الصرفي و الدلالي و حسب. بل و بصفتها حاملة و محمّلة بتراث شعبها و روحه.

الضلع الثالث : سوق اتجاه التيار في الاتجاه الآخر الجديد والأولى "سحب" المعني بخفة يد السحّار و يقظة ذهنه من سياق لغوي إلى سياق لغوي آخر، أي اللغة المنقول إليها.

و فيما يتعلق بالضلع الأول يغامر المترجم مغامرة غير محسوبة النتائج إذا "اقتحم" مجالاً لا يحبه أي لا يفهمه. والحب - عندي - درجة عالية من الفهم. ولعل هذا هو السبب في الإخفاقات التي يسمِّيها أصحابها "ترجمات" لنصوص علمية يقوم بها نوو ثقافات أدبية أو العكس أي أكاديميون و مشتغلون بالعلم لنصوص أدبية. وإنْ لم يمنع ذلك ظهور إستثناءات، في هذا الصدد، إلا أنها نادرة. و يربط د. "إتش دوجلاس براون" من جامعة سان فرانسيسكو "الأميرية" في مقالٍ له بين اللغة و الثقافة إلى حد محكم، وإن كان في مجال التعليم، على هذا النحو:

"تعلُّم لغة ثانية لا يخرج في غالب الأحيان عن تعلُّم ثقافة ثانية"(٥).

أما الضلع الثاني فيقتضي من المترجم أن يقلّب النص علي كافة جوانبه. وأن "يزن" كل احتمالاته حتى يفهمه حق الفهم أو يقترب من هذا الهدف قدر استطاعته. فالحقيقة أن كل ترجمة ما هي إلا القراءة الأعمق the closest reading للنص في لغته الأصلية كما يقول "جريجوري راباسا"(٦). وإذا قبلنا هذه الحقيقة صار لزاماً علينا أن نقبل بالتالي بإمكانية تعدد القراءات للنص الواحد. ويعود "راباسا" أستاذ اللغات الرومانسية في "كلية كوينز" الأمريكية، الذي ترجم للعديد من كتاب اللغة الأسبانية، بينهم "خوليو كوتازار" و "ماريو فارجاز" و "ميجيل أستورياس" و "جابرييل ماركيز" كي يؤكد لنا على ضرورة ألاّ يولي المترجم نفسه ثقة مطلقة في أي لحظة من اللحظات، إذ ينبغي عليه ألاّ يطمئن أبداً إلى ما قدّمت يداه.

و يأتي الضلع الثالث الذي يتيح للمترجم أن يستخدم صيغة المفرد مطرح الجمع أو العكس.

مثال (١):

"حكم المرأة" أو "حكم النساء" في مقابل Gynecocracy

مثال (٢):

Los secretos ni oirlos ni decirlos

إذ يستطيع المترجم أن ينقل هذا المثل الأسباني خلال صيغة المفرد، بدلاً من الجمع في لغته الأصلية إلى المصري الحديثة:

السر لا تقوله ولا تسمعه.

كما يستطيع المترجم أن ينقل كلمة الجوع إلي العطش كما فعل "نجيب ميخائيل إبراهيم"، مع هذه العبارة:

A race of men hungry for knowledge than any people that had till then inhabited the earth .

إذْ ترجمها ترجمة موفَّقة إلى:

"جنس من الناس أكثر تعطشاً للمعرفة من أي شعب آخر عاش "فوق" (و الأوْلى على حـ.ق.) الأرض."(٧)

و أن ينقل صيغة النفي إلى الإثبات، مثال: "إستر أخاك"، التي تصح ترجمتها إلى:

Don't expose your brother .

و أن ينقل، بالمقابل، صيغة الإثبات إلى النفي، مثال:

We will remember Mother Teresa .

إذ أن هذه الجملة تقبل الترجمة، بكفاءة، إلى:

لن ننسى الأم تيريزا.

و يترجم "إسماعيل مظهر" بامتيازٍ كبير "تعبير":

A fly on the wheel.

إلى: صفر على الشمال (٨)

و في وسعنا أن نترجم، ولا نستطيع إلاّ أن نترجم عبارة:

A hearing session.

إلى: جلسة نظر(الدعوى)، وليس: جلسة سماع(الدعوى).

و في طوعنا أن نهمل، عن وعي حاذق، البنية النحوية للجملة في اللغة المنقول عنها كي نترجم هذه الجملة الذائعة الصيت من:

Negro es bello

إلى: للأسود جماله.

وذلك عوضاً عن الترجمة الفاترة التي تلتزم و الأولى تحاول الإلتزام ببنية الجملة الأسبانية على هذا النحو: الأسود جميل.

و لعل المترجمين الفرنسيين يقدمون، دون تردد، على مثل هذا الإهمال الواعي بل و الحاذق فيترجمون هذه العبارة:

Even if you've been trained as a pilot."

إلى:

M?me si vous avez ?t? entra?n? au pilotage."

و يترجمون هذا التعبيرالإنجليزي:

To fit well (to suit)

إلى:

Bien aller

و في هذا الصدد ينبغي علينا أن نتوقف طويلاً طويلاً أمام إحجام المستشرقين عن نقل كلمة "علماء" في التراث العربي ـ السامي إلى scientists و إصرارهم على رسمها و حسب بالحروف اللاتينية على هذا النحو: Ulama في إدراكهم للفرق بين علم هذا التراث والعلم في تراثهم. و لكنني لا أدري كيف سيتصرف هؤلاء المستشرقون مع ألقاب "دكاترة" التي أصبح يحملها هؤلاء "العلماء" اليوم، عوضاً عن شهادات "العالمية".

و لقد ترجم د. محمود مكي السطر الرابع من قصيدة الشاعر الأسباني "خوليو مارتينيز ميزانزا" Julio Martinez Mezanza، "أحلام المحارب" Los sueños del guerrero ـ وأرجو ألاّ يلومني أحد لاستبدالي الفونيم الأجنبي "الثاء" بفونيم قومي، أي قومي مصري، في اسم الشاعر ـ ذلك السطر الذي يقول:

sin preguntar porqué tiemble mi boca

إلى:

"بغير أن تسأليني لماذا ترتجف شفتاي."(٩)

أي ترجم سيادته باقتدار ساطع كلمة " boca التي تعني "فم" إلى "شفتاي".

كما ترجم "كوون" اسم الحزب الوطني الأول (حزب أحمد عرابي) إلى:Party of the Fatherland(10)، وليس إلى:.The National party

و لا يفوتنا أن نذكر في هذا الصدد أن الفرنسيين، على سبيل المثال، يترجمون عبارة "ما في ش فايدة" عن المصري الحديثة إلى: Rien à faire ضاربين عرض الحائط و طوله معاً، بكلمة "فايدة" في سبيل اقتناص المعنى المراد.

ويترجم الإنجليز عن اللغة الفرنسية : un bon baiser إلى a hearty kissو يستطيع اللبنانيون الذين يعرفون في بلادهم جبالاً يغطي الجليد قممها عدة شهور في السنة، أن يترجموها إلى "قبلة حارة"، بينما نستطيع نحن المصريين، و معنا أشقاؤنا ـ أشقاؤنا السودانيون أن نكتفي بترجمتها إلى العربية ـ المصرية بـ"قبلة دافئة" و هكذا نجد كلمة: hearty = bon = دافئة = حارة. و إذا ترجم أحدهم عبارة: blind orchestra إلى جوق أعمي، جاز لنا أن نرى فيها ترجمة ركيكة، وإن لم تكن خاطئة تماماً، و هنا نقترح ترجمة أوفق، لا تلتزم بالبنية النحوية ـ الصرفية للعبارة الإنجليزية، مثل: جوق من العميان. فاللغة المنقول عنها لا ينبغي أن يحفل بها المترجم إلا بالقدر الذي يستطيع أن يعتصره أو يسحبه أو يختلسه منها من معانٍ أو إيحاءات أو ظلال و حسب. فتلك اللغة لا ينبغي أن تشكّل للمترجم، بنحوها و صرفها و دلالاتها القاموسية أكثر من منصة يقفز منها في اتجاه المعنى المراد بمستوياته المتعددة.

ولقد ترجمت "إلزي إيشينجر" هذا العنوان: Spiegelgeschichte الذي يعني حرفياً: Mirror story أي "قصة مرآة" إلى Story in reverse أي "قصة معكوسة" أو "صورة بالعكس"، باعتبار أن المرآة تعكس الصورة التي تقف أمامها. و في نفس القصة ترجمت Wenn einer. إلى If someone. أي ترجمت "عندما" إلى "إذا".(١١)

و لقد ترجم "والاس فولي" عبارة sur-le-champ، التي وردت في قصة "فولتير" المعنونة" Microomegas ليس إلى: on the spot، ولكن

إلى:(12). immediately كما ترجم أيضاً عبارة:une belle théorie
إلى: an important theory في قصة هونريه دي بلزاك المعنونة " قداس الملحد La messe de L'Athée" (13).

و نستطيع أن نترجم بدرجة معقولة من الدقة و السلاسة عبارة:
He narrowly escaped an attempt on his life.

على النحو التالي:

نجا من الموت بأعجوبة.

و كذلك الأمر عندما نصادف عبارة:
He was fighting for his life.

إذ نستطيع أن نترجمها إلى:

كان يصارع الموت.

و نفس الأمر يسير أيضاً على عبارة:
Their willingness to risk death was so-and -so.

تلك التي تقبل الترجمة إلى: كان استعدادهم للمخاطرة بحياتهم كيت وكيت.

١ـ ٢ حدود الابتعاد عن النص الأصلي:

و لكن الابتعاد عن النص الأصلي ليس مرغوباً في حد ذاته، وليس من الضروري أن نبتعد باستمرار عن النص كي نقترب من المعني، أو ننقله بظلاله إلى القارئ: فعندما ابتعد "سهيل إدريس" عن النص الفرنسي، طلباً للتفاصح على وجه الترجيح، و الأولى وقوعاً في أسره،"كان قد ألقى شلالاً، على حد تعبيري الخاص أمام المعنى، فلم يصل منه إلى القارئ إلاّ أقله، في ترجمته لهذه العبارة:
Loin des yeux, loin du coeur.

إلى: "الغائبون يُنسون سريعاً."(١٤)

و كنت أتصوّر أن يلتزم صاحب القاموس الأكثر دقة بين نظائره المعروفة لنا، بنصيّة الأصل الفرنسي، وينقلها إلى:

"البعيد عن العين، بعيد عن القلب".

ولو أن الأمر كان لينطوي، من جانبه، على مغامرة جسورة: اللجوء إلى تعبير "Idiom" من لغة "العوام" من أمثالنا.

و عندما أعاد مترجم شامي الترتيب الرأسي للكلمات وفق أهميّتها النسبيّة في الجملة، وهذه الخطوة ضرورية لكل مترجم لا يريد أن يكتفي بـ "ماذا" يعني النص بل و أيضاً "كيف" تأتّى له أن يعني ما يعنيه، وترجم المادة رقم ٣١٢ من شريعة "نابليون" التي تقول:

"L' enfant conçu pendant le mariage a pour père le mari"

إلى: "الزوج هو والد الولد الذي تحبل به أمه أثناء الزواج"(١٥)

كان قد نقل معاني الألفاظ نقلاً قاموسياً صحيحاً، لكنه لم يوصل المعنى الكلي بكل ظلاله للمادة القانونية إلى القارئ، و بعبارة أخرى "بطّط" المعنى أي حوّل الوجوب الذي تفرضه المادة، دفاعاً عن شكل الأسرة الفردية، سواء أكان محرّرها مقتنعاً بأبوّة الزوج للطفل أم لا، إلى تقرير حالة مسلّم بها من جانب الجميع! و كان الأجدر به ألاّ يبتعد، هذه المرة، عن الترتيب الرأسي لكلمات النص، و يترجمه مثلاً إلى:

"كل طفل تحمل به الزوجة أثناء الزواج يعد الزوج أباه"

و يستطيع المترجم أن يستبدل ما يوضّح المعنى المراد، مثلما هو الحال في ترجمة العبارة اللاتينية et tu Brute التي ترجمها مترجمون إلى: "حتى أنت يا بروتس". و إن كنت أشعر أن العبارة المترجمة قد تحمل، بعض السخرية من "بروتس"، إذا ما وضعناها بين قوسين، أي إذا جهل القارئ أو السامع السياق الذي قالها فيه حاكم لم يكن ينتظر أن يرى صديقه هو الآخر، بين الذين قدموا لاغتياله. و هذا أمر وارد. فليس من الرأي الصائب، في ظني، أن أعلق فهم القارئ أو السامع، لهذه العبارة التي ذهبت مثلاً على قراءته لنص مسرحي وردت فيه. و لو

أتيحت لي حرّية ترجمتها لما ترددت طويلاً قبل نقلها إلى "المصري الفصيح" و الأولى الأفصح، على هذا النحو:

"و انت كمان يا "بروتس"!

مضيفاً كلمة "كمان". أما إضافة كلمة "أيضاً" القاموسية في ترجمة أخرى إلى "العربي" هكذا:

- وأنت أيضاً يا "بروتس"!

فأضعف من أن تحمل المعنى بكل ظلاله، ولعل هذا هو السبب وراء تفضيل الترجمة العربية المشهورة، لكلمة "حتى". وكذلك الأمر مع الالتزام الزائد عن الحد أو الالتصاق بالنص الأصلي على هذا النحو:

- و انت يا "بروتس"!

ولكن ليس معنى هذا أن كل إضافة يمكن أن تكون محمودة أو موفّقة. فالإضافة التي أضافها نفس المترجم الشامي السابق ذكره، ولو أنها لم تكن أكثر من أداة التعريف "الـ" كانت زائدة ومزادة دون حاجة إليها:

"لم تكن مع الزوج الذي قتلته في قرابة الدم." (١٦)

بل كانت في الحقيقة جائرة على المعنى، خصوصاً إذا تذكّرنا أن عندنا "قرابات دم" متعددة، وليس قرابة دم واحدة، على نحو ما تفيد "أداة التعريف" التي أضافها المترجم. و كان الأجدر به أن يضيف إضافة أخرى أكثر توفيقاً على هذا النحو:

"لم تكن تربطها بالزوج الذي قتلته قرابة (والأولى رابطة) دم."

ومعنى القول أن الإضافة ينبغي أن تكون أشبه بمادة البارالويد - ب ٧٢ التي يضعها المرممون للآثارعلى الألوان، فهذه تُظهر و حسب اللون الأصلي الذي كان قد بهت دون أن تضيف شيئاً إليه.

و على الجانب الآخر لا ينبغي أن يهتم المترجم للغة المنقول إليها إلا بالقدر الذي تستطيع عنده أن تستوعب وتحمل و توحي بمستويات المعنى المقصود، و بعبارة أوضح لا ينبغي أن يهتم، بخرة، لما دأب جمهور البلاغيين العرب على وصفه في

نشوة مفجعة بالجزالة. فمثل هذه الجزالة يمكن أن تشغل المترجم الجزل عن صميم عمله في توصيل المعنى الدقيق إلى القارئ الكريم. فعندما ترجم إبن عم شامي آخر، في ترجمة أخرى لنفس الكتاب أي "أصل العائلة و الملكية الخاصة و الدولة" عن اللغة الإنجليزية - كما يشف عنه خطؤه - عبارة:

Telemachus cuts his mother short

إلـى:

"قطّع "تليماخوس" أمه إرباً إرباً".

لم يكشف عن نقص معرفته باللغة المنقول عنها (الضلع الثاني) بل وجهله أيضاً بملحمتي "هوميروس" الخالدتين "الإلياذة" - بالدال و ليس بالذال - و "الأوديسا"، أي بالموضوع (الضلع الأول) فالشاب لم يقتل أمه الوفيّة "بنيلوبي"، لكنه أخرسها أي قال لها أو أشار إليها بأن تخرس فخرست. وهذا ليس بالأمر الهيّن إذ يري فيه علماء الإنسانيات أو "الأنثربولوجيا" بدء تراجع حق الأم أمام حق الأب - ويمثّله هنا الإبن - الذي كان آخذا في الصعود، بل و لعل جهل المترجم بهذا الضلع هو الذي زيّن له الانزلاق إلى هذا الخطأ الفادح، دون أن تُجْدِه جزالته تلك أو تفاصحه ذاك فتيلاً.

و إستسلاماً للجزالة التي ظل العرب يعشقونها منذ ظهورهم على مسرح الشرق الأوسط في العصر الوسيط حتى اليوم، ترجم، عن اللغةالفرنسية، "ج . طرابيشي"، مع إقراري بأنه واحد من أفضل المترجمين اللبنانيين، سطرين للشاعر الألماني "جوته"، وردا في كتاب "سيجموند فرويد" المعنون "قلق في الحضارة" Malaise dans la civilisationعلى هذا النحو:

من يملك العلم و الفن،

يملك أيضاً الدين.

فهل يمكن أن يكون صاحب دين،

من كان خالي الوفاض من الاثنين؟(١٧)

و عندما وقعت في يدي ترجمة الكتاب إلى اللغة الانجليزية، و وجدت هذين

السطرين مترجمين، على هذا النحو:

He who possesses science and art, also possesses religion, but he who possesses neither of those two , let him have a religion .

أدركت أن "جوته" ينظر، هنا، إلى الدين بصفته مستوى معيناً للفهم و الإدراك، و العلم و الفن معاً، بصفتهما مستوي آخر، يشمل المستوى الأول. و في رأيه أن الذي يحوز المستوي الآخر يحوز الأول، و لكن إذا افتقر أحدهم إلى هذا المستوي الآخر: العلم و الفن، فلا مفر من أن ندعه يعيش على المستوى الأول. و المترجم الذي يعجز عن رصد هذين المستويين، مثلما فعل "طرابيشي"، لن يتمكن، مهما أوغل في البلاغة و الجزالة، من قنص المعنى البالغ الدقـة العالي الرهافة (بتعريفين هما الأداة و الإضـافة)، و إن كان بالغ الوضوح، في اللغة الإنجليزية على الأقـل. و لدقته و رهافته و وضوحه لا أتردد لحظة في ترجمته إلى اللغة المصري الحديثة، إمعاناً مني في السباحة بعيداً عن جزالة العرب، على هذا النحو:

اللي يمتلك علم و فن، يبقا، أكيد، ممتلك دين.

لاكن اللي ما يحتكم ش لا علا علم و لا فن،

سيبه يتقوّت بقا علا دين.

و واضح في هذه الترجمة أننا خسرنا الجزالة التي تنطوي عليها عبارة "خالي الوفاض"، و لكننا كسبنا، على ما أظن، ما يعوضنا عنها. و قد يعترض معترض على لجوء ترجمتي إلى "البلورة": Elaboration عوضاً عن "التكثيف": Condensation. غير أن ذلك أفاد في نقل المعنى، هنا، بطبيعته الخاصة، هذه الطبيعة التي تمكّن المرء من فصله، بسهولة نسبية، عن الكلمات التي تحمله.

و في هذا الصدد يجدر بنا أن نقف أمام فقرة نأخذها، عفو الخاطر من الترجمة التي وصفها أستاذنا "طه حسين" في المقدمة التي وضعها لها بقوله:

"و قد وُفّق المترجم إلى أن يُحسن النقل إحساناً، لا زيادة فيه لمستزيد، وكأنه سبق المترجم الأمريكي إلى نفس الكاتب الفنلندي، فعبر عما فيها تعبيراً صادقاً دقيقاً، في لغة جمعت إلى الجزالة و الرصانة، عذوبة و رقة و يُسراً."

وأبدأ، كما هي عادتي، بإثبات النص الأجنبي الذي نقله مهندس نابه هو "حامد القصبي". والنص المنقول عبارة عن الفقرة الأولى من رواية "دنيا المصري" The Egyptian للكاتب الفنلندي "ميكا فالتاري":

I,Sinuhi, the son of Senmut and of his wife Kipa, write this. I do not write it to the glory of the gods in the land of Kem,for I am weary of gods,nor to the glory of the Pharaohs,for I am weary of their deeds. I write neither from fear nor from any hope of the future but for myself alone.During my life I have seen, known, and lost too much to be the prey of vain dread,and,as for the hope of immortality, I am as weary of that as I am of gods and kings. For my own sake only I write this, and herein I differ from all writers, past and to come.p.3

أكتب هذا أنا "سنوحي" ابن "سنموت" و زوجته "كيفا"، ولست أريد به تمجيداً لآلهة أرض "كيم" أو إشادة بأمجاد الفراعنة، فلقد أجدبت في نفسي هذه المعاني، فسئمت الآلهة وضقت ذرعاً بأفاعيل الفراعنة.

و لا أكتبه عن خشية من حاضر، أو بأمل في مستقبل، فلقد عشت ما عشت من حياتي، ورأيت و عرفت وفقدت الكثير، و راح كل هذا فريسة باطل طاغٍ مزعج."

و مثل هذه الترجمة تقبل عديداً من الملاحيظ ، بعضها إيجابي غاية في الإيجابية، والآخر سلبي، غير أن نقطة الضعف الرئيسية فيها هي الجزالة التي نالت، وما كان لها ألاّ تنول، امتداح "عميد الأدب العربي". لكنها يسّرت للمترجم، مع ذلك، أن يتخيل واهماً أن " Sinuhi " ينبغي نقلها إلى "سنوحي"، دون أن يلم بقدر بسيط من لغته المصرية القديمة يمكّنه من معرفة أن هذا الإسم يعني "إبن الجميزة" أي "سا ـ ان ـ نوهيت"، وبالتالي فإن رسم الإسم بـ "الهاء" أصح من "الحاء"، و صحيح أن هذا الحرف الأخير مجهول في اللغات الأوروبية، إلاّ أن التصرف الميكانيكي على أساس أن كل "هاء" نقابلها في تلك اللغات توازي "حاء" نا هو أمر لا يصيب كبد الحقيقة باستمرار. لكن العقدة الأساسية في النص المنقول تتمثل العبارة الأخيرة، حيث تكشف أن المترجم الفاضل لم يهتدي (أو يهتد لمن يرغب) إلى معنى التعبير الإنجليزي:= too+adj..infinitive with to أي أن النقص هنا انصب

على الضلع الثاني لعملية التترجيم: اللغة المنقول عنها، وهو الأمر الذي حاول سيادته أن يغطي عليه بـ "الجزالة" التي وصلت عدواها إلى أرض "إيزيس"، ضمن ما وصل إليها من غرب آسيا. وغني عن الذكر أن الترجمة الأدق للعبارة هي:

"فخلال حياتي رأيت الكثير و عرفت الكثير و فقدت أيضاً الكثير، إلى حد صار يحول بيني و بين الوقوع في أسر الخوف الذي يذهب دائماً سدى".

ونفس الأمر ينطبق أيضاً على ترجمة أحد أبناء العمومة الشوام، عنوان رواية قصيرة للروائي الروعة "ماركيز":

El colonel no tiene quien escibelo

إلى: "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه". فلقد مكّن، بذلك، للتفاصح أن يلقي بشلال قوي في وجه تيار المعنى. و لو ترجم سيادته العنوان على هذا النحو:

"ليس هناك من يكتب للكولونيل"، لكان أقرب للمعنى الأصلي وإن كان أقل تفاصحاً. فالـ "هاء" الأخيرة - الضمير- المفعول - في العنوان الشامي ليست حاسمة أي يكتنفها الإبهام فيمن تعود عليه وهل هو الكولونيل أم صاحبه، أي من الفاعل ومن المفعول هنا؟ أما استخدام حرف الجر "لـ" مع فعل كتب، في ظل تأثر عربية مصر باللغة المصري الحديثة وعلى وجه الخصوص بتحليليتها، في الترجمة الأخرى، فأوضح و أكثر تحديداً، في تعيين الفاعل: "من" و بالتالي المفعول، أي أفصح. وفي سائر الأحوال، ترجم الفرنسيون هذا العنوان ذاته على هذا النحو الأبسط:

Il n'y a pas de lettres pour Le Colonel.

فالعنوان الفرنسي، ليس سوى صدى الجملة الهادئة، المتوحشة في هدوئها، التي تعب البوسطجي من ترديدها كلما حضر إليه الثائر القديم يسأل عما إذا كان الخطاب الذي سيحمل إليه المعاش الذي وعده به، بعد أن ألقى سلاحه، مع رفاقه، قد وصل. ولا يحتاج الأمر إلى كل ذلك "التفاصح" الشامي الذي حجب كل الإيحاءات التي قنصها المترجم الفرنسي، في ترجمة قرأتها لعنوان الرواية القصيرة في مجلة "لو نوفيل أبزرفاتير"، في عدد مفقود مني لسبب يتعلق بزوار الفجر و لا أذكر رقمه. و في سائر الأحوال لم يوصل، أي ذلك "التفاصح" سوى الإبهام.

و لست أملك تفسيراً شافياً لسوء الحظ الذي يسير مع هذا الروائي العظيم كظله، عند ترجمته إلى العربي. فلقد ترجم مترجم شامي آخر، إن لم تخني ذاكرتي، عنوان روايته القصيرة:

"Cronica de una muerte anunciada"

إلى:

"وقائع موت معلن". وصحيح أن كلمة "وقائع" موفقة هنا. إلاّ أن الكلمتين التاليتين ليستا كذلك. ولعل القارئ الحصيف يستشعر قلقاً أمام العبارة حتى و إن عزلها عن كل سياق. و إذا مضى في قراءته للرواية حتى النهاية فإن قلقه سوف يزداد، دون شك. فالأمر يتعلق ليس بميتة طبيعية، بل بجريمة قتل أو قل حادث قتل، كيلا نتطوع بإصدار حكم لم يرد له الكاتب ذكر. أما كلمة "معلن" فركيكة، حيث أنها لا تحسم متى كان الإعلان عن الحادث، وهل بعده، وعندئذ لا يستحق الأمر بخرة اهتمام، أم قبله، وعندئذ يكتسب بُعداً آخر. و بناء عليه تكون الترجمة الأفق هي: "وقائع حادث قتل علني"، خصوصاً و أن كلمة "muerte" لا تعني في الإسبانيولي: "موت" و حسب بل أيضاً "قتل". ويكفي أن نعود، على سبيل المثال، إلى قاموس "أكاديمية ريال": "Real Academia Española" كي نرى أن كلمة "Muerte" تعني: Cesaciøn o término de vida. و معنى القول أن الكلمة تعني توقف أو إنهاء الحياة. و صحيح أن كلمة "موت" قد تعني في اللغة العربية، كما في الإسبانيولي: إنهاء الحياة، إلا أن كلمة "قتل" أكثر حسماً.

و في ترجمة لمترجم شامي آخر، نرى أن سيادته لم يتردد لحظة قبل أن يكتب مترجماً "سفاح القربى"(١٨) بدلاً من "زنا المحارم" أو "كما أن نفيين في قواعد اللغة يعنيان تأكيداً، كذلك يعني بغاء البغاء فضيلة" (١٩)، عوضاً عن: "تقول قواعد النحو: نفي النفي إثبات، كذلك تقضي قواعد الأخلاق: بغاء البغاء فضيلة" كان قد كشف عن افتقار واضح إلى الأضلاع الثلاثة لعملية الترجمة و الأولى التترجيم. و بذلك وقف خارج نطاق مملكتها، لو كان لها، سواء أكانت حرفة أو مهنة أو خلقاً و إبداعاً.

و لقد ترجم مترجم مصري مخضرم، عنوان كتاب المخرج الإنجليزي المعروف "بيتر بروك" The shifting point إلى "النقطة المتحولة"، وقبلت منه هذه الترجمة هيئتان عربيتان "علميتان"، تضمان أكاديميين كُمّل، في الكويت و مصر،

وهو الأمر الذي يعني أن جميع هؤلاء انضموا إلى سيادته في السهو عن الفرق بين ما يسمّى الـ Adjectival present participle و Adjectival past participle أي السهو عن الفرق بين اسم الفاعل و اسم المفعول في العربي، ولولا هذه الغفلة لأدرك أحدهم أن الترجمة الأصح لعنوان الكتاب رهن الحديث هي: "نقطة التحوُّل". حقاً هذه ترجمة سائدة بيننا لتعبير إنجليزي آخر هو: The turning point ولكن ما حيلتنا وليس في "فصحانا" تفريق بين الفعلين الإنجليزيين: shift و turn هنا. و لو حاولنا إعادة ترجمة العنوان العربي الذي اختلقه مترجمنا إلى اللغة الإنجليزية، لما كان بوسعنا، في ظني، أن نترجمه ترجمة صحيحة إلاّ على هذا النحو: "The shifted point"، وهو عنوان لم "يهوِّب" من رأس "بروك".

غير أن هذه ترجمة من نفس نوع الترجمة التي صادفت عنوان رواية الروائي المغربي "محمد شكري" التي كتبها بالفرنساوي: Le pain nu إلى "الخبز الحافي"، وقبلها أكاديميون عديدون، بعضهم متأمرك حتى الذروة أي حتى رفض و الأوْلى الإستئساد في رفض "التغريب" وبعبارة أخرى، في مخاصمة الثقافة "الغربية" المتقدمة و الإنتصار الذي يصل إلى حدود الإنسحاق في نفس الوقت أمام "التمشريق" أي الثقافة المشرقية Levantine culture الأقل تقدماً، مع أن كليهما أجنبيتان عن مصر و وادي النيل. ومعنى هذا القول أن هؤلاء الأكاديميين لا يعرفون، ضمن ما لا يعرفون، الفرق بين صفتيْ "الحافي" و "الحاف"، وهذا هو السبب، الذي يسّر لهم إستساغة أو إستطعام تعبير "الخبز الحافي" في حد ذاته، بصرف النظر عما إذا كان تترجيماً أو تأليفاً. و يبدو أن أذهانهم أصبحت تستبعد لسبب ما وجود بشر في هذا العالم المتعولم، ممن يضطرون إلى أكل "العيش حاف، يعني من غير غموس!"، وهو الأمر الذي يسّر، بدوره، الإنزلاق إلى هذا الخطأ الذي لا يمكن لنزيه أن يدافع عنه. ولا ينبغي أن يحتج أحد هنا بأن "الحافي" أفصح، فكلتا الكلمتين موجودتان في اللغتين، أي فيما يسمى بـ "الفصحى" و ما يسمى بـ"العامية". وفي سائر الأحوال ترجم "بيتر أوين" هذا العنوان نفسه إلى اللغة الإنجليزية على هذا النحو:

For bread alone.(20)

و لم تخذله كفاءته و يترجمه إلى:

The barefoot bread!

ولعل الحكم و الأمثال بالذات أعوص ما ينقله المترجم من لغة لأخرى، نظراً لإلتصاقها الشديد بالثقافة الخاصة بكل أمة من الأمم أي بلغتها. وهي بذلك توازي

الشعر سواء بسواء. فيما تقف الدراسات والبحوث العلمية في أقصي الطرف المقابل من حيث السهولة النسبية، وذلك لإستقلالها الى حد كبيرعن ثقافتها الخاصة التي تحملها لغتها. و لعل هذا الأمر يذكّرنا بالقول المأثور: "ليس للعلم وطن". ونستطيع هنا أن نضيف: "و صلته بلغته القومية غير وطيدة". وفي هذا الصدد يستطيع المترجم، عند ترجمة الحكمة أو المثل، أن يقفز أوسع قفزة ممكنة بعيداً عن النص الأصلي بهدف قنص المعنى المراد. إذ يحق لنا أن نترجم ذلك المثل الإنجليزي:

To carry the coal to Newcastle .

إلى اللغة العربية على النحو التالي:

يبيع التمر في "تدمر"

وإلى اللغة المصري الحديثة إلى:

"يبيع المايه في حارة السقايين"

و واضح لكل من يملك عقلاً مستقلاً أن المثل الذي يجري على لسان المصريين أبلغ من المثلّين اللذيْن يجريان على لسان العرب والإنجليز معاً، حيث يستطيع المثل المصري أن يقف مستقلاً بمعناه على قدميه، فيما يحتاج المثلان، العربي والإنجليزي كلاهما، إلى مذكرة تفسيرية تهدف إلى عبور"انغلاق" الخصوصيتين العربية و الإنجليزية، هنا، إلى "الإنفتاح" على الأفق الإنساني الأرحب، أي المشترك بين مختلف الثقافات. تتعلق المذكرة الأولى بـ "تدمر" الذي يذيع صيتها بالتمر، و "نيو كاسل" التي تشتهر بإنتاج الفحم.

و لعل هذا أي مقاومة "الإلتصاق" هو ما يفعله المترجمون في لغات أخرى عديدة. فالإنجليز ينقلون عن الألمان مثلهم الذي يقول:

Leibe macht erfinderisch

ومعناه الحرفي: يجد الحب (دائماً) مخرجاً.

إلى:

. Love laughs at locksmiths و معناه الحرفي، هو الآخر:
يضحك الحب (دائماً) على صانعي الأقفال.

و الإشارة، هنا، بطبيعة الحال، إلى أقفال أحزمة العفة، التي وقفت العاصمة البريطانية "لندن" كأحد أبرز مراكز تصنيعها في العصور الوسيطة، و شاعت خلال تلك العصور، في الغرب، دون الشرق لسبب لا أعرفه.

ولكن الأمر ليس مقصوراً على الحكم والأمثال. فهناك مناطق عويصة أخرى تصادف المترجم خلال رحلته الطويلة و خصوصاً ما يتعلّق منها بأنواع معينة من الأطعمة مثل: Hot dogs التي ظل سوء الحظ "يستهدفها" لوقت قريب، بترجمتها إلى "كلاب ساخنة"! حتى في عنوان فيلم مشهور. في حين أن التعبير الإنجليزي أو الأمريكي لا يزيد عن جمع عبارة Hot dog، وما هي إلاّ رغيف فينو مستطيل محشو بالسجق أو "المقانق" كما يقول أبناء عمومتنا الشوام.

ونفس الأمر ينطبق على مترجم كتاب "رندل كلارك"، الذي ترجم، رغم كفاءته المشهودة، عبارة:

. and organized the first great nation state.(21)

إلى: " . و أرسى نظام أقدم دولة أممية منظمة . "(٢٢) فالقفزة هنا جانبها التوفيق المنشود، على عكس قفزاته الأخرى العديدة على امتداد الكتاب. و كان من الأوفق، في تصوري، أن يلتزم هذه المرة بالتعبير الإنجليزي الذي يستخدم ما يُعرف باسم Adjectival noun كما هو في الإنجليزي على هذا النحو: أمة - دولة. فكلمة "أممية" تفيد معنى آخر: Internationalist & Internationalism و بذلك تهوِّم العبارة المنقولة إلى العربي بعيداً عن معنى العبارة الإنجليزية التي تتميَّز بعمق الدلالة. فالأمة - تاريخياً - هي الأصل، و الدولة تأتي، وحسب، كنتاج لاحق في المرحلة التي تصل فيها "الأمة" إلى ذروة النضوج.

الفصل الثالث

قراءة عميقة

٣ ـ ١ مملكة الترجمة:

ندخل الآن إلى داخل نطاق الترجمة التي يتربع المترجم على عرشها، إذا اتفقنا على أنها مملكة. وهي في رأيي كذلك بصفتها نشاطاً إنسانياً راقياً يصل في أحيانٍ كثيرة مشارف الخلق و الإبداع، طالما تسلّح المترجم بالنباهة والأمانة، أي بالعقل اليقظ و الضمير الحي. وهذان جناحان لا غنى لأحدهما عن الآخر في التحليق إلى أجواز التقدم والرقي. و بناء عليه، فالمترجم الذي سمح لنفسه أن يقدم على/ و لمراجعه أن يقول:

"ومن المؤسف أن مؤلف الكتاب، على الرغم من مكانته العلمية البارزة، كأحد أعظم الثقاة في تاريخ الحضارة المصرية القديمة، قد انزلق وراء الخيال الجامح أحياناً في دراسته لشخصية "أخناتون". ولكن هذا لا ينفي الجوانب الإيجابية للدراسة، ومن ثم حرصنا(هو والمترجم على وجه الإحتمال) على التزام الأمانة في نقل النص الأجنبي رغم عدم اتفاقنا مع المؤلف في الكثير مما قال، و لم نلجأ للحذف إلاّ في أضيق نطاق، حينما لا يؤثر الحذف على القيمة العلمية للمادة."(٢٣)

ومعنى هذا الحديث المراوغ أن هذا المترجم ارتكب، هو ومراجعه الذي تصدى للإعتراف علناً، جريمة "الحذف" من النص الأصلي وكل حذف يؤثر، دون شك، حتى

و لو كان شولة، على القيمة العلمية للنص الأصلي. وليس من حق الحاذف أن يحكم بأن جريمته لن تؤثر، وإلاّ يكون قد احتل منزلة لا يستحقها، هي منزلة القاضي، بينما مطرح سيادته في قفص الإتهام. وفي نفس الوقت لا تعكس معرفة "الحاذف"، حتى ولو كانت عبر السماع، بضرورة "إلتزام الأمانة عند النقل" سوى محاولة بائسة لتسويغ ازدواج المعايير. وليس في هذا الموقف أي نوع من الحجر على رأي أحد، إذ كان في وسع المترجم أو مراجعه أن "يعبر" عن رأيه، بحرية كاملة، ولكن خارج النص المنقول، أي في هامش أو مقدمة أو تذييل.

أما المترجم الذي تصدي لنقل عمل ملحمي في جلال "الشاهنامة" للشاعر الفارسي العظيم "الفردوسي"، الذي عز على مصر العصور الوسيطة أن تنجب نظيره، إلى اللغة العربية و "اختصر زهاء ثلث الكتاب" على حد إحصاء د. عبد الوهاب عزام، فلقد كشف عن عجز مفجع في النهوض بمهمته، وهو الأمر الذي يحرمه من العبور إلى داخل حدود هذه المملكة التي تاق إلى حمل هويتها. و نستطيع أن نتوقف أمام الأسباب التي سوّغت فيما يرى د. عزام الذي قدّم للترجمة ذلك الإختصار الذي لا أستطيع إلاّ أن أرى فيه "تشويه" ـاً من جانب و "فرض وصاية على القارئ" من جانب آخر. ففي هذه "الأسباب"، في رأيي، قائمة، لا بأس بها لما ينبغي على المترجم الذي يحترم عمله ألاّ يفعله.

يقول د.عزام:

"وذلك أنه (أي "المترجم") أراد أن ينقل إلى قراء العربية حوادث "الشاهنامة" مجملة مجردة من أوصاف الشاعر المسهبة، ومما يتصل بها من تفصيل دقيق:

و فيما يلي بيان تصرف المترجم في الكتاب موجزاً:

(أ) يحذف المترجم بعض الفصول الصغيرة كما حذف فصل تجريب أفريدون وأولاده، ومحاولة ملك اليمن سحْر أبناء أفريدون، وحذف، في قصة منوجهر، قتل رستم الفيل الأبيض، وذهابه إلى الجبل الأبيض، وحذف في قصة كاموس الكاشاني مقاتلة رستم وجنكش. وحذف من قصة اسفنديار و رستم نصح ابنه رستم، وهكذا.

(ب) ويحذف بعض حوادث الفصول، كما حذف ما كان بين رستم و التركمان حينما ذهب لإحضار كيقباد من جبل ألبرز، وحذف بيان أن زوج كيوهي بنت رستم، وأنها ذهبت إلى أبيها حينما سار زوجها إلى توران باحثاً عن كيسرو.

(ج) و يحذف أكثر مقدمات الفصول التي يتكلم فيها الشاعر عن نفسه، أو يعظ و يبين العبر من تقلب الأحداث. كما حذف مقدمة سهراب التي يتكلم فيها الشاعر عن موت الشبان و الحكمة فيه، ومقدمة قصة سياوخس التي يتكلم فيها الشاعر الفردوسي عن الشعر والكلام البليغ.

(د) و حذف مدائح السلطان محمود. و .

(هـ) واختصر الرسائل الطويلة، والخطب، والوصايا، و هذا مطرد في الكتاب.

(و) واختصر كذلك الأوصاف في الحروب، والأسفار، والمآدب، و وصف آلات الحرب أو الخيل، أو الوحوش الخ. فهو يقول بعد وصف النشب الذي قتله كُشتاسب: "فزعم الدقيقي أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم على التفصيل الذي سبقت الإشارة إليه، فلم نطوِّل نحن بإعادته"

(ز) و ينقل عن كتب أخرى كالطبري و حمزة الأصبهاني و المسعودي لبيان رواية غير التي ذكرها الفردوسي أو ذكر حادثة تركها. كما نقل عن الطبري انتساب الملك بهمن إلى بنيامين، و كما روى قصة ملك الحضر في عهد سابور بن أردشير، ونقل عن غير صاحب الكتاب ما كان بين هرمز ابن نرسي و رعيته. ومثل هذا كثير."

و عوضاً عن أن يستثير كل هذا العبث غير المشروع بالنص الأصلي استهجان د. عزام، مضى في مقدمته كي يصف ذلك "المترجم" على هذا النحو:

"و المترجم أمين في هذا كل الأمانة، لا يذكر كلمة واحدة من غير الكتاب إلاّ نبه إلى ذلك."

(و هكذا حمل د. عزام إعتراف ذلك الشخص بهذه الجريمة على أنه "أمانة" لا بجاحة.)

(ح) و يكذِّب (أي سيادة "المترجم") ببعض الأساطير أثناء الترجمة، كما قال في قصة زال و بنت مهراب عن "الفِرْدوسي" قال، والعهدة عليه: "فدلت قرونها و أشارت إلى أن يتعلق بها ويصعد" وكثيراً ما يقول: "فزعم صاحب الكتاب".

(ط) و يغير الكلمات غير المألوفة أو التي لا تلائم الدين كما حذف كلمة "أهرمن" في الكتاب كله، و وضع مكانها كلمة "إبليس" أو "جني". و كذلك حذف بعض ما

وُصف به المسيح مما لا يلائم العقيدة الإسلامية في حرب رام بن برزين و نوشزاد الثائر على أبيه كسرى أنوشروان، وفي سفارة خراد بن برزين في القسطنطينية أثناء كلامه عن المجوسية و المسيحية."(٢٤)

حقيقة الأمر أن هذا "المترجم" افتقر إلى الضلع الأول، أي الموضوع، الذي أشرت إليه في الفصل الثاني إفتقاراً مخيفاً، أما الضلع الثاني: اللغة المنقول عنها فلا أستطيع، لعدم معرفتي بالفارسية، أن أعرض له بخير أو بشر. و لا يحتاج الضلع الثالث: اللغة المنقول إليها: العربية أي تعليق لارتباطه بالضلع الثاني. و بدأ ذلك الإفتقار إلى الضلع الأول بالخلط بين التاريخ والأدب، وبين الواقع والأسطورة. ولست أدري الأسباب التي دفعت مثله إلى التفكير في ترجمة عمل ملحمي من نوع "الإلياذة" و "الإنيادة" و "المهابهاراتا" و "الرامايانا" و"جلجامش" من اللغة الفارسية، طالما لا يرى أي شرعية لحكي الأساطير! وعندما اتكل على ربه وأمسك بالقلم وترجم أضاف إلى جريمة "الحذف" التي لا يختلف كثيرون على فداحتها، ارتكاب "جريمة أخرى" أشد فداحة وهي"الإضافة"، وهو الأمر الذي أفقد "ترجمته" كل جدراة بالتصديق أو كل صدقية. وفرض على المرء أن يقول مرتاح الضمير: قد نستطيع وصف ذلك الرجل بأي صفة، علت أو هبطت، لكننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نصفه بأنه مترجم.

٣ ـ ٢ الترجمة قراءة:

لعله الفيلسوف الألماني المعاصر "هانز جورج جادامر" هو الذي أوضح في مقال له بعنوان "إلى أي حد تحدد اللغة التفكير" أن "القراءة ليست سوى ترجمة. فالعملية التي يقوم بها المترجم تشتمل في جوهرها على كافة الأسرار التي ينطوي عليها الفهم الإنساني لكل من العالم والإتصال الاجتماعي على حد سواء" و يضيف:

"كافة أنواع الاتصال لا تخرج عن كونها عمليات ترجمة. و الترجمة التي ينهض بها المترجم ليست سوى ترجمة للمرة الثانية".(٢٥) وإذا كان الأمر كذلك، جاز لنا أن نتوقع إمكانية تعدد الترجمات، الصحيحة بطبيعة الحال، والأولى، التي تحوز كلها صحة نسبية. وفي هذا الصدد يقول "جريجوري راباسا": Gregory Rabassa

عندي إحساس خاص بأن عملية التترجيم مفتوحة النهاية، بل تستطيع أن

تمضي إلى حدود لانهائية".(٢٦)

و لقد ترجم المترجمون، على سبيل المثال، السطر الأول من قصيدة الشاعر الألماني الشهير "رينر ماريا ريلكه" المعروفة باسم "النمر" الذي يقول:

Sein Blick ist vom Vorübergehen der Stäbe so mud ge-
worden

إلى اللغة الإنجليزية على النحو التالي:

His gaze , from sweeping by the bars , has worn so thin .
John Felstiner

From seeing the bars , his seeing is so exhausted.
Robert Bly

His sight , from glancing back and forth across the bars .
James Dana

His sight from ever gazing through the bars .
C.F. MacIntyre

The bars have sucked his glance so dry of raging .
Ludwig Lewisohn

His vision from the passing of the bars is grown so weary .
M.D. Norton

و يعلق صاحب مقدمة كتاب "حرفة الترجمة"، الذي أنقل عنه هنا على ذلك بقوله: "لقد انتهج كل مترجم من أولئك المترجمين الستة نهجاً مختلفاً نحو تفسير ذلك

السطر الشعـري. و يضيف: "لا يتماثل أي نهج منها من الوجهة اللغوية مع أي نهج آخر."(٢٧)

و معنى القول أن هؤلاء المترجمين بذلوا ست محاولات مختلفة، في قراءة النص الألماني، جديرة بالتأمل و إمعان النظر. غير أنها لم تغلق الباب أمام أي محاولات أخرى لقراءات أخرى للنص. فعملية التترجيم عملية إختيار محض، كالقراءة سواء بسواء. وبهذه الصفة تتعدد إحتمالاتها بشكل لانهائي. و بالتالي فإن كل ترجمة هي إساءة ترجمة، كما يقول التفكيكيون عن القراءة. ويقول الطليان:

Traduttore e traditore

أي المترجم خائن والأولى الترجمة خيانة. والعكس هنا أيضاً صحيح، فكل قراءة ما هي في واقع الأمر إلاّ ترجمة. و المترجم الذي يستحق هذا الإسم لا يستطيع أن يهمل أقل "ذرة أو هبابة"، وبتعبير "راباسا":

The translator cannot ignore "lesser"words, but must consider every jot and tittle. (28)

أي أن المترجم ـ المترجم يتعيّن عليه ألاّ يهمل أي "كلمة" أو أي "مورفيم" أو حتى أي علامة من علامات الترقيم. كما أن مثل هذا المترجم لا ينبغي أن يقر بوجود أي درجة من درجات الترادف، سواء في لغته التي ينقل إليها أو اللغة التي ينقل عنها. إذ ينبغي أن يكون لكل كلمة، عند المترجم ـ المترجم، وزنها النوعي الخاص.

و لقد استخدمت "مارجريت سيرز بيدين"، أستاذ اللغة الأسبانية في قسم اللغات الرومانسية بجامعة "ميسوري" بالولايات المتحدة عبارة: "قراءة القصيدة رقم ١٤٥ لـ "سور خوانا إينيز دي لا كروز: تنويعات على سونيت"، عوضاً عن "ترجمة القصيدة رقم ١٤٥ ." (٢٩)

و لكننا نستنفد كافة الجهود التي نستطيعها، ومع ذلك نقف أمام قراءتين مختلفتين، كل الإختلاف هذه عن تلك، وذلك لأن كل قراءة منهما تعبر عن تفسير مختلف لنفس السطر، على نحو ما وقف المترجمون الأمريكيون ـ فيما يخبرنا "راباسا" ـ عند ترجمة هذا السطر الذي يبدأ به "فيرجيل" ملحمته "الإنيادة":

Arma virumque cano.

فلقد ترجمه "رولف همفريرز إلى:

Arms and the man I sing.

و ترجمه "روبرت فيتزجيرالد" إلى:

I sing of warfare and of a man at war.(30)

و تدور المشكلة هنا حول استخدام أداة التنكير "a" في قراءة و أداة التعريف "the" في قراءة. وهما قراءتان يسمح بهما النص في اللغة اللاتينية التي لا تعرف أدوات التنكير أو التعريف. وهكذا نجد أنفسنا أمام تفسيرين مختلفين لنص واحد. فهل يقصد "فيرجيل" أن يقول "الرجل" على أساس أن "إينياس" اصطفته الآلهة للنهوض بمهمة مقدسة هي إعادة بناء "طروادة" القديمة على نمط "روما" المعاصرة (وقت ذاك)؟ أو أنه يقصد أن "إينياس" كان رجلاً تصادف أن وقع عليه اختيار الأقدار كي يقوم بهذا العمل الجليل. وهذان موقفان يتأسسان على اختلاف القراءتين. فهل "إينياس" يسمو بصفته نصف إله (أمه الإلهة "فينوس") على سائر البشر، أو أنه إنسان عادي موغل في إنسانيته أختير لأداء ما يستطيعه أمثاله من نبلاء البشر الفانين؟ و يضيف "راباسا" أن المترجمين الإنجليز، والأولى الذين يترجمون إلى اللغة الإنجليزية يستطيعون في هذا الصدد أن "يحسدوا" المترجمين الروس الذين لا تعرف لغتهم الروسية أي أدوات من هذا النوع، سواء للتعريف أو التنكير، أي أنها تماثل في هذه النقطة اللغة اللاتينية أي لغة "فيرجيل".

ولقد لام "دونالد فريم" Donald Frame نفسه عندما ترجم عبارة "فولتير" حرفياً أي كلمة بكلمة:

, et ils riaient quand il faisait des contes

إلى اللغة الإنجليزية على هذا النحو:

They laughed at the stories he told.

أي عندما صَرح بما لَمح إليه "فولتير": كانوا يضحكون لنكته و ليس منه. و أضاف المترجم الذي ينشد دقة "ما تخرَش الماية": لو أتيحت لي فرصة أخرى لترجمتها إلى:

and when he told stories , they laughed .(31)

و على نفس النول أو المنوال ترجمت "سيمون دي بوفوار" هذا السطر الشعري لـ "ديلان توماس":

Do not go gentle into that good night.

إلى:

N'entre pas sagement dans cette bonne nuit. (32)

أي ترجمت "اللطف" الإنجليزي إلى "الرصانة" الفرنسية.

الفصل الرابع

معوقات الترجمة

٤ -١ ثلاث معوقات:

تعاني الترجمة إلى اللغة العربية، في ظني، من ثلاثة معوقات رئيسية هي:

١-التفاصح :

وهو يوازي، عندي، في هذا المجال، زرع شلال في وجه تدفق تيار المعنى المراد. و نستطيع أن نجد أمثلة حية على هذا المعوق خلال العودة إلى الفصل الثاني. وبطبيعة الحال يقوم التفاصح في مجال اللغويات كسد يحاول أن يكون منيعاً أمام التطور اللغوي، وهو الأمر الذي يخرج عن نطاق هذه الدراسة. ولسوف نقصر حديثنا الراهن عنه بصفته معوقاً لعملية التترجيم و حسب.

٢-الإلتصاق :

وهو يشبه، في رأيي، رمي جندل أمام تحرر و انسياب تيارالمعنى. و نستطيع أن نضرب هنا على هذا المعوق هذا المثال: التلاميذ الأسبان الذين يدرسون اللغة الإنجليزية يميلون في دوراتهم الدراسية الأولى، إلى ترجمة هذه الجملة من اللغة

التي يدرسونها:

Let's put the fire out.

إلى لغتهم القومية أي لغتهم الأم على هذا النحو:

Vamos à poner el fuego afuera.

و بطبيعة الحال لا توصِّل هذه الجملة الأسبانية، التي "التصقت" بالإنجليزية المعنى المراد، الذي يتعذر توصيله إلاّ عن طريق التحرر من هذا الإلتصاق، وترجمة الجملة إلى أسبانية سليمة أي تفيد المعنى الذي تحمله العبارة الإنجليزية، على هذا النحو:

Vamos à extinguir el fuego.

و نستطيع أن نلقي مزيداً من الضوء على هذه النقطة إذا تصورنا أن يقول طالب مصري يتعلم اللغة الإنجليزية:

Don't cut my bread, Sir.

في محاولة منه لترجمة الجملة الإنجليزية التي تقول:

Don't sack me Sir.

و ذلك لأن "قطع العيش" تعبير و الأولى Idiomمصري، و لكنه ليس كذلك في اللغة الإنجليزية، أي أنه لا يعني عند الإنجليز أكثر من معناه الحرفي. و نستطيع في هذاالصدد أن نعيد إلى الأذهان ما يُروى عن رئيس تحرير جريدة قومية كبيرة من أنه فكّر في تقديم سيجارة لـ "روبرت ماكمنارا" وزير الدفاع الأمريكي السابق و الرئيس السابق للبنك الدولي ففتح علبة سجائره و قال للضيف الأمريكي الزائر:

Drink cigarette Sir?

عوضاً عن:

Do you smoke(Sir)?

و نستطيع أن نقول هنا أن الخطأ ناجم من الغفلة عن أن "شرب السجاير" تعبير مصري، وليس أمريكياً. و هو نفس ما ينطبق على تعبير " put outالذي يعد تعبيراً ، أو Idiom عند الإنجليز، بمعنى "يطفئ"، في حين أنه ليس كذلك عند الأسبان. و عندما ينقلونه كما هو أي ملتصقاً بلغته والأولى ثقافته الخاصة فإنه لا يعني أكثر من وضع النار في الخارج و ليس إطفاءها. و في هذا الصدد لا يفوتني أن أشير إلى توهم السيد ن. محفوظ، مع الثقافة السائدة، أن اللغتين، المصري و العربي لغة واحدة، و ليس هناك أي فرق بينهما سوى المستوى الإجتماعي الذي يتحدث عنده المصريون لغتهم هذه الواحدة، فتكون عند القاع عامية و عند القمة فصحى. و عندما صادف التعبير Idiom المصري: "إطلع من دول" و قاده الوهم إلى محاولة "تفصيحه" على هذا النحو:

- "إخرج من هؤلاء"!

لم نظفر من معناه بشيئ ذي بال. و حقيقة الأمر أن ذلك التعبير مصري و حسب. و يحتاج إلى ترجيم كامل إذا أردنا أن ننقل معناه إلى أي لغة أخرى. فلا تجوز ترجمته إلى اللغة العربي إلا على هذا النحو:

"إعترف بالحقيقة يا رجل"

و نستطيع أيضاً أن نسوق هذا الإلتصاق المزدوج باللغتين العربية و الإنجليزية، الذي يتبدى في تبنينا لعبارة "قصب السكر" من اللغة الأولى أو الثانية:"-Sugar cane" في حين تملك اللغة المصري الحديثة كلمة واحدة هي: "قصب". فالمصريون لا يعرفون "قصب" آخر خلاف قصب السكر، أما ما يترجمه المترجمون العرب، والمتعربون بـ "قصب" فله في مصر كلمة أخرى محددة هي: "بوص" أي: reed و كان ينبغي على "المتعلمين المصريين" ألاّ يديروا ظهورهم للأفصح : كلمة واحدة = معنى واحداً، طلباً للأقل فصاحة: كلمتان = معنى واحداً.

و نستطيع أن نتأمل ذلك التعبير الخاطف: It depends، حيث يتعذر علينا أن نترجمه، خطفاً، إلى: "يتوقف"، أو "يعتمد"، إذ أننا نكون بذلك قد "التصقنا" باللغة المنقول عنها إلى حد أعجزنا عن نقل المعنى المراد إلى اللغة العربية "الفصحى". و ليس في وسعنا إلاّ أن نحاول شرحه على هذا النحو:

"يتوقف الأمر على الظروف المحيطة."

و لكن "عاميتنا" أي لغة الأميين منا تمنحنا، بسخائها المعهود و المنكور من جانب "المتعلمين المصريين" في وقت واحد، إذا ما أنصتنا إليها، تعبيراً حياً خاطفاً يوازي التعبير الإنجليزي هو: "حَسَب"!

و في وسعنا أن نتوقف قليلاً أمام هذا السطر العميق المعنى الذي ورد في نشيد إسبرطي:

« Nous sommes ce que vous fûtes, nous serons ce que vous êtes»

فإذا ما بذلنا كل جهودنا في سبيل نقله إلى اللغة العربية التي تتميَّز بعدم وجود فعل الكينونة، فإننا لن نظفر إلاّ بعبارة من هذا النحو:

"نحن ما كنتم، ولسوف نصبح ما أنتم"

و لكن هل انتقل من المعنى شيئ نو بال خلال هذا التترجيم الذي التصق قدر ما استطاع، بالنص المنقول عنه؟ لا أظن. فلقد حال هذا الإلتصاق، مع عدم وجود فعل كينونة في "العربي" يوازي فعل être في "الفرنساوي" دون نقل المعنى أو حتى نقل قدر معقول منه. و ليس في وسع المترجم، هنا، إلاّ أن يحاول مقاومة الإلتصاق بالأصل الفرنسي و يترجمه مثلاً على هذا النحو:

حاضرنا هو ماضيكم، و مستقبلنا هو حاضركم". و بطبيعة الحال يقبل هذا السطر تراجم أخرى مثل:

"حاضرنا مؤسس على ماضيكم، ومستقبلنا سوف يقوم على حاضركم"، إلاّ أن هذه الترجمة الأخيرة تبتعد كثيراً عن السياق الخاص للنص.

٣-التعويم :

و هو ما لا يقل، من وجهة نظري، عن إلقاء خور يحول دون وصول المعنى كاملاً إلى القارئ. و نستطيع أن نسوق في هذا الصدد هذه الجملة، التي ننقلها عن "ماكسيم رودنسون"، الذي ينقلها بدوره عن العالم الألماني " شبرنجر":

L'Arabe est la parasite de chameau.(33)

إذ بوسع مترجم مبتدئ أن يترجمها إلى:

العربي طفيلي الجمل.

أو:

يعيش العربي متطفلاً على الجمل.

أو:

يحيا العربي عالة على الجمل.

و يكون سيادته قد اطمأن بذلك إلى نقل المعنى المراد. و لكن مترجماً آخر أكثر دُربة يستطيع أن يترجمها إلى:

العرب قُراد الجمال.

و نفس الأمر ينطبق أيضاً و بنفس الدرجة على من يترجم عبارة: "Camel's wool" الى "صوف الجمل" بدلاً من "وبر الجمل". أو من يترجم: Camel dung"" إلى "روث الجمال" دون "بعر الجمال".

و ليسمح لي القارئ الكريم أن أتوقف قليلاً، في ضوء هذه المعوقات الثلاثة، أمام بعض الترجمات لأساتذة أجلاء لا أكن لأشخاصهم إلا كل إحترام وإجلال، لكنني لا أملك سوى موقف النقد الموضوعي، بطبيعة الحال أمام أعمالهم متأسياً في ذلك بقول "أرسطو":

Amicus Plato , amicus Socrates , sed magis amica veritas

أي:

"أفلاطون حبيب إلى نفسي و كذلك سقراط، ولكن الحقيقة أحب إليَّ منهما."

و أبدأ بفقرة قصيرة وردت في كتاب: Egypt of the Pharaohs لعالم المصريات العظيم "آلان جاردنر"، و تجري على هذا النحو:

The generalities of the last chapter might well leave the novice's mind in a state of confusion were they not quickly followed by a more orderly account of the course of events . It will be necessary to postpone until later any treatment of the Predynastic Period and the first two dynasties since those remote ages raise problems too debatable for discussion at the present juncture . A beginning is here , therefore , made with the third dynasty which with the next three dynasties constitutes the Old Kingdom , . (34)

وهي الفقرة التي ترجمها د. نجيب ميخائيل إبراهيم هكذا:

"إن العموميات التي يتناولها الفصل الأخير قد تترك عقل المبتدئ في حالة من الإضطراب لو لم يتبعها ملخص عن مجري الأحداث أكثر ترتيباً. وسيكون من الضروري على أي حال أن نؤجل لما بعد، أي معالجة لعصر ما قبل الأسرات و الأسرتين الأولى و الثانية ما دامت هذه العصور السحيقة تستدعي قيام معضلات هي مثار المناقشة و الجدل في هذا الحيز الضيق. و من ثم فإن البداية ستكون مع الأسرة الثالثة التي تكوّن مع الأسرات الثلاثة التالية الدولة القديمة". (٣٥)

و لسوف أوجز ملاحظاتي على هذه الفقرة فيما يلي:

أ - بدأت الجملة الأولى بأداة التوكيد "إن" دون حاجة واضحة إليها،

خصوصاً وأن الجملة انطوت على حالة تشكك بدخول "قد" على الفعل المضارع في محاولة لا بأس بها لترجمة الفعل الإنجليزي الناقص might ، ولو أننا مع هذا الفعل نقف إزاء مستوى تشكك أعمق من الفعل الآخر: may ولكن المترجم غير مسئول بشكل مباشر هنا.

ب – ترجمت الفقرة كلمة accountالتي تعني، ضمن ما تعني، "سرد" إلى "ملخص" دون مسوغ كاف.

ج – اكتفت الفقرة بترجمة تعبير Too debatable for discussion

إلى "هي مثار المناقشة و الجدل"، وهي الترجمة التي بدت في "تعويمها" أشبه بخور اعترض تيار النهر ذاته، و ليس مجرد تدفقه أو انسيابه و حسب.

د – ترجمت الفقرة ، دون سبب واضح، كلمة Kingdomإلى "دولة"، وهو الأمر الذي أصفه باستمرار، بـ "التعويم" و أراه أشبه بـ "خور" يحْرف مجرى التيار أي يعوق وصول المعني إلى القارئ. و لعل الفرق واضح ، وضوح الشمس، بين إسم الجنس: "الدولة" الذي يضم تحته أسماء نوع أخرى عديدة، مثل: مملكة – إمبراطورية – جمهورية – خلافة .الخ. و لست أدري ما هو السبب الذي يجعل مدرسي "المصريات" عندنا يميلون إلى إستخدام كلمة "دولة" هذه في ترجماتهم عن لغات أوروبية عديدة في مقابل Kingdomبل و نظير L' Empire الفرنسية، وكذلك Reichالألمانية. و أياً كان سببهم، فهو سبب لا يمت، في تصوّري، بأي صلة، مهما كانت واهية، بروح الأمانة العلمية التي يجب أن تتقدّم على سائر الإعتبارات الأخرى غير العلمية. فطالما كتب الكاتب، صار على الناقل عنه أن يلتزم بما كتب، وإلاّ فإنه يرتكب جريمة مزدوجة: تشويه النص الأصلي و فرض وصاية على القارئ، كما سبق لي القول، وهي وصاية أشبه بوصاية الكهنوت و العسكروت معاً. ولسوف أعود إلى هذه النقطة، بمزيد من التفصيل، في وقت لاحق.

و في تناص واضح مع عبارة ممائلة لـ "طه حسين"، قالها الرائد الكبير في سياق آخر، أقول: ينبغي أن نترجم أي عمل علمي أو فني، طالما قررنا ترجمته بـ خيره و شره"، أي بما يبدو لنا أنه خير أو شر. و بناء عليه فإنني أقترح للفقرة محط الحديث هذه الترجمة:

"قد تترك العموميات التي وردت في الفصل السابق عقل المبتدئ في حالة من

الإضطراب ما لم يتبعها على وجه ،لسرعه سردً أكثر ترتيباً. و لسوف يكون ضرورياً على أي حال أن نرجئ إلى وقت لاحق، أيَ تناول لحقبة ما قبل الأسر و الأسرتين الأولى و الثانية، ما دامت هذه العصور السحيقة تطرح مشاكل تستدعي جدلاً أكبر مما يتحمله السرد في هذا الحيز الضيق. ومن ثم فإن البداية هنا ستكون مع الأسرة الثالثة التي تكوّن مع الأسر الثلاث التالية ما نعرفه بالمملكة القديمة. . "

xxx

ثم أثني بالوقوف أمام ثلاث ترجمات أو"قراءات"مختلفة لفقرة وردت في الفصل الثالث من رواية "نون كيشوت" أو "نون كيخوته" الرائعة والترجمة الأولى إلى الإنجليزية والثانية و الثالثة إلى العربية:

تقول الفقرة الأسبانية:

Dondé se cuenta la graciosa manera que tuvo Don Quijote en armarse caballero .

Y asi , fatigado deste pensamiento , abreviø su venteril y limitada cena , la cual acababa , llamo al ventero y , encerrado-en la caballeriza , se hinco de rodillas ante el , diciendo le :

- No me levantare jamas de donde estoy , valeroso caballero ,fasta que la vuestra cortesia me otorge un don que pedirle quiero el cual redundara en alabanza vuestra y en pro del genero humano . (36)

إذ ترجمها " جي . أو . كوهين إلى اللغة الإنجليزية هكذا:

which tells of the pleasant method by which Don Qui-

jote chose to be Knighted .

So , troubled by these thoughts , he cut short his scanty pothouse supper , and when he was done called the host . Then ,shutting the stable door on them both , he fell to his knees before him and said :Never I arise from where I am , valiant Knight , till you grant me of your courtesy the boon I am going to beg of you,it is one which will redound to your praise and to the benefit of the human race . (37)

و ترجمها د. عبد الرحمن بدوي هكذا:

في الطريقة الظريفة التي بها سُلّح " دون كيخوته " فارساً

وما أن أقلقه هذا الخاطر حتى عجّل بالفراغ من هذا العشاء الفندقي الهزيل، وما أن أتمه حتى دعا صاحب الخان و اقتاده إلى الإصطبل و أغلق الباب و جثا على ركبتيه أمامه قائلاً:

- لن أنهض من حيث أجثو، أيها الفارس الشجاع، إلا إذا تفضل أدبك فتعطّف علي بنعمة أريدها منك، ستعلي من مجدك و تخدم الإنسانية (٣٨)

و ترجمها د. عبد العزيز الأهواني على هذا النحو:

و فيه ذكر الطريقة الظريفة التي نُصِّب بها " دون كيخوته " فارساً

و أرهق هذا التفكير "دون كيخوته" فأسرع في تناول الطعام اليسير الذي قُدم له، ولما انتهى منه، نادى صاحب الخان و انفرد به في الاصطبل بعد أن أغلق الباب عليهما ثم خر راكعاً على ركبتيه و قال:

- أيها الفارس المغوار، لن أنهض أبداً من مكاني هذا حتى تتفضّل عليَ فتجيبني إلى ملتمس ، فيه لكم السمعة الطيبة التي تملأ الآفاق و فيه للنوع الإنساني الخير العميم .(٣٩)

وأوجز ملاحظاتي على هذه الترجمات الثلاثة فيما يلي:

أ- لم يتردد المترجم الأول في القفز من منصة اللفظ في سبيل اصطياد المعني المراد، و الأولى دار حول عبارة donde se cuenta التي نستطيع ترجمتها حرفياً، وليس نصياً، إلى "حيث ينحكي عن" كي يعبرعن المعني المقصود بـ: which tells أي "الذي يحكي ." في إشارة واضحة إلى الفصل المذكور، و ذلك لإفتقار اللغة الإنجليزية إلى فعل منعكس يوازي «se cuenta» الأسباني. في حين فصل المترجم الثاني الجملة عما سبقها عندما قال: "في الطريقة ." ولكن الثالث لم يشأ أن يضحي بصلة هذه الجملة بما سبقها على هذا النحو: و فيه، أي في الفصل المشار إليه، ذكر الطريقة .

ب – سافر المترجم الأول، إلى الإنجليزية، بعيداً عن معني الفعل المنعكس " ar-marse" إلى عبارة " chose to be knighted" أي اختار أن يكون فارساً، التي لا أستطيع الإدعاء لا بأنها نقلت المعنى بدقة من الأسبانية و لا بأنها أهملته كلية. وإن احتفظت إلى حد كبير بمعنى صيغة الماضي في الأسبانية المعروف باسم الـ " Preterito Indefinido"عندما نقلتها إلى صيغة الماضي البسيط Past simple tense " في الإنجليزية. و لكن المترجمين الثاني و الثالث إستخدما صيغة المبني للمجهول "سلِحَ" و "نُصِبَ" في محاولة، لا تتمتّع بأي ميزة أبعد من الصحة اللغوية، نحو اقتناص معنى الفعل المنعكس في الأسبانيولي، خصوصاً و أنه كان بوسعهما معاً أن يستخدما كلمة "نفسه" لأداء المعنى بصورة أكثر توفيقاً، فيستريح معهما التيار ويصل المعنى في سلاسة و يسر إلى القارئ على هذا النحو: "سلّح نفسه" أو "نصّب نفسه". و صحيح أن التسليح أدق، إلا أنه يعكس "التصاقاً" بالنص الأصلي بينما يُعد "التنصيب" أعمق و أبلغ. و قد اتفق في ذلك المترجم الثالث: د. الأهواني مع الأول: "كوهين"، أي اتفقا على ألا يلتصقا بالنص الذي ينقلان عنه.

ج – اتفق المترجمان، الثاني و الثالث، في نقل فعل abreviø خلال صيغة الإسراع و التعجيل في حين التزم المترجم الأول بالمعني الحرفي، أي المعنى القاموسي للفعل abreviar في صيغة الماضي أي الـ: P. I. لكن المعنى انتقل في الحالات الثلاث بصورة طيبة. إلا أن المترجم الثاني لجأ، دون ضرورة، إلى صيغة "وما أن . حتى ." ، و هذا، في رأيي، تفاصح زرع شلالاً في وجه المعنى حيث حوّل العملية process إلى نقطة point، فأفقد نصه العربي المنقول السلاسة التي نستشعرها في النصين الإنجليزي و العربي الآخر. و لو أنه قال: "و ما أن خطر

له هذا الخاطر حتى . " لكان تيار المعنى أسلس. و لكن ذلك كان ليبعده عن روح النص المنقول عنه، الذي استخدم فعل " acabar "بمعنى " أنهى " في صيغة الـ "Preterito Imperficto" التي توازي في الفرنسية صيغة الـ "imperfait"، على وجه التقريب.

د – كان المترجم الأول و كذلك الثالث موفَّقين عندما ترجما: Llamo al ven-tero إلى: called the host و "دعا صاحب الخان"، على التوالي، بينما خذل فعل "إقتاد" سيادة المترجم الثاني في نقل المعنى المراد في سياقه الراهن. فالسياق لا يشير إلى، و لا يتحملُ، أي نوع من "الإقتياد" من جانبِ "الدون" لصاحب الخان، فضلاً عن معنى فعل: LLamar.

هـ قد يكون نوقاً شخصياً محضاً ألا أرتاح إلى اللغة كلما أوغلت في القدم أي في الموت. ففعل "أجثو" - وسائر تصريفاته - قديم مهجور و كذلك اسم المفعول "ملتمس". ولعلي أنزل كثيراً من المهجور إلى منزلة المبتذل سواء بسواء. لكن المترجمين، الثاني و الثالث لجآ إليه، دون حاجة موضوعية، و هو الأمر الذي حوّل لغتهما، معاً، إلى لغة جافة، و إن كانت صحيحة لغوياً على مستوى النحو و الصرف. و بذلك يكونان قد ضحّيا، مثلما يفعل المتفاصحون دائماً، بالجَمَل في سبيل خُزامه و رياحاته! ولا أدري ما إذا كان في طوعنا أن نقترح مثل هذه الترجمة:

"و أرهق هذا التفكير "دون كيشوت"، فأسرع في تناول الوجبة الهزيلة التي قدّمها له الفندق، و لما فرغ منها، نادى على صاحب الفندق وانفرد به في الإصطبل و أغلق عليهما الباب ثم نزل راكعاً على ركبتيه، و قال:

- أيها الفارس البطل ! لن أنهض من على ركبتيَّ أمامكم، حتى تتكرّم عليَّ بإسداء معروف يعزّز صيتكم الذي ضرب الآفاق، و يعود بالنفع العميم على النوع الإنساني".

٤-٢ المعوقات الثلاثة في التطبيق. (in action)

مررت في الآونة الأخيرة بتجربة عميقة كقارئ، وهي التجربة التي أقنعتني بأن الترجمة ليست مجرد إرادة، مهما تسلّحت هذه الإرادة حتى بدقة الآلة أو

الكومبيوتر، و أن الأقدر على الترجمة، و الأدبية منها بالذات، هو الشاعر بالمعنى الواسع الذي يشمل أيضاً في نطاقه، المتلقي الجيّد للشعر، أي متذوّقه. فالترجمة في رأيي، نوع خاص من الخلق و الإبداع، كما سبق لي أن قلت. و لو أن كل نشاط إنساني يمكن أن يرتقي إلى أن يصبح كذلك. إذ يكفي أن يستخدم المترجم حرف العطف "الواو" بدلاً من "الفاء" حتى يتأثر المعنى أو ظله.

و أقصد بهذه التجربة قراءتي لرواية "مائة عام من العزلة" للروائي الكولومبياني العظيم "ماركيز" فور صدورها (٤٠) ثم قرأتها بالأسباني، ثم وقعت في يدي بالصدفة ترجمة أخرى لها إلى العربية، عن النص الأسباني هذه المرة، لـ د . س. العطار(٤١) وكان أن هالتني الفروق بين النصين العربيين و بين النص الأصلي، وهي فروق أثّرت بالسلب في مناطق ليست قليلة على توصيل معاني الرواية و إيحاءاتها و ظلالها إلى القارئ. وهذا هو الأمر الذي يدفعني الآن إلى التوقف قليلاً أمام النصّين العربيين. ولسوف أتجاوز هنا عن نقل الترجمة اللبناني عن لغة ثالثة، هي الفرنسية، و نقل الترجمة المصرية عن الأصل الأسباني مباشرة خلال مقارنتي بينهما. إذ لا يهمنا كثيراً في، تصوري، على كاهل أي من المترجمين، اللبناني أو الفرنساوي ستقع المسئولية، سواء في الخطأ أو الصواب، فالأمر ليس عقد محاكمة لأي منهما بطبيعة الحال، بل محاولة تحويل التجربة إلى وعي يقودنا إلى المستقبل المنشود عوضاً عن ترك الدوافع، مثلما هو الحال في الوقت الحاضر، تسير بنا في أي اتجاه كان.

قرأت عبارة "الجندبين":

و عيل صبر "أورسولا" فصاحت:

- إذا كنت تريد أن تُجن فجن لوحدك و لا تجرب أن تُدخل في رؤوس أبنائك أفكارك الفجرية. ص ١٦

فأحسست أن تعبير "عيل صبر" يعكس "تفاصحاً" يتناقض مع بساطة و رشاقة بل و حميمية لغة "ماركيز" التي نستطيع وصفها باللغة الصحفية بالمعنى الراقي للكلمة أي الخالية من أي "زواق" أو زخارف فارغة. كما أن فعل "جرّب" أثقل قليلاً مما يحتاج إليه السياق. وكان يكفي أن يستخدم المترجمان، فعل "حاول". و لقد وجدتها في النص الأصلي على هذا النحو:

Ursula perdiø? la paciencia . " Si has de volverte loco ,

vuelvete tu solo - gritø? - Pero no trates de inculcar a los niños tus ideas de gitano . P. 62

وعندئذ أدركت أنني لم ألحظ أن المترجمين "تصرفا" على نحو ما عند ترجمتهما: Si has de إلى "إذا كنت تريد" ، وأنهما قفزا عندما ترجما:

" . أن تدخل في رؤوس أبنائك ." .

وقد ابتعد تصرفهما عن المعنى قليلاً في الجملة الأولي ، لكن القفز بعيداً عن اللفظ، في الثانية، قرّبهما من المعنى المراد.

و لما قرأت نفس الفقرة عند د. العطار:

" و فقدت " أورسولا " الصبر و صرخت:

إذا كان ولا بد أن تُجن فلتُجن وحدك . لكن لا تحاول أن تلقّن الأطفال أفكارك الغجرية. ص ٢٣

هنا اتّضح لي أن د . العطار "التصق" بالنص الأسباني عندما ترجم فعل perder إلى: "فقد". و أظن أن من الأوفق أن نتحرر من تفاصيح "الجنديين" و"التصاق" د. العطار، معاً، و نترجم العبارة ببساطة و يسر إلى:

و نفد صبر "أورسولا" فصاحت".

و لا ينبغي أن أمضي الآن دون أن أثني على استخدام "الجنديين" لحرف العطف "الفاء" بدلاً من "الواو" الذي إستخدمه د. العطار. حقاً كلاهما يعطف، ولكن عطف الأول أسرع، وهو الأمر الذي يحتاج إليه تيار السياق كي يتدفق، فتبدو الجملة معه أكثر حيوية و دفءاً.

و قرأت في الترجمة اللبنانية:

" . مع أن هذا ليس إلاّ قليلاً من الإعلاء النفسي." ص ١٧

فشعرت أن عبارة "الإعلاء النفسي" قلقة في السياق بمعنى أنها تعوق انسيابه. و عندما قرأت النص الأسباني:

Y esto no es mas que un poco de soliman . p. 64

عندئذ أدركت أن استشعاري القلق أمام العبارة مشروع. فالأمر لا يتعلق بأي عملية نفسية، بل بمادة سامة هي "السليماني". ولقد ترجمها د. العطار:

"و هذا ليس إلاّ النذر اليسير من "السليماني" ص ٢٦

فاستطاع أن يقنص طيره لكن آفة "التفاصح" أرخت يده عليه، أي حالت دون نقل المعنى، برشاقة و بساطة توازيان ما تملكه لغة "ماركيز" منهما. وهو الأمر الذي لم يفشل فيه "الجنديان" عندما نقلا كلمة un poco إلى "قليل" عوضاً عن "النذر اليسير". ويبدو أن سيادته اندفع في تفاصحه إلى حد إغفال أداة التنكير un كي يترجم الكلمة ليس إلى مجرد "نذر يسير"، و هو تعبير "متفاصح" في حد ذاته، بل إلى "النذر اليسير" بأداة تعريف أضافها سيادته، دون حاجة ماسة إليها، بل ومغامراً بالإبتعاد عن اللفظ و المعنى، معاً، في الأسباني. و لست أدري ما إذا كان من الأوفق لـ د . العطار أن يكون قد أضاف، عوضاً عن أداة التعريف هذه ، كلمة أو كلمتين إلى النص كي يخفف غموضه في العربي على هذا النحو: . مادة "السليماني" السامة.

و عندما قرأت عبارة: "أجهل كيف حدثت العجيبة" ص ١١١ عند "الجنديين"، ظننت أن الأمر لا يحتاج إلاّ إلى استبدال كلمة "العجيبة" بـ "الأعجوبة"، كي يستقيم المعنى و ينساب تيّاره بفصاحة و رشاقة. لكنني عندما صادفت النص الأصلي أدركت أن المرء كثيراً ما يقع في أسر الوهم، وإن بدا أمام نفسه حصيفاً. فنص "ماركيز" يقول:

No sé como ha sido el milagro . P . 192

أي أن الكلمة الصحيحة هي "المعجزة" و ليست "الأعجوبة" التي طرأت على ذهني. فاللغة العربية تميل- مثل لغات أخرى عديدة -إلى نسبة المعجزات للقوى الما - ورا - طبيعية، أما العجائب فيستطيع البشر الفانون من أمثالنا أن يأتوا بها، و إن كان ذلك لا يحدث إلاّ في أحيان نادرة. مثال: "عجائب الدنيا السبع". و قد حالف التوفيق د. العطار في ترجمة الكلمة الأسبانية إلى "المعجزة"، لكنه عاد إلى صياغة

جملة "متفاصحة" على هذا النحو:

"لا أدري كيف كانت المعجزة ؟" ص ٢٢٤

و أحسب أن ترجمة الجملة البسيطة التي وردت على لسان شخصية مثل "أورسولا" خلال الحوار لا تحتاج إلى أكثر من ترجمة سريعة و مباشرة على هذا النحو:

"لا أعرف كيف حدثت المعجزة ؟"

و عندما قرأت عند "الجنديين" عبارة:

"وعلى الصناديق العتيقة التي تحوي ثيابهم و تفوح منها رائحة حبق طيبة" ص ١٩ تذكرت أن "الحبق" في لبنان هو "الريحان" في مصر ثم توقفت أمام كلمة "طيبة" كوصف لرائحة ذلك النبات العطري، فبدت لي و كأنها تحصيل حاصل.

و عندما قرأت النص الأصلي الذي يقول:

Y los viejos arcones donde se guardaba la roba exhalaban un tibio olor de albahac. P. 66

هنا قدّرت أن الأسبانية استعارت من اللغة العربية كلمة "الحبق" فحوّلت "الحاء" إلى "هاء" و الـ "القاف" إلى "كاف" ثم قلبت ترتيب الحروف إلى "بهك" بالاضافة الى أداة التعريف العربي التي فقدت وظيفتها و صارت جزءاً من الكلمة ذاتها، تماماً مثلما فعلنا في مصر مع كلمة "الفيوم" التي تحمل، كما هو واضح أداتيْ تعريف هما "الـ" العربية + الفاء القبطية أي المصرية+ يُوم (ϕIOM)، وفعل العرب مع كلمة "التمساح" المصرية أي أدخلوا "الـ" و دمجوا أداة التعريف المصرية "تي" في الكلمة الأصلية: "مساح": و عندما قرأت ترجمة د. العطار:

"أما السحاحير حيث تحفظ الملابس فقد فاحت منها رائحة هادئة للحبق" ص٣٠

سعدت لكلمة "السحاحير" في مقاومتها للمعوق الثالث، بعد "التفاصح" و "الالتصاق" أي "التعويم" كلما رغب المترجم في التغطية على عدم معرفته بالأدق.

لكنني لا أدري لماذا لجأ د.العطار إلى كلمة "الحبق" عوضاً عن "الريحان"؟ هل لاتصال الكلمة الأخيرة بما يسمّيه "المتعلمون المصريون" - في ظل دونيتهم المزمنة - بـ "العامية" دخل في الأمر؟ لست أدري. لكن كلمة "هادئة" عادت لتشير إلى "إلتصاق" د. العطار بالكلمة الأسباني. و لم يشأ أن يقفز من اللفظ إلى المعنى مثلما فعل "الجنديين" فكسبا شرف المحاولة و إن لم يوفّقا كل التوفيق. و أحسب أن الترجمة كانت لتكون أوفق لو جرت على هذا النحو:

"أما السحاحير العتيقة، حيث يحتفظون بملابسهم، ففاحت منها رائحة ريحان خافتة."

و واضح أنني ترجمت كلمة tibio، ترجمة بالمجاز الذي يبادل الرائحة بالصوت، لكنني أراها - وقد أكون أو لا أكون مصيباً - أوفق أي أقدر على نقل بعض ظلال المعنى التي تلقيها الكلمة الأسباني. و لكلمة "هادئة" ظل، و لكلمة "خافتة" ظل آخر، كما تقول اللاتيني:

etiam capillus uns habet um bram suam .

لكل شعرة، حتى، الشعرة، ظلّها"

و عندما قرأت عند "الجنديين":

كان "خوزيه أركاديو بوينديا" في البدء نوعاً من الشيخ الفتي الذي يعطي توجيهه في البذار و نصحه في تربية الأطفال و الحيوانات. ويساهم مع الجميع حتى في الأعمال اليدوية من أجل نجاح الجماعة". ص١٩

و كانت تلك ترجمة للنص الذي يقول:

Al principio , Arcadio Buendia era una especie de patriarca juvenil que daba instrucciones para la siembra y consejos para la crianza de niños y animales y colaboraba con todos , aun en trabajo fisico , para la buena marcha de la

عندئذ أدركت أن اللغة العربية لا تملك سوى "أب" أو "آب" الكنسية في حين تحتفظ الأسبانية، واللغات الأوروبية بصفة عامة، بكلمتين هما: padre و patri-aca، وهناك مساحة مشتركة بينهما. و لكن هناك أيضاً فروق واسعة، نلمسها في تعبير familia patriarcale و صار لزاماً على المترجم الخلاق أن يكافح، بمفرده، في سبيل إثراء لغته. و قد نقل د. العطار هذا المعنى إلى: "الحكيم الشاب"، على افتراض أن الحكمة من سمات الشيوخ، لا الشباب، في جهاد مشكور في سبيل نقل المفارقة الماركيزية بين الحكمة والشبابية، على هذا النحو:

"في البداية كان "خوزيه أركاديو بوينديا" حكيماً شاباً بين قومه يلقّنهم تعليمات حول الزراعة و تنشئة الأولاد و الحيوانات، وأيضاً كان يعاون الجميع حتى بالعمل البدني، وذلك من أجل حسن سير المجتمع." ص ٢٩

لكن "التفاصح" عاد كي يلقي، عند د. العطار، بشلالاته، في وجه انسياب المعنى. و تحالف معه "الالتصاق" بجناديه، فأعاقا "الإفصاح" و "الإنطلاق" وهما في رأيي، نقيضان لكل من "التفاصح" و "الالتصاق". و لعل المرء يتساءل بشكل مشروع: كيف يحق لأحد أن ينقل daba instrucciones إلى "يلقّن تعليمات"؟ و أليس من الأفصح أن يقرن "التعليمات" بالعطاء، مثلما يفيدنا فعل Dar، و مثلما فعل "الجنديان" عن حس مرهف بالوزن النوعي للكلمات، باستخدامهما فعل "يعطي" دون "يلقّن"؟ و مضى "التفاصح" بـ د. العطار شوطاً آخر، فأسقط من حسابه كلمة: consejos، أي "نصائح" جملة وتفصيلاً.

و جاءت كلمة "البذار" عند "الجنديين" أشد تخصيصاً من كلمة "الزراعة" التي استخدمها د. العطار، في نقل معنى La siembra أي أكثر مقاومة لمعوق آخر، هو "التعويم". أما استخدام كلمة "تنشئة" فأكثر توفيقاً مع "الأولاد" لكنها ليست كذلك بالمرة مع "الحيوانات". و صارت ترجمة "الجنديين"، هنا، لكلمة la crianza بـ "تربية" أفصح. و عاد "الإلتصاق" كي "يكتّف" د. العطار في ترجمته لعبارة tra-bajo fisico بـ "العمل البدني"، بينما حالف التوفيق "الجنديين" مرّة أخرى في قفزتهما بعيداً عن اللفظ في سبيل قنص المعنى. و نفس الأمر ينطبق على ترجمتهما لكلمة communidad أو communité الفرنسية إلى الجماعة. أما عبارة "نجاح الجماعة"، فإنني كنت أفضّل بدلاً منها "خير الجماعة". أما عبارة "حسن سير" التي لم يجد د. العطار في جعبته سواها، فـ "التصاق" زائد عن الحد بالعبارة

الأسبانية: buena marcha لم يوصّل إلينا من المعنى إلاّ أقله.

و قرأت عند "الجنديين":

"لم يحضر "خوزيه أركاديو"، ولا الفتاة قطع الرأس. بل ذهبا إلى خيمتها، و قبّلته و قبّلها في نهم محموم فيما كانا يخلعان ثيابهما. و تخلّصت الفجرية من خراطاتها التي ترتديها بعضاً فوق بعض. ومن شلحات الدانتيلا المنشّاة و من مشدّها ومن الحلي البلورية حتي أنها عمليًا لم يبق منها شيئ. و كانّها ضفدعة نحيلة صغيرة النهدين، نحيلة الفخذين لا يزيدان عن محيط ذراع "خوزيه أركاديو" لكنها أبدت حزماً و حرارة عوّضا عن صغارها." ص ٣٨

و كانت هذه الفقرة ترجمة، كما عرفت في وقت لاحق لما يلي:

Jose Arcadio y la muchacha no presentaron la decapitacion . Fueron a la carpa de ella , donde se besaron con una ansiedad desesperada mientras se iban quitando la ropa . La gitana se deshizo de sus corpinos superpuestos de sus numerosos pollerines de encaje almidondado , de su inutil corso alambrado , de su carga de abalorios , y quedo practicamente convertida en nada . Era una ranita languida , de senos incipientes y piernas tan delgadas que no le ganaban en diametro a los brazos de Jose Arcadia, pero tenia una decision y un calor que compensaban su fragilidad . p.89

و الحقيقة أنني لم أشعر عند قراءتي للترجمة اللبناني لهذه الفقرة بشلالات خطيرة بمعنى "تفاصحات" و لا جنادل بارزة بمعنى "التصاقات" و لا أخواراً عميقة بمعنى "تعويمات" تعترض إنسياب تيار المعاني، اللهم فيما عدا الكلمات الشامية مثل "خراطات" أو "شلحات". ولم أستطع أن أحكم سلباً أو إيجاباً على مدى بعدها أو قربها من المعاني المقصودة. لكنني عزوت ذلك إلى الفروق الواضحة، والمشروعة بطبيعة الحال، بين العربية "الشامية" و العربية "المصرية"، و هما "العربيّتان" اللتان يصر "المتعلمون المصريون" السعداء على إنكار وجودهما، و إلاّ تزعزع إيمانهم بوجود لغة فصحى واحدة من الخليج إلى المحيط. لكنني لم أسترح لتعبير "أبدت

حزماً و حرارة" ولا تعبير "عوضاً عن صغارها". ولم أرحّب بإرهاق لفظ "نحيلة" باستخدامه مرّتين في نفس الجملة.

فلقد قفز "الجنديان"، هنا، بعيداً عن لفظ tenia في صيغته الـ Preterito imperfecto أي "امتلكت" أو "تمتّعت بـ" على وجه التقريب، لكنهما لم يقتربا من شاطئ المعنى المراد في أسبانية "ماركيز" التي تتسم بالبساطة و الرقة. بساطة و رقة خادعتان فقد تمر العبارة بالمرء دون أن يفطن إلى عمقها و عنفها إلاّ في وقت لاحق. و يبدو أن "الجنديين" غفلا - لا أدري كيف - عن أنّ شخصية الغجرية، كما رسمها الروائي "ماركيز" لا تُبدي و لا تبيع سواء بالقطاعي أو الجملة، بل تملك متّما يملك كل إنسان طبيعي حر لم تسحق إنسانيته ثقافات أسيوية - غربية شائخة متخلّفة. و لقد أسفت بالغ الأسف على إهدار معنى فعل: Tener = ملك"، الذي أهدر بدوره، تصوير الروائي لفقر الغجرية الجسدي، و قدرتها، مع ذلك على العطاء.

كما أدركت أن عبارة "و كأنها ضفدعة نحيلة"، أوهن من أن تحمل إلينا معنى عبارة: ranita languida ليس لأن المترجمين تجاوزا عن صيغة التصغير في ranita، و لكن لأن كلمة "هزيلة" أوفق. كما أن كلمة "صَغار" شديدة القلق، فالأمر لا يتعلّق مطلقاً، مع الغجرية الروعة، بأي صَغار من أي نوع. و أرجو ألاّ يكون المترجم الفرنسي قد ضلّلهما. ولكنني أعجز عن تخيّل أن يصل الأمر بأي مترجم يستمتع بعمله أي يتقنه، أن يصم تلك الغجرية بـ "الصُّغار". ولعل أحدهما أو كلاهما إنما قصد معنى كلمة "الصَّغر" و حسب دون أن يفطن أي منهما سواء الفرنسي أو اللبناني، إلى الفرق بين معنى هذه و تلك. ولكن الغريب في الأمر أن كلمة: fragilidad كانت أقرب حتى في معناها القاموسي في الدلالة على "الهشاشة". و ليس هناك ما يدعونا، هنا، إلى أن نحنو حنو "جحا المصري" في جوابه الساخر و التربوي، على هذا السؤال:

ودن ك فين يا "جحا"؟

إذ أشار إلي أذنه البعيدة عن يده عوضاً عن القريبة منها!

و الآن لتنظر إلى ما فعله د. العطار بهذه الفقرة الغنيّة في أسبانيّتها خلال ترجمتها على هذا النحو:

"خوسيه أركاديو" و الصبية لم يحضرا عرض المرأة المجزوزة الرأس. ذهبا إلى

خيمتها حيث تبادلا القبل في شوق غير متوقع أثناء مُضَيبما في خلع الملابس. تخلّصت الغجرية من الصديري الخارجي من البلوزات و الجونلات الأمازونية ذات الوشي المنشّى، ومن الكورسيه غير النافع المشدود بالأسلاك، و من حمولتها من الخرز. فاختفت مستحيلة إلى لا شيئ . لقد كانت ضفيدعاً ضئيلاً، ذات نهود نابتة. وسيقان جعلت طولها أقل من قطر ذراع "خوسيه أركاديو"، لكنها كان عندها من العزيمة و من التوهج ما يعوّض هشاشتها" ص ٧٣

تطرح هذه الفقرة التي نقلها إلينا د. العطار عدداً كبيراً من الأسئلة. لكنني سوف أختصرها إلى ما يلي:

لماذا ترك المعنى الأقرب لكلمة "La decapitacion" قطع الرأس" و قفز بعيداً عنه؟ و هل يظن سيادته أنه هبط بسلام، على شاطئ المعنى المراد، عندما استبدل و أضاف و تفاصح، و خصوصاً عبارة "المجزوزة الرأس" الضاربة في مدارج التفاصح، لا الفصاحة؟ و يجدر بنا أن نتوقف هنا قليلاً:

تستعيض الثقافة السائدة في مصر والمنطقة المحيطة و الأولى، المُسيَدة قسراً عن مفاهيم التغيّر و التطور بمفاهيم الثبات و القداسة. و ليس هناك عبارة أمتع ولا أبهج عند سياسيّينا من هذه العبارة الخالدة: موقفنا ثابت. و في هذا الإطار تقوم القواميس التي تصدر في منطقتنا السعيدة بعمل يتناقض مع العمل الذي تنهض به القواميس المعتمدة للغات العالمية أو على الأقل تلك التي اتصلتُ بدراستها في وقت أو آخر من سنوات عمري مثل الفرنسية التي تعرف قاموس "لاروس" و الإنجليزية التي تعرف قاموس "أوكسفورد" و الأمريكية التي تعرف "وبستر" و الألمانية التي تعرف " Langenscheid" والأسبانية التي تعرف قاموس أكاديمية "ريال"، فمثل هذه القواميس العامة تصدر في طبعات جديدة باستمرار، ليس بسبب نفاد المطبوع منها أو الحاجة إلى إضافة "منجزات" مجامع لغوية تضم خالدين يجاهدون في سبيل الحفاظ على الألفاظ القديمة بمعانيها القديمة أو أوزان الألفاظ القديمة، على الأقل، عندما يضطرون إلى صك ألفاظ جديدة، بل لكي "تعترف" بما شاع على ألسنة "العوام" من الفرنسيين و الإنجليز و "الأمركان" و الألمان و الأسبان، على التوالي، و تضمه بين دفّتيها. وكذلك بما دخل في لسان هؤلاء "العوام" على معاني الكلمات القديمة من تغيّرات، ذلك لأن هؤلاء "العوام" هم أصحابها، وليس أي هيئة لخالدين أو فانين. فإذا قبل "العوام" الإنجليز كلمة مثل : rugger ظهرت، دون إبطاء، في قواميس اللغة الإنجليزية. و كذلك الأمر، مع عبارات كانت "عامية" صرفة مثل : can't, won't, don't بدلاً من نظيراتها "الفصحى" can not, will

not, do not etc.

ويؤسفني كل الأسف أن يتحرر "المنبوذون" في الهند، كطائفة إجتماعية caste على الأقل قانونياً، من الإضطهاد، قبل أن يتحرر، بوقت طويل، "العوام" في مصر أو من يدعوهم متعلمو مصر بأنهم كذلك، بصفتهم طائفة لغوية مضطهدة.

و قد لا يعرف كثيرون في منطقتنا السعيدة أن الإنجليز المعروفين بيننا، بالمحافظة يترجمون اليوم شعر "شكسبير"، ولم تكد تمر عليه أربعة قرون و حسب، إلى اللغة الإنجليزية المعاصرة!

و بناء عليه فإن المعنى الصحيح لكلمة ما قد لا يكون مكتوباً إلاّ على صفحة الهواء، أي بين طبعتين لقاموس واحد و بعبارة أخرى، مرصوداً في حركته. و لو أتيح للعروبيين الإعتراف، أبعد من مستوى الشفتين، بالتغير في المجال اللغوي، لعرفوا أن كلمة "جز"، وإن كانت تعني في وقت ما "قطع" إلاّ أنّ إستخداماتها اللاحقة حوّرت هذا المعنى قليلاً باتّجاه تخصيصه. فعهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سبيل المثال يفرض على أهل الكتاب أن "يجزّوا نواصيهم" أي يقصّوا (لا يقطعوا) شعر مقدم الرأس. ولقد تابع الفعل ميله إلى التخصص الذي بدأه منذ وقت طويل حتى أصبح في لغة الحياة اليومية مقصوراً على قص الشعر. وهكذا صارت عبارة مثل "المجزوزة الرأس" توحي بـ "المقصوصة أو المحلوقة الشعر". و بطبيعة الحال واصل هذا الفعل، مثلما تفعل أفعال أخرى عديدة استقلالها سواء بالتخصيص أو التعميم، دون استئذان من أحد، سواء أكان خالداً أو فانياً، حتى صار يدل على جز شعر و الأدق صوف الحيوانات وحسب مثل الغنم.

و لقد كان "منير بعلبكي" دقيقاً وحساساً عندما ترجم في قاموسه الشهير كلمة hog، ضمن معانيها الأخرى إلى: "حمل مجزوز الصوف".

وفضلاً عن كل ذلك إذا كان هناك فعل "قطّع" للرأس فهل ينقصنا مزيد من اللبس و الإلتباس حتى نستخدم فعلاً آخر لأداء نفس المعنى بشكل مترادف. وأما أن لنا أن نقاوم آفة الترادف التي لا تزيد و لا تنقص عن استخدام عدد كبير من الأسماء للمسمّى الواحد، فيما يبدو غنى، لكنه نوع من الغنى الذي لا يعكس سوى فقر طاحن، فأن تكون عندنا أي في لغتنا الأم الموصومة، جهلاً و تجهيلاً، بـ "العامية"، وعلى سبيل المثال، كلمة "طهور"، ثم نطوّح بها على قارعة الطريق كي نستحضر من الكتب الصفراء كلمة أخرى تترادف تماماً معها هي "ختان"، لعملٌ لا

يقدم عليه و لا على مثله أي متعلمين في أربعة أركان الدنيا سوى "متعلّمينا"، إذ أنه ينطوي على إهدار للوقت و الجهد و المال فيما لا رطب و لا صيص وراءه. فاللغة لا تخرج عن كونها رموزاً صوتية منطوقة - مسموعة يصطلح البشر في دائرة معينة على توصيلها بصورة جزافية لمعنى معين. ومعنى القول أن العلم لا يعرف أي تفضيل لأي مجموعة من هذه الرموز على أي مجموعة أخرى، فيما عدا سرعتها و سهولتها في أداء الغاية المنشودة من ورائها. وبعبارة أوضح لا فرق تراتبياً هناك بين مجموعة "الطاء والهاء والواو و الراء" و بين المجموعة الأخرى "الخاء و التاء و الألف و النون". و كل ما في الأمر أننا نعرف الأولى حق المعرفة، وترانا نستخدمها في غناوينا وأفراحنا و مختلف مناحي حياتنا. و يزيد وقع إهدار الإمكانيات هنا إذا ما تذكرنا العدد الضخم للمسميات الجديدة التي تصرخ فينا كل يوم طلباً لأسماء تتسمّى بها، وهو الصراخ الذي يصل أحياناً إلى ما يُسمى بـ "مجمع الخالدين". فيحدث أحياناً أن يستجيب له، إلاّ أن استجاباته تلك، يثير بعضها على الأقل سخرية القاصي و الداني.

و عود على بدء لماذا ترجم د. العطار عبارة:

una ansiedad desesperada

إلى: "شوق غير متوقع"؟

حقيقة الأمر أن هذه ترجمة غير متوقعة من سيادته! و لقد كان "الجنديان" أكثر توفيقاً في ترجمتها إلى: نهم محموم. و عاد "التفاصح" كي يطل برأسه، ومعه "الإلتصاق" في ترجمة سيادته لهذه العبارة:

mientras se iban quitando la ropa

على هذا النحو: "أثناء مضيّهما في خلع الملابس". و لقد كان "الجنديان" أكثر توفيقاً، مرة، بسلوكهما أقصر الطرق: "فيما كانا يخلعان." و مرة أخرى عندما أضافا، ما لا يحتاجه النص الأصلي في لغته، بينما تحتاجه اللغة التي ينقلان إليها، و أقصد نسبة الملابس إلى الرجل و المرأة في إضافة يسيرة لكنها مرغوبة و محمودة، إذ أضفت مسحة من الدفء و الحميمية، إفتقدهما النص العربي الآخر. و

لما أضاف د.العطار في عبارته فعل الإختفاء: "فاختفت مستحيلة إلى لا شيئ"، و حذف كلمة: practicamente وتعني "عملياً" و استخدم فعل "إستحال" الذي أنكر إنتشاره في "فصحى" و الأولى "تفاصح" النصف الأول من القرن العشرين في مصر في ترجمته : convertida بدلاً من: "تحَول" شعرت بالأسف. و رجع أسفي، في شطره الأعظم، إلى أن الإرهاق كان قد سرح من يده إلى قلمه، بينما واصل سيادته العمل. فالإضافة ألحقت ضرراً بالترجمة لا يقل عن الضرر الذي أنزله بها الحذف فيما لم يفدها "التفاصح" و قل "الجزالة"، بخرة واحدة، أي أن "إلتصاقه" سواء باللغة التي ينقل عنها أو ينقل إليها، أو حتى إبتعاده عن كليهما زرع شلالات و جنادل و أخواراً في وجه تيار النهر الذي ينبغي أن يراعى المترجم الكفء إنسيابه. أما ترجمة د. العطار لعبارة:

"piernas tan delgadas que no le ganaban en diametro a los brazos de."

إلى: "سيقان جعلت طولها أقل من قطر ذراع ". فهذه ترجمة تعقد لساني، فلا أستطيع وصفها، ربما بسبب تربيتي الصارمة في ريف مصر. وليس أمامي سوى أن أتعلل بأن في الأمر خطأ مطبعياً قاتلاً، لم أستطع رصده. وإذا كان لي أن أصدر في خاتمة المطاف حكماً ما بعد الموازنة بين الترجمتين، فإن ضميري لا يسمح لي إلاّ أن أفضّل الترجمة اللبناني، المنقولة عن لغة غير اللغة الأصلية لهذا العمل الروائي.

أجدني الآن وقد وصلت إلى نقطة لا يجدي معها سوى بعض العزاء. و هنا أستعيد مع القارئ الكريم فقرة ترجمها أستاذ جليل هو: مصطفى كامل فودة ، الذي ينتمي إلى الرعيل الأول من المترجمين المصريين، أقتطفها من رواية "أرض البشر" للفرنسي الروعة" انطون دي سان اكسبيري"، التي إنحفرت منها، لفرط عذوبتها، صُفَح كاملة في ذاكرتي التي تتسرب من ثقوبها حتى أجمل الأشعار. و يستطيع القارئ الكريم أن يتأمل بإمعان، عند المقارنة مع النص الفرنسي الذي أبدأ بإثباته، ما الذي حذفه أستاذنا "مصطفي فودة " و ما الذي أضافه؟ ما الكلمة التي ابتعد عن معناها القاموسي قليلاً كي يقترب من معناها في السياق. و في جملة واحدة: كيف سيطر الأستاذ، بقوة حريرية الملمس، على اللغتين، المنقول عنها و المنقول إليها، سيطرة مكّنت المعاني من الإنسياب في دقة و رقة من نهر اللغة الفرنسية لنهر عربية مصر إلى الحد الذي بدت معه هذه الفقرة، و الرواية كلها، و كأنها مؤلّفة، و ليست مترجمة، وهو الأمر الذي يقدّم سنداً جديداً إلى فرضيّتي بأن

عملية الترجمة نوع من الخلق و الإبداع، وفي أقل القليل تستطيع أن ترقى لأن تكون كذلك:

La terre nous en apprend plus long sur nous que tous les livres . Parce qu'elle nous resiste . L'homme se decouvre quand il se mesure avec l'obstacle. Mais , pour l'atteindre , il lui faut un outil . Il lui faut un rabot , ou une charrue . le paysan , dans son labour , arrache peu a peu quelque secrets à la nature , et la verité qu'il degage est universelle . de meme l'avion , l'outil des lignes aeriennes , mele l'homme à tous les vieux problemes. (42)

تعلّمنا الأرض عن أنفسنا أكثر مما تعلّمنا الكتب جميعاً، ذلك لأنها تقاومنا. و يعرف المرء نفسه عندما يقيسها بما تصادفه من عقبات. ولكن لا بد له من آلة ليصل إليها. لابد له من محراث أو مسحاة. فعندما يحرث الفلاح الأرض يقتلع بعض أسرار الطبيعة شيئاً فشيئاً، و الحقيقة التي يستخلصها، هي حقيقة عامة. و هكذا الحال في الطائرة، آلة الخطوط الجوية ، إنها تضع الإنسان في صميم المشاكل القديمة كلها. (٤٣)

حقيقة الأمر أن هذه الترجمة تقترب من مشارف الكمال، لولا أن عابتها آفة التفاصح في كلمة واحدة هي: مسحاة. ولست أدري ما إذا كان من الأوفق أن يكون المترجم الجليل قد ترجمها بكلمة "فارة" الأكثر قرباً إلى الفهم و الإفهام والأولى التفهيم، على ما تنطوي عليه من "عامية".

و من اللغة الإنجليزية أستطيع أن أسوق هذا النموذج على الترجمة التي تصل إلى مشارف الخلق والإبداع:

Too much time and energy has been spent studying the origins of the Egyptian gods.It is vain,for example to seek for the prehistory of Osiris until one knows what sort of god he was in his heyday.(44)

أي هذه الفقرة التي تُرجمت ببراعة عالية على هذا النحو:

"أسرف العلماء في إنفاق وقتهم و تبديد طاقتهم في دراسة منشأ الآلهة المصرية. و من العبث أن نبحث في نشأة "أوزيريس" مثلاً، قبل أن نعرف أي إله كان (هو) في أوج زمانه."(٤٥)

و نلمس هنا كيف استطاع المترجم البارع أن "يعجن"، بالمعنى الراقي للكلمة الجملة الإنجليزية كي "يخبزها" في اللغة التي ينقل إليها أي العربية. فالمترجم "يبتدع"، إستناداً إلى السياق بطبيعة الحال، فاعلاً كان مستتراً في الجملة الإنجليزية المبنية للمجهول، هو "العلماء"، ويسوق نحو و صرف الجملة العربية الجديدة وفقاً لهذا الفاعل.

و كم كنت أود أن أمضي هذه المرة دون إبداء أي تحفظ، لولا أن الأمر يتعلق هنا بدرجة أكبر من السلاسة التي أرى أنها كانت لتتحقق لو استبدل سيادة المترجم حرف العطف "الواو" بشقيقه "الفاء" في الجملة الثانية كي تجري على هذا النحو:

"فمن العبث كيت وكيت."

و هنا تكون علاقة أقوى، في رأيي، قد انعقدت بين الجملتين، الأمر الذي يساعد في إبراز المضمون أمام عيني القارئ الكريم.

xxx

و لعل القارئ النبيه يكون قد لاحظ أنني أشرت في ثنايا حديثي، بالتلميح، دون التصريح، إلى معوق قد يكون هو الأخطر بين معوقات عملية التترجيم و هو: "التوجيه". و لسوف أضرب عليه مثلاً أو مثلين و حسب، رغم تفشّيه في ترجماتنا دون حساب:

فلقد صادفت من يترجم كلمة " "Dominacionالتي تعني "سيطرة" إلى: "حكم" في العنوان الذي يقول:

Historia de la Dominacion de los Arabes en España.

إلى:

"تاريخ حكم العرب في أسبانيا"

و يترجم سيادته كلمة: " Reconquista إلى "استرداد"(٤٦). وصحيح أن قاموس" كورنتي" ، الأسباني - العربي، يترجمها كذلك. و لكن لصاحب القاموس غرض ما، لست أدري، على وجه التحديد، ما هو. لكنني أظن أنه يتمثل في مباركة شكل ثقافي محدد، يسعى الغرب، وأسبانيا جزء منه، إلى تسييده في المنطقة التي تمتد من المحيط حتى الخليج. و في سبيل هذه المباركة يفاجئنا سيادته بأن الأسبان كانوا سعداء لاحتلال العرب لبلادهم، و بأنهم نادمون على تحريرها، و بأن مؤلف قصة الأطفال المشهورة: "المحارب نو القناع"El Guerrero del Antifaz كان عدواً لدوداً لأسبانيا!

في سائر الأحوال شاءت الصدف وحدها أن تهتك الستار عن هذا التوجيه البين، عندما ترجم سيادته، في نفس القاموس كلمة: " Conquistaإلى: "فتح" و "غزو". وبناء عليه لا يمكن أن تكون إضافة السابقة: " "reإلى الكلمة، لتكفل ترجمتها إلى: "استرداد"، وهي الترجمة التي تعكس سوائية غير صحيحة بين أصحاب البلاد الأصليين و الغزاة المستوطنين، وكأن هؤلاء و أولئك كانوا يتناوشون وراء كرة و لا يتحاربون في سبيل وطن. و كان من الأوفق أن يترجمها إلى"رد الغزو" و الأكثر توفيقاً، إلى "تحرير أسبانيا".

لكن الحاصل أن هذا المعوق لا ينصب على الجانب العقلي بل يتجاوزه إلى الجانب الخلقي بأرقى معني للكلمة، أي القيم الإنسانية الكونية دون الأحكام المنغلقة الصماء التي تختلف، إختلافاً شاسعاً، وغير قابلة للنقاش، من نسق لاهوتي إلى آخر. غير أن هذا المعوق، يضع صاحبه، خارج نطاق مملكة التترجيم، جملة وتفصيلاً. و أظن أن الحوار مع أمثال سيادته ضئيل الجدوى. و لذلك قررت ألاّ أضمه إلى المعوقات الثلاث، التي تقبل الحجة والحجة المضادة، وإن انطوى ذلك المعوِّق في رأيي، على خطورة بالغة، في وجه عملية التترجيم.

الفصل الخامس

عملية التترجيم

(٥-١) صف الكلمات رأسياً:

أعود إلى الفصل الأول الآن وأستعيد المادة القانونية في شريعة "نابليون"، تلك التي مررنا لها بترجمتين:

L'enfant conçe pendant le mariage a pour père le mari.

- "الزوج هو والد الولد الذي تحبل به أمه أثناء الزواج."

- "كل طفل تحبل به الزوجة أثناء الزواج يعد الزوج أباه"

أمام هاتين الترجمتين، يحق للمرء أن يسأل هذا السؤال:

لماذا قُتل" المعنى المراد في الترجمة الأولى التي لا أستطيع وصفها، رغم كل شيئ، بأنها خاطئة تماماً، و لماذا جاء على درجة أكبر من الوضوح و التحديد في الترجمة الثانية؟

ينبغي، بادئ ذي بدء، أن نصرف النظر عن ترجمة كلمة L'enfant بـ "الولد"، على ما فيها من إهمال كل ذكر للـ "بنت" التي تشملها الكلمة الفرنسية. حقاً هناك صيغة مؤنث لكلمة "طفل" التي استخدمناها، أي "طفلة" في اللغة العربي، ولكن ينبغي علينا كمترجمين و كتاب أن "نضطهد" هذه الصيغة، قدر ما نستطيع، كي نستخدم هذه الكلمة بالذات، في صيغة "المحايد": Neutral، باستمرار، أي بما يشمل الجنسين معاً، خصوصاً و أن الإختلاف بينهما لا يكون ناضجاً في هذه المرحلة العمرية. ومعنى القول أن "نخلق" مقابلاً تام التقابل لكلمتي: enfant الفرنسية و childالإنجليزية و kindالألمانية الخ. و لكن هذا الإضطهاد أمر يكون أكثر صعوبة مع كلمة "الولد" التي لا يعتمد جنسها(gender)، مثل كلمة "طفل" على غياب أو حضور "تاء" التأنيث. و بعد ذلك نلاحظ أن الترجمة الثانية نجحت في صف والأولى إعادة صف كلمات الجملة، نظرياً، بطبيعة الحال، رأسياً. وهنا أدركنا أن كلمة "a"، وهي عبارة عن أحد تصريفات فعل الملكية في الفرنساوي في حالة الحاضر أو إذا شئت المضارع، تقف على رأس العمود الذي نصبناه أمامنا، للحظة واحدة، كي نقنص المعنى المقصود، وهي الكلمة التي سقطت تماماً في الترجمة الأولى، أي سقطت هي وكل بديل آخر لها. أما عملية التترجيم في المرة الثانية، فإنها لم تهمل المعنى، وإن كانت قد أهملت الكلمة ـ الفعل، إذ استعاضت عنها بكلمة "يعد". وما كانت لتنجح في ذلك لولا إدراك المترجم هنا أي الحر الفقير للأهمية القصوى للكلمة في هذا السياق. و بذلك استطاعت عملية التترجيم هنا أن تنقل المعنى القانوني الدقيق، الذي ينكّرنا بالقاعدة القانونية العربية التي تقول: "الولد للفراش"، و يبدو أن المشرّع هنا، سكت في منتصف الطريق، ولو كان له أن يضيف شيئاً لأضاف: "سيّان عجب الأب "جوز الأم" و لاّ ما عجب ش".

و على نفس النول، أو المنوال، عندما يصادف مترجم مبتدئ هذا النص الذي ورد في مقدمة "جاستون ماسبيرو" للأغاني الشعبية التي جمعها من زمام أسيوط بالوجه القبلي في سنة ١٩٠٧:

Le peuple chante beaucoup en Egypte, à la maison et dans les fêtes privées comme aux champs, sur le fleuve, et pendant les cérémonies de la vie courante.(47)

و يترجم الجملة الأولى إلى:

"يغني الشعب كثيراً في مصر."

فعندئذ نستطيع أن نقول أنه صنع ما ينبغي عليه. ولكن مترجماً آخر أكثر دُربة يستطيع أن يترجمها إلى:

"المصريون كثيرو الغناء."

و هكذا فإن المترجم الثاني، المخضرم، يكون قد نجح في صف الكلمات التي تمتد أفقياً، في وضع رأسي. وقاده ذلك إلى أن كلمة " "beaucoupتقف من حيث الأهمية على رأس ذلك العمود، تليها مباشرة كلمة "Egypte"، ولما كان هذا المترجم أي الحر الفقير، يدرك أن النص الأصلي ليس سوى منصة للقفز إلى المعنى المراد، فلقد "عصف" بالبنية النحوية للعبارة الفرنسية، أي ابتدع فاعلاً آخر، خلاف الفاعل في العبارة المنقول عنها هو المصريون. ثم أبرز الكلمة التي تشير إلى كثرة غنائهم، خصوصاً و السياق ينتصر، بقوة، لهذه "القراءة" الأكثر عمقاً للعبارة:

"فهم يغنون في بيوتهم وفي الحفلات الخاصة مثلما يغنون على ضفاف النهر و الرياحات و الترع، وخلال طقوس الحياة اليومية".

xxx

(٥-٢) عن نبالة بعض الكذب:

يلاحظ القارئ النبيه أنني تناقضت، إذ بينما امتدحت الحذف (الفصل الأول) والإضافة (الفصل الثاني) وصفتهما معاً بـ "جريمتين" تحرمان المترجم من دخول مملكة المترجمين، لو كان لهم مثل هذه المملكة، في الفصل الثالث. وحقيقة الأمر أن المترجم الذي حذف كلمة etمن العبارة اللاتينية التي كانت ترجمتها موضع مدحي أي :

Divide et empera

لم يحذف شيئاً لا من المعنى عند أي مستوى منه ولا من ظلاله. و كذلك من

يضيف كلمة "تربطها" في عبارة:

"لم تكن تربطها مع (و الأولى بـ) الزوج ."

بدلاً من عبارة:

"لم تكن مع الزوج . "

فالحذف والإضافة هنا لا يمسّان مجال الدلالات Semantiqueمن قريب أو بعيد، و لا يخرجان عن البنية الصرفية ـ النحوية للجملة المترجمة، وهو الأمر الذي يسوّغ للمترجم، ألاّ يلتزم البتة بطول العبارة أو الجملة أو السطر الشعري عند عملية التترجيم. أو على الأقل هذا ما يجيزه مترجم مثل "دونالد فريم" على هذا النحو:

" يبدو أن الإختلاف في الطول من لغة إلى أخرى أمر لا غضاضة فيه: فعملية التترجيم تجعل النص في غالب الأحيان أطول. ولو أن اللغة الإنجليزية عادة ما تكون أشد إيجازاً."(٤٨)

و يكاد الموقف من الحذف والإضافة أن يوازي الموقف من الكذب. فالكذب رذيلة، مافي ذلك شك، ويعد، في رأيي، أكبر الرذائل. ولكن بعض الكذب فضيلة بلا جدال. وإلاّ عجزنا عن توصيف، أي عن تسمية والأولى عن رؤية نبالة الرد "الكاذب" بالإيجاب، الذي رده الثائر الطيب القلب، الذي كان ينتظر في فقر طاحن وصول معاشه الإستثنائي الذي قررته الحكومة عقب إلقاء الثوار للسلاح، على زوجته عندما سألته في رواية "مافي ش جوابات للكولونيل"، عما إذا كان لا يزال في الحُق بُن يكفي لكنة قهوته، بعد أن كَحَت، دون أن تشعر، آخر آخر حبيبات البن في كافة جوانب الحُق من أجل كنة قهوتها. و نفس الأمر ينطبق أيضاً على "الكذبة الصريحة" التي تطوعت بها "إسمينا"، في مسرحية "أنتيجونا" إحدى روائع "سوفوكل"، على خالها" حاكم "طيبة" بأنها شاركت أختها "أنتيجونا" في تحدي سلطته بأداء مراسم الدفن بإجلال لأخيهما، هي و "إسمينا": "بولينيسيس"، رغم الأوامر الرسمية التي صدرت في هذا الشأن.

و يبدو لي أن التعريف الذي يقول أن الكذب يساوي عدم قول الحقيقة تعريف ناقص. فالشاعر لا يقول الحقيقة و كذلك الطبيب الذي يخفي حقيقة مرض خبيث عن مريضه، وكذلك الضيف العفيف الذي لم يكن قد تغدى، و يرد بالإيجاب على سؤال مضيفه عما إذا كان قد تناول غداه. فهؤلاء لا ينطبق على أي منهم ذلك التعريف. و

بذلك يحتاج تعريف الكذب أن تُضاف إليه هذه العبارة:

"بهدف تحقيق مصلحة شخصية غير مشروعة أو تفادي نزول عقابٍ مستحق، سواء أكان مؤكداً أو محتملاً."

وإذا صادفنا جملة من هذا النوع، عند عالم المصريات "دونالد ريدفورد":

They (The Hyksos) are not kings of Egypt, but rulers of and from alien lands who have, however,."(49)

وترجمناها إلى:

"هم ليسوا ملوكاً لمصر، بل حكاماً لـ / وقادمين من."، لما كان هناك ضير، لكننا إذا أضفنا كلمة واحدة على هذا النحو:

"هم ليسوا ملوكاً لمصر وحسب، بل كانوا." لكان هناك خير أكيد للمعنى الذي يبرز عندئذٍ و يسطع أكثر عن ذي قبل. وعليه فإن الإضافة هنا لم تثقل المعنى بل حررته و أطلقته.

و هذه إضافة من نوع الإضافة التي أضافها "أنتوني كيريجان" عند ترجمته لهذا السطر:

Si me preguntàis en donde he estado..(50)

على هذا النحو:

If you should ask me where I've been all this time..(51)

(٥-٣) : عن الشرح و التترجيم:

تنطوي عملية التترجيم في جانب منها على شرح. و لعل هذا ما نلجأ إليه عند التحرير الأمين. فنحن نستطيع أن نقول "دمياط" و كفى. و لكننا نستطيع أن نشرح ما نقصده و هل هي المدينة أو المحافظة؟ كما نستطيع أن نضيف أيضاً ما يقربها من ذهن القارئ مثل:

- إحدى محافظات الوجه البحري.

- محافظة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

- كانت تشتهر بالجبنة التي تُنسب إليها على هذا النحو: "الجبنة الدمياطي" الخ

عندئذ، نكون أضفنا و لم نُضف، بمعنى أننا نكون قد شرحنا أي عمَّقنا الإسم و حسب.

و لقد اقترحت في الفصل الرابع ضرورة ألاّ يكتفي المترجم بترجيم كلمة soli-aman في رواية "ماركيز" إلى "السليماني" و يمضي، بل كان يجب عليه أن يضيف كلمة أو كلمتين يقرِّبان معناها من ذهن القارئ. و على نفس النول ينبغي على المترجم أن يشرح، أي يعمِّق المعنى رأسياً دون أن يوسعه أفقياً. أي أن "دمياط" لا تقبل أن نضيف إليها هذه العبارة مثلاً:

- ظلت تقيم ،حتى وقت قريب مولداً كبيراً لـ "سيدي أبو المعاطي" حتى ألغاه "متعلم مصري" أي ناقص المصرية و لم يكن سيادته سوى محافظ "وهّابي" الهوى.

و لو أن ذلك حقيقة واقعة. و كذلك "باريس" تقبل أن تكون:

- عاصمة فرنسا.

- التي تضم جامعة السوربون.

- التي تستضيف منظمة "اليونسكو".

- التي يصل تعدادها إلى كذا.

- التي تأتي بعد أو قبل مدينة كذا في كذا.

و لكنها لا تقبل، بالمرة، أن يضيف المترجم إلى الكلمة، على سبيل المثال هذه الإضافة:

- التي تأوي أصوليين إسلاميين.

ولو أن ذلك صحيح صحة موثَّقة، و ذلك لأن المترجم يكون هنا قد "وسَّع" معنى

الكمة ـ إسم العلم، وهو أمر يختلف اختلافاً ملموساً عن تعميقه.

و نفس الأمر ينطبق، ولم لا، على "نيويورك" التي تقبل أن نضيف إليها:

ـ التي تضم المقر الرئيسي لمنظمة الأمم المتحدة.

ـ التي تعد مركزاً تجارياً و مالياً عالمياً.

ـ الواقعة على الساحل الشرقي للولايات المتحدة. الخ

و لكنها لا تقبل، بالمرة، أن نضيف إليها:

ـ التي يطلقون عليها "جو يورك" Jew York لسيطرة اليهود عليها.

(٥ـ٤) المترجم خالقاً للغته:

دعا شخص حسن الإسلام صحيحه ـ و دع عنك رأي خصومه من أبناء كاره الأكثر تشدداً ـ الشرقيين إلى إخضاع الغرب لدراستهم، مثلما يخضع الغرب الشرق لدراسته. و هذه دعوة رائدة و نبيلة بل و عظيمة، تماماً مثل معظم مثيلاتها. و لا يكاد يعيبها سوى أنها سابقة قليلاً لأوانها. فسيادته يعرف بكل تأكيد، أن الغرب بدأ مع فيلسوف اليونان العظيم "سقراط" بـ "إعرف نفسك بنفسك" و بـ "العلم فضيلة و الجهل رذيلة" أي أن الغرب بدأ بدرس ذاته قبل أن يدرس "الآخر" مع إعلاء كبير لشأن العلم "البشري" الناقص والمتغير، دون "اللدني" الكامل و الثابت و المقدس. و إذا كانت النتيجة المترتبة على ذلك أن درس الذات مقدمة ضرورية لفهم "الآخر"، جاز لنا أن نتساءل عن المهام التي نهض بأدائها المثقفون الغربيون بالنسبة لثقافاتهم القومية، ولا تزال مطروحة على "مثقفينا" لو كان لهم وجود. و أول هذه المهام في تصوري كان "وصف" واقعهم المادي و المعنوي على حد سواء وصفاً موضوعياً مجرداً من الأهواء و التحيزات المسبقة، أي إخراجه من دائرة الأحكام الكيفية إلى دائرة الأحكام الكمية، وبعبارة واضحة: الإنتقال من لغة الجعير إلى لغة الهمس، وبعبارة أشد وضوحاً: من الكلمات الكبيرة إلى الكلمات الصغيرة أي المحددة التي لا تلتبس مع غيرها من كلمات أي مع غيرها من إشارات و مفاهيم و تصورات، حتى يسير التفاهم بصورة ناصعة. و بذلك يضع هذا "الشرق"، الذي لم يعد يعني، والحالة هذه، سوى "غرب آسيا" التي تسعى إلى تحويل شمال شرق أفريقيا إلى نتوء لها في

القارة السوداء، قدميه على بدايات الطريق نحو معرفة نفسه قبل محاولة معرفة الآخر، اللهم إلاّ إذا كان المطلوب هو "الحكم" على هذا الآخر، مثلما يفعل التعليم الراهن في مصر و المنطقة المحيطة المسماّة بالعربية. و لو كان هذا هو المطلوب لكان أمراً هيّناً. لكنه غير ذي جدوى في نفس الوقت. فلقد ذهب "الهجاء" القديم لـ "الآخر" مع عكسه أي "المديح" لـ "الذات" أدراج الرياح. و لم يلحق ضرراً بذلك "الآخر"، كما لم يأت بفائدة ما على "الذات"، كما ظن الهجاءون - المداحون أن هجاءهم - مديحهم سيفعل. وما حدث في الماضي سوف يعود للحدوث على سبيل الترجيح في المستقبل طالما توفرت نفس العوامل التي أدت إلى حدوثه. ومحاولة ابتعاث تقاليد الهجو - المدح، والأولى الردح - المدح، لن تؤدي، في نهاية المطاف، إلاّ إلى خداع الذات. فلقد ظل من يسمّون أنفسهم بالعرب يردحون لـ أو "يهجون" عدواً لهم مثل إسرائيل، و "يمدحون" ذاتهم أي أنفسهم مع أشقائهم، و على وجه التحديد أنماط تفكيرهم وبعبارتهم الأثيرة: معتقداتهم و عاداتهم و تقاليدهم، وبعبارة "علمائهم" الأفذاذ، مطلقاتهم و ثوابتهم ومقدساتهم. وها هي إسرائيل و هاهم وأشقاؤهم. و كان الأجدر على "متعلم مصري" أو شرقي مسلم - إذا استشعر إنقاصاً لشخصه في وصف سيادته بـ "مصري" أي حفيد الفراعنة/الكفار- أن يدعو إلى "وصف" الذات وصفاً علمياً أي موضوعياً، وهذه مقدمة لا غنى عنها على طريق "وصف" الآخر بدلاً من امتشاق سيف الكلام، ودمغ الإنتاج العقلي لذلك "الآخر" بالقيء"، كما بادر سيادته و فعل.(٥٢)، ضارباً بذلك المثل الأعلى، وقل القدوة، أمام المشرقيين الجدد أي "العروبيين الإسلاميين".

هذا استطراد مني على هامش ما نحن بصدده، لكنني أرى له بعض الجدوى في إطار المعضلة التي يواجهها المترجم سواء من اللغة العربية أو إليها: الكلمات الكبيرة، تلك التي تعني أشياء كثيرة في نفس الوقت. و لعلني أذكر، بمرارة، ذلك الجهد الذي كنا نبذله، و الأولى نهدره في محاولة معرفة ما الذي يقصده على وجه التحديد "مصطفى لطفي المنفلوطي"، على سبيل المثال، عند محاولة ترجمته إلى اللغة الإنجليزية في قاعة الدرس في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب، جامعة القاهرة. و لقد سقطت، وما كان لها ألاّ تفعل، كلمات ناثرنا الكبيرة من ذاكرتي. ولكنني أتوقف أمام كلمة واحدة كبيرة من نفس ذلك النوع : "الفحشاء" التي تنطوي على "حكم" متعالٍ على الواقع دون محاولة "وصفه" أي الإقتراب منه. و كانت هي إحدى الكلمات التي عزّ علينا على ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية. و بعد أن عصرنا عقولنا، لم نجد ولم يجد مدرّسنا، هو الآخر، ترجمة لها سوى كلمة "sin"، تلك التي لا تعني أكثر من "زنا"!

و بطبيعة الحال هناك فرق بين ما أعنيه بـ "الكلمات الكبيرة" و "الكلمات الفصيحة". ولعلني أذكر في هذا الصدد عبارة الإمام علي بن ابي طالب:

أشباه الرجال و لا الرجال!

فلقد نجحنا في ترجمتها بسهولة و سرعة نسبيتين إلى:

You look like men, but men you are not !

***

يخطئ من يظن أن المترجم ينقل من اللغة التي يترجم عنها، أفكاراً و أحاسيس وإيماءات و حسب. فالحقيقة في تصوري أن المترجم ينقل أيضاً صيغاً للتفكير و أطراً للتعبير بل وأنماطاً للسلوك الإجتماعي كذلك. و معنى القول أن المترجم يساهم مثلما يفعل الشاعر و الناثر في خلق لغته التي تساهم بدورها في خلق ثقافته القومية و في نهاية المطاف خلق شعبه، على نحو ما فعل، بادئ ذي بدء، صاحب ملحمة "بيوولف" في خلق اللغة الإنجليزية القديمة، و دع عنك أنه مجهول، و "تشوسر" في خلق الإنجليزية الوسيطة، و"شكسبير" بالنسبة للإنجليزية الحديثة. غير أن دور المترجم هنا ينبغي أن يكون فائق الحساسية، ويكاد أن يكون أكثر حساسية من دور المؤلف القومي ذاته. و لعل السبب في ذلك كامن في أن اللغة المنقول عنها تطرح قيمها، وبالتالي قيم ثقافتها، باستمرارعلى أنها معايير نهائية، الأمر الذي يغري المترجم المتعجل بالإستسلام لمعياريتها تلك، بصفة دائمة. وهو الأمر الذي حذرت منه بصفته معوقاً في الفصل الرابع.

و لكننا نعود كي نضع تحفظاً، دون أي مغامرة بالوقوع في تناقض ذاتي، على هذا التحذير نفسه. فإذا كنا قد حذرنا من الإلتصاق، فليس معنى ذلك أننا نرفض التأثر، بل نرفض درجة معينة منه أو مستوى معيناً له و حسب، خصوصاً و أن اللغة المنقول عنها تضع نفسها باستمرار، وان كان بصفة مُضمرة، في منسوب قيمي أعلى من اللغة المنقول إليها. و لا ضير من أن نتأثر باللغة الفرنسية أو الألمانية اللتين تفرقان بين ضميرين للمخاطب المفرد، أحدهما دون كُلفة و الآخر عندما تكون هناك

مثل هذه المسافة الإجتماعية، هما: tu & vous بالنسبة للأولى و du & Sie بالنسبة للثانية. و كذلك الأمر بالنسبة للغة الأسبانيولي التي تعرف في هذا الصدد ضميريْ usted & ustedes، أي صيغتين أخريين للمخاطب، المفرد و الجمع، إلى جانب صيغتيْه العاديتين، لأداء ما تؤديانه الصيغتان المتكلفتان للمخاطب Vous، Sieفي اللغتين الفرنسية و الألمانية، على التوالي، وهو الأمر الذي لا تعرفه لغتينا المصري و العربي معاً، ويصير على المترجم أن "يكافح" في سبيل نقله في إطار عملية التترجيم. و هو الأمر الذي ينطبق أيضاً على اصرار اللغات الأوروبية على الإشارة إلى الآخر، من باب اللياقة، قبل الذات عند الحديث، سواء أكان الحديث موجهاً إليه أي في صيغة المخاطب أو يدور عنه أي صيغة الغائب، مثال: Usted y yo ,Ustedes y nosotros , He and I &Toi(ou Vous) et moi . كما لا أرى أي ضير في أن ننقل، نحن المترجمين، هذه المرة عن الإنجليز، الإقتصاد في بذل الجهد دون طائل وإهدار الوقت دون فائدة، عندما يشيرون إلى المخبز بقولهم : the baker's، حاذفين كلمة كاملة هي، على وجه التخمين shop، على اعتبار أن السامع لا يغط في النوم، و ليس متخلفاً عقلياً و يستطيع أن يقفز إلى استنتاجها دون تردد. و بناء عليه يجب علينا أن نعجب كل العجب لإصرار الفصحاء منا على أن يقولوا و يكتبوا، بسعادة مفجعة: قضى سنة ونصف سنة! ويحق للحر الفقير هنا أن يدعو نهاراً جهاراً زملاءه من الكتاب و المترجمين أن يلقوا بهذه الفصاحة البائسة على قارعة الطريق ويقولوا و يكتبوا: "سنة ونصف"، باعتبار أن السامع في بلادنا، ينتمي، وكذلك القارئ، لنفس الفصيلة التي ينتمي لها الإنجليز، و لن يفهم مهما كان مستوى ذكائه: "قضى سنة و نصف بطيخة"! على سبيل المثال.

و في العصور القديمة نقل اليونانيون و الرومان القدماء عن اللغة المصرية القديمة كل ما كانوا في حاجة إليه من كلمات و مفاهيم و تعابير مصرية صرفة بنصها و هجائها، خلال ما يُعرف بالـ transliteration إلى لغتيْهم، اليونانية و اللاتينية. و لو أن الغربيين باتوا ينسبونها، في قواميسهم، إلى اليونانيين أحياناً أو الرومان أحياناً أخري، مثل كلمةAlchemy (53) في حين تلتزم شعوب أخرى درجة أكبر من الموضوعية في هذا الصدد كالهنود.(٥٤)، ومثل كلمة "هيروغليفي" التي علّمنا "التعليم" في مصر أن الكلمة يونانية أطلقها اليونانيون على لغة المصريين (هكذا)!. و بطبيعة الحال ليس ذلك صحيحاً تام الصحة. فالكلمة ترجمة، مورفيم مقابل مورفيم، لعبارة: "ميدو- نوتر و نفس الأمر بالنسبة لكلمة "النيل"، التي لا نكاد نعرف عنها، نحن ضحايا "التعليم المصري" سوى أنها إما

عربية كنتيجة ساذجة لكتابتها بالحروف العربية النبطية الأصل وإما يونانية، بمعنى الإسم الذي أطلقه اليونانيون على نهر مصر. و بطبيعة الحال الشاذ هذا، لا يعرف أحد من المصريين المعاصرين من كتابه المدرسي أو المعهدي أو الجامعي شيئاً عن الكلمة القبطية مثلاً التي أطلقها المصريون القدماء على نهر بلادهم واستمروا يطلقونها عليه في هذه المرحلة من مراحل لغتهم: (NIAAO)

و في العصر الحديث، عندما يجد المترجم نفسه أمام كلمة لا تملك لغته مقابلاً معقولاً لها، فإنه إما أن ينقلها كما هي مثل كلمة "مصطبة" التي لم يتردد علماء المصريات الأوروبيين، في نقلها إلى لغاتهم خلال ما يعرف بالـ Transliteration على هذا النحو: Mastaba أو يحاول نحت أو صوغ مقابل لها في لغته مثلما فعل عالم المصريات الكبير "جاستون ماسبيرو" أمام كلمتي: «زغرودة» التي نقلها إلى: Un cri de joie، و رقوة (أو رقية لمن يشاء) إذ صك لها ببراعة فائقة، هذا التعبيرالقريب من المعنى: . Passe magique و لعلنا نعرف أن الريفيين في دلتا مصر، على الأقل، كانوا و لا يزالون يسمُّون الرقوة: تعليسة. ولكنه نقل كلمة "العريس" و "العروسة" في السطر الذي يقول:

دخل العريس في قصرها بيدوُّر

يلقا العروسة (عن) النجف بتنوُّر.

مرة إلى:

Le marié est entré au chateau de la mariée .(55)

إلاّ أنه نقلها في السطر الذي يقول:

ريَّان ريَّان قُليب الخس ريَّانة

لو شفتها يا العريس في الطشت عريانة.

إلى:

Ruisselant, ruisselant, petit coeur de laitue, ruessilant!

Si tu l'avais vue, o fiancé, dans la cuve, toute nue! (56)

و بطبيعة الحال لا يملك المرء سوى إكبار العالم الكبير خلال "كفاحه" ذاك، في نقل معاني و ظلال الغناوي و العديد الأسيوطي من اللغة المصري الحديثة. فاللغة الفرنسية لا تعرف سوى: "خطيب" fiancé و "متزوج" . marié و لكنها لا تعرف كلمة توازي كلمة "عريس" أي المتزوج حديثاً. و هذا هو السر وراء اضطرار "ماسبيرو" إلى التردد بين ما يوازي "خطيب" و "متزوج"، في ترجمته للكلمة.

و على نفس النول، إمتصصنا تعابير أجنبية في لغتنا الرسمية أي العربية، أذكر منها و على سبيل ضرب الأمثلة وحده:

To play a role.(ou bien "jouer un role)

To adopt an idea, a resolution etc.

Les boites de nuit

فلقد أصبح في إمكان المترجم بل و الكاتب، أن يستخدم عبارة "لعب دوراً"، بدلاً من "أدى دوراً"، و"تبنى البرلمان فكرة أو مشروع قرارعوضاً عن "وافق على ."، و"لعب الليل" الخ.

و لا يقف الأمر عند هذا الحد، فالإنفتاح على اللغات الأجنبية يوسع الآفاق و يعمل على تسييد الأكثر منطقية، أي الأسهل والأسرع في تحقيق الغاية المنشودة من اللغة: التفاهم. وقد يجهل كثيرون أن عملية التترجيم تقف، بصفة جزئية، على الأقل وراء تخلص اللغة العربية "الفصحى" من تعابير طالما تمتّعت بالفصاحة، وإن كانت في حقيقتها ركيكة أي مربكة مثل "في منتصف الساعة الثامنة" بدلاً من تعبير "في السابعة والنصف"، كما يقول الإنجليز و الفرنسيون و الأسبان و الألمان وسواهم، و كذلك تعبير "ولا سيما" عوضاً عن "خصوصاً" و "التسعينيًات" بدلاً من "التسعينات"، و "زاد إلى الضعفين" بدلاً من "تضاعف" أو "زاد إلى الضعف" و "توأمين" بدلاً من "توأم". الخ

ولعل القارئ الكريم يستطيع هنا أن يدرك السر وراء إطلاق أبناء العمومة الشوام إسم "عصر الأنوار" على ما نطلق عليه في مصر "عصر التنوير". فالشوام امتصوا تعبيرهم من الفرنسية: L' age de lumières، بينما نقلناه نحن في

مصر عن الإنجليزية: Age of enlightment . و هو سر شبيه بالسر الذي يجعل أشقاءنا - أشقاءنا التوانسة يطلقون اسم الوزير الأول Le premier min-istre على ما نسميه نحن في مصر رئيس الوزراء Chief cabinet قبل سيادة: minister Prime في الإنجليزية.

و كثيراً ما يجد المترجم من اللغات الأجنبية و بالتحديد الأوروبية نفسه في موقف مماثل على وجه التقريب. و عندئذٍ يجد أمامه مهمة ابتكار كلمات جديدة و أحياناً أخري أمام حمل معاني جديدة على كلمات قديمة وأحياناً ثالثة أمام ضرورة التمييز بين مترادفات ملتبسة المعاني، وأحياناً رابعة أمام إمكانية صك كلمات جديدة، وكل هذا، في رأيي مشروع.

و في هذا الصدد يحضرني أن اللغة العربية، التي حاولت و لا تزال تحاول دحر اللغة القومية للمصريين تقف، بحكم بنيتها الصرفية الإندماجية و الأولى التدميجية incorporating عاجزة في أحيانٍ ليست قليلة أمام نقل المعنى، مهما اتسم بوضوح ساطع في اللغات التي تتميز ببنية صرفية إلتزاقية و الأولى تلزيقية agglutinative، وكانت بينها، دون شك، المصرية. والمثال الذي يقفز إلى الذهن في هذا المجال هو عبارة: sea water desalination، فالمترجمون يضطرون إلى ترجمتها إلى: تحلية مياه البحر، وهو الأمر الذي قد يعني إضافة شيء حلو إليها، دون أو مع نزع الملح! و غني عن الذكر أن الطبيعة التدميجية للغة العربية تقف سداً حجرياً صلداً في وجه إشتقاق فعل من كلمة "عذْب" أو "عذْبة"، في إشارة إلى الماء والمياه، نظراً لتداخله مع فعل "عذَّب" من العذاب، أي أن الفصحى ترفض ابتداع عبارة "تعذيب المياه" لاشتباكها مع "تعذيب السجناء". كما "تعصلج" أمام تخليق "الصفة" من "الزهرة" - الكوكب - كالإنجليزية: venusian، و إن نجحت مع "المريخ" نجاحاً معقولاً: مريخي: martian. و كذلك الأمر مع اسم "الشرطة"، الذي يلتذ العربيون في مصر باستخدامه عوضاً عن كلمة "بوليس" الأجنبية رغم تعزيز هذه الكلمة لقدرتنا على اشتقاق الصفة منها باستخدام "ياء" النسبة: بوليسي، و خذلان الإسم العربي لنا إذا أردنا اشتقاق الصفة منه نظراً لاشتباكها هنا مع الإسم العام : common name شرطي. و بطبيعة الحال يشكل الإعتراف بهذا العجز البنيوي على مستوى الصرفيات، الذي تعاني منه اللغة العربية "الفصحى"، وسائر اللغات المماثلة مقدمة لا غنى عنها لمقاومته، أي محاولة تجاوزه في حين أن الإستمرار في ترديد الإدعاء الجاهز بفصاحتها، لا يفعل شيئاً سوى تأبيد نقصها و عجزها و تخلّفها.

و لقد حز في نفسي أن يترجم مترجمونا عبارة:

South of Cyprus.

بنفس العبارة التي يترجمون إليها عبارة:

Southern Cyprus.

أي يترجمون كلتا العبارتين إلى: "جنوب قبرص". في حين أن المعنى مختلف في اللغة الإنجليزية. فالأولى تعني أننا أصبحنا في البحر الأبيض المتوسط على الأقل، على عكس العبارة الثانية التي نظل معها على أرض الجزيرة، و هو الأمر الذي تفشل في نقله العبارة المترجمة التي تعكس، في واحديّتها، الحكمة المصرية الساخرة التي تقول : "كله عند العرب صابون". و لكننا نستطيع، مع ذلك أن نفرق بين العبارتين على هذا النحو:

جنوبيّ قبرص.

جنوب قبرص.

و نلتزم بهذا الحل كلما صادفتنا المشكلة التي تستدعيه. وعندئذٍ يتعيّن علينا أن نضرب عرض الحائط و طوله معاً باستخدام "المتعلمين المصريين" للكلمتين: "جنوب" و "جنوبي" بشكلٍ مترادف، من باب الحذلقة وحدها. و أعتقد أن الأمر لا يحتاج مني إلى القول بأن ما ينطبق هنا على الجنوب ينطبق على غيره من الجهات الأربعة أو الأربع(في احتماليْن إعرابيّين جائزيْن كليهما، النعت و التمييز) و لا أراني بحاجة إلى التدليل على استخدام "المتعلمين المصريين" للتعبيرين بطريقة ملتبسة، أي الواحد مطرح الآخر. و يكفي في هذا الصدد أن أذكر، عفو الخاطر هذه العبارة التي وردت خلال الترجمة التي قام بها د. ع. ص. عبد الجليل لتاريخ "يوحنا النقيوسي":

"في حوالي سنة ٥٠٠ ق.م حدثت هجرة من بلاد العرب أدت إلى استقرار الأنباط، وهم من العرب شمالي شرقي جزيرة سيناء"(٥٧)

و واضح أن سيادته يقصد، و دون أن أعرض لهذه المعلومة بخير أو بشر،

"شمال شرق سيناء"، فشمالي الجزيرة ينبغي أن يكون البحر الأبيض المتوسط، أما شرقيها فـ "صحراء" و الأولى "خضراء" النقب، ولكنه استخدم التعبيرين، كما يستخدمه غيره من "المتعلمين المصريين"، بشكل مترادف أي يكتنفه الإلتباس. و على الجانب الآخر كتب دكتور نصف مصري نصف أمريكي في العدد الثامن عشر- يناير ٢٠٠٠ من نشرة جمعية التنوير ص ٥ عمود ٣ عبارة "البلدان الأفريقية جنوب الصحراء"، وهو يقصد: جنوبي الصحراء.

و لقد وقفت أمام كلمة Mongoloid و أمثالها ذات مرة، وضايقني أن أضطر إلى ترجمتها إلى: "شبه منغولي"، مثلما يفعل مترجمون كثيرون، ولو أن "بعلبكي" ترجمها إلى: "مغولاني"، لكنه لم يسترح لهذه الترجمة، على ما يبدو، فترجمها أيضاً إلى: "شبيه بالمغول". وأوعز لي عقل "الأمين المصريين"، الذي أعتز به كل الإعتزاز، إلى استلهام تعبير مكشوف معروف لهم في ابتكار تعبير ينقل إلينا التعبير الأجنبي، ولا أقول الأعجمي، نقلاً أوفق، أي: "كامنغولي"، و قس على ذلك كافة التعابير المماثلة:

"كابشري" مقابل Humanoid

"كازنجي" مقابل Negroid

"كافيروسي" مقابل Viroidالخ.

و عندئذ تتفرغ السابقة" prefixشبه"، مع دعائنا لها بالتوفيق، في أداء معاني: .semi,Sub,etc، وبذلك ننجو مرة من آفة الترادف، على حد وصفي.

كما ضايقني ألاَّ أنجح في التفريق بين كلمة "hunt و كلمة fish وأضطر إلى ترجمتهما معاً، في العبارة التي تقول:

of a community subsisting on intensive hunting and fish-." ing"(58)

إلى"صيد"، ثم أقلق، فأحاول تمييز الواحدة عن أختها بأن أقول "صيد بري" و "صيد بحري" و لكن الصيد الثاني ليس بحرياً و حسب بل و نهري كذلك، وأتساءل هل من الأوفق أن أترجم الثانية إلى "الصيد المائي". وكان انزعاجي هنا شديداً لأن

اللغات التي اتصلت بدراستها في وقت او اخر تعرف، دون استثناء، التمييز بين الكلمتين، بما في ذلك لغتنا المصرية في مرحلتين على الأقل من مراحل حياتها على هذا النحو:

الإنجليزية:	hunt , fish
الفرنسية:	chasser , pecher
الألمانية:	jagen , fischen
الأسبانية:	cazar , pescar
اللاتينية:	Vēnari . piscāri
اليونانية:	ΚΙΝΗΓΕΙ , ΨΆΕγΕΙ
القبطية:	ϭ̄ⲱⲣϭ , ϣⲱϫϥⲧ
الهيروغليفية:	

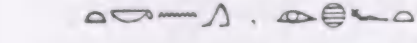

و هأنذا أستقر على مقاومة الترادف بين "قنص" و "صاد"، وأستخدم الأولى بشكل متواتر وحاسم في أداء معنى الفعل: hunt و الثاني في أداء فعل: fish. و كان ملهمي في ذلك، مرة أخرى. "الأميين المصريين"، ولغتهم "العامية" في تعبيراتهم التي تتسم بالتمييز المرهف بين الكلمات، أي بين الأشياء في نهاية المطاف، مما لا يتوقف أمامه "المتعلمون المصريون"، الأول: "صيد السمك غيةّ"، في موالٍ مشهور، و الثاني: "اليهودي قنصني" الذي ورد في قصة "الغزالة" التي ضمنها النبي الكريم "ألف صلاة عليه"، التي يغنيها أو ظل يغنيها الداحون الأميون في ريف مصر حتى وقت قريب نسبياً.

و لا أنسى في هذا المجال أن أدعو إلى إستخدام كلمة: "حس" في أداء معنى:

"Voice"الإنجليزية و "Voix"الفرنسية و Voxالأسبانية وdie Stimme الألمانية، أي الصوت الإنساني، و نقصر "صوت" على أداء معنى: "Sound"، و "son" و " Sonido" و "Sund"أي صوت. و لا ينبغي علينا أن نلقي كلمة "حس" خلف ظهورنا لمجرد انحدارها من جدودنا المصريين القدماء أو نستخدمها بشكل مترادف، مع الكلمة العربية الأصل: "صوت". إذْ أننا نكون بذلك قد فضّلنا الإستمرارعاجزين عن التمييز بين هذه وتلك، سواء في ترجماتنا و سائر كتاباتنا. رغم أنني أقدر الحائط الصلد الذي يعرقل هذا الطموح المشروع نحو مقاومة الترادف و يتمثل هنا في كلمة "حس" العربية أي sense، و سائر مشتقاتها: حسي، حواس، أحاسيس الخ.

و لا يزال مترجمونا يجاهدون في سبيل التمييز بين تعبيري:

"يهدف إلى"، الذي يوازي، على وجه التقريب: to aim at و بين: "يستهدف"، الذي يوازي إلى هذا الحد أو ذاك . to target و على نفس النول يترجم المترجمون كلمة: rational إلى "عقلاني" و هذا ترجيم حسن إلى حد كبير. و لكنهم يفقدون بوصلتهم تماماً عند ترجيم: irrational & non-rational، إذ تراهم يتأرجحون أمام الكلمتين بين: لا عقلاني & غير عقلاني، دون تفريق بين "لا" & "غير" و لست أدري ما إذا كان من الأوفق أن نستقر على ترجيم الكلمة الأولى بصفة منتظمة: غير عقلاني، والثانية: لاعقلاني؟

(هـ) دور القاموس:

يستطيع المترجم أن يبدأ عمله و الأولى فنه من أي نقطة، بما في ذلك "تسليم دقنه" للقاموس، أي أن يبدأ عمله برصد الكلمات الصعبة نسبياً، ثم يأخذ في التقاط معانيها في قاموس أو عدد من القواميس، كما يفعل بعض المترجمين- الميكانيكيين. و لكن لا ينبغي له أن يرضى عن نفسه حتى يقود هو القاموس. كيف؟

قلنا قبل قليل أن مهمة المترجم تتمثل في سوق تيار المعنى و ظلاله في اللغة المنقول عنها كي يسير في إتجاه جديد هو إتجاه اللغة المنقول إليها (الفصل الثاني)، وهو الأمر الذي ينطوي على خلق نهر جديد يوازي نهر اللغة الأخرى. والمترجم الكفء حقاً هو الذي ينصت لهسيس هذا النهر الجديد، حتى يسمعه بصورة

واضحة، وهو الهسيس الذي يستطيع قيادته. و بعبارة غير مجازية، يمكّنه من التنبّؤ، ولو بطريقة تقريبية، بمعنى ما لا يعرف من كلمات أو تعابير حتى قبل أن يلتقط معناها في أحد القواميس، وعندئذ يجد نفسه: إما أن يكون تنبُؤه قد صح أي أنّ تنشينه أصاب، وإما أن يكون قد خاب. وهنا يجب عليه أن يعيد المحاولة، مرة تلو أخرى حتى يتقن هذا الفن. وبذلك وحده يكون قد نجح في قيادة القاموس، أي دخل مملكة المترجمين.

و إيضاحاً للأمر نضرب هذا المثال الذي نلتقطه عفو الخاطر من كتاب "ريدفورد" : "مصر و كنعان وإسرائيل في العصور القديمة":

Kamose uses the *locution* " a *nest* of Asiatics" of the town of Nefrosy.(59)

لنفترض أن المترجم لا يعرف، أو كان يعرف و" سهي" عليه في هذه اللحظة بالذات، ما تشير إليه الكلمات المائلة الخط. لكنه يجب أن يكون قادراً، مع ذلك، على معرفة أن "kamose" اسم شخص أو علم و أن "Locution" لا بد و أن تكون "تعبير"، أما كلمة "nest" فلا يمكن أن تكون "عش" حتى لو أخبرنا بذلك قاموس ما أو أشارت علينا ذاكرتنا بذلك. و إذا ترجمها على هذا النحو:

" يستخدم "كاموسي" تعبير "عش الأسيويين" لمدينة "نفروسي". ينبغي له أن يستشعر بعض القلق. فهسيس النهر الآخر يجب أن يكون قد حمل إليه أن "كاموسي"، بطل و شهيد حرب تحرير مصر من الهكسوس يتعذّر عليه أن يصف تلك المدينة "الهكسوسية" أو أي مدينة مماثلة بأنها "عش"، وبالتالي يتعين عليه أن يخمّن أن هناك كلمة أخرى، أقل دفءاً و أقل حدباً و أقل احتضاناً. وعندئذ يستشير القاموس الذي تحت يده. وإذا وجد أن تخمينه في هذه النقطة قد صدق صار في طوعه أن يطمئن إلى سيره في الإتجاه السليم. و هنا يحق له أن يترجم جملته بثقة أكبر على هذا النحو:

"يستخدم "كاموسي" تعبير "وكر" الأسيويين في وصفه (أو إشارته) لمدينة كذا". و أرجو ألاّ يفقهني أحد بالمعنى القاموسي لكلمة "وكر"، فهذا أمر، أما الإرتباطات الذي ربطها بها الإستعمال اللاحق فأمر آخر.

وعندما يقول "ريدفورد" في نفس الكتاب:

The remnants of the Hyksos fled across.." p.129"

و تقع هذه الجملة من نصيب مترجم مبتدئ ممن يعتمدون على القاموس، أي يترك له زمامه، فلن يجد مقابلاً لها مما يرضي مترجماً أكثر دُربة. فالقواميس لا تعرف لها معنى سوى: بقايا، فضل، فضلات، بواقي الخ.

و لكن الجملة تسكن اللغة العربية، وحسب، بنقلها إلى:

"فر أو ولّى فلول الهكسوس الأدبار."

وعندما صادفت، خلال تترجيمي لكتاب "ريدفورد" عن "أخناتون" هذه العبارة:

Though now the offering *scene* is carried on in roofless

kiosks,.p.72

وجدت أن الكلمة المائلة الخط تستعصي على الترجمة إلى "منظر"، كما قد يشير علينا هذا القاموس أو ذاك، وأن اللغة العربية تملك كلمتين نظيرالكلمة الإنجليزية هما "مشهد" الذي يجري في الواقع المفترض أو الإحتفال + "منظر" الذي يأتي تصويراً فنياً له. و معنى القول أن هذه العبارة لا تقبل التترجيم إلى:

"رغم أن منظر تقريب القرابين يجري الآن ."

ولا تجوز ترجمتها إلاّ خلال رؤية الفرق بين المعنيين اللذين تحملهما الكلمتان العربيتان أي إلى:

"رغم أن مشهد تقريب القرابين يجري الآن."

و لمزيد من الإيضاح، وبالتحديد لمزيد من التدليل على أن دور القاموس يجب أن يكون دوراً لاحقاً، بل و في أحيان كثيرة نجد أن هذا الدور قد صادفه التحييد، أي وقف عاجزاً، حتى في دوره اللاحق هذا، و هو الأمر الذي لا يجزع له المترجم إلاّ في

بدايات عمله و حسب. وأضرب على ذلك مثلاً على النحو التالي:

إذا قابل المترجم مثل هذه الجملة، التي وردت عند "ريدفورد" في كتابه" أخناتون ذلك الفرعون المارق":

The queen mother Tiy appears for the last time in year 14, when she and her son are shown in a tomb relief." (60)

فسواء أكان يعرف كافة كلمات الجملة، أو استنجد بالقاموس في معرفة بعض أو كل الكلمات التي تستغلق عليه، فإن ذلك لن يفيده شيئاً ذا بال، في قنص المعنى المراد. إذ أن هذه الجملة تقبل الترجمة إلى:

"ظهرت "تي" أم الملكة للمرة الأخيرة في السنة الرابعة عشرة."

و هذه ترجمة ليست خاطئة للجملة الإنجليزية، إذا عوملت بشكل مستقل عن سياقها، و أعني به تيار النهر الذي ترفده هذه الجملة، أي الذي تشكل جزءاً منه. و مع ذلك فهي ليست صحيحة، وهو الأمر الذي لا يستطيع أي قاموس، مهما بلغ شأنه، أن يقودنا إلى موطن الخطأ فيها. ولعله السياق وحده هو القادر على ذلك. فمثل هذا السياق أي النهر المتدفق، هو الذي يستطيع أن يهمس إلى المترجم الكفء بالعلاقة النحوية الصحيحة في سياقها هذا على وجه التحديد، بين هاتين الكلمتين الإنجليزيتين، queen & mother، و ما إذا كانت "مضاف و مضاف إليه"، وهذا جائز، أو اسم وبدل منه، وهذا أيضاً جائز نحوياً، بنفس الدرجة. و هنا تخذلنا كل القواميس، إذا التمسنا منها المساعدة أمام هذا المفترق، في اختيار سكة السلامة. و ليس هناك سوى همسيس تيار النهر الذي لا يقدر على سماعه سوى المترجم- المترجم. فهذا الهمسيس وحده هو الذي يمكّنه من ترجمة الجملة في سياقها على هذا النحو:

" ظهرت الملكة الأم "تي" للمرة الأخيرة."

و خلاصة القول أن إدراك المعاني القاموسية: Lexical meanings لا يُغني، بحال من الأحوال، عن الوقوف على "المعاني النحوية البنيوية" Structural meanings لعناصر الجملة التي تستهدفها عملية التترجيم.

و نفس الأمر ينطبق على هذه الجملة:

Although we can not identify her "Tiy" in the relief, the Amarna letters prove she was still residing at court, and still being courted by foreign potentates.

فهذه الجملة لا تقبل منا مثل هذه الترجمة:

" رغم أننا لا نستطيع التعرف عليها (تي) في الجداريات، إلا أن رسائل "أخيناتون" تدلنا على أنها كانت لا تزال تقيم في البلاط وقت ذاك، و كان الملوك الأجانب لا يزالون يغازلونها". حتى و لو أشارت لنا كافة القواميس التي تحت أيدينا بذلك. فهسيس تيار النهر الذي تحدثّنا عنه يهمس إلينا أن الكلمة الصحيحة ليست سوى "يخطبون ودها". فـ "تي" كانت الملكة ـ الأم لمصر أيام أن كانت مصر مصر.

و خلاصة القول أن الكل:"السياق" هو الذي يحدد لنا معنى الجزء: "الكلمة". وإذا ما حوّلنا في هذا الصدد على اللغة الفرنسية ، و على وجه أخص على فعل "rendre" و "se rendre" فإننا لا نظفر له بترجمة واحدة بل بعدد من الترجمات، لا يحددها سوى السياق وحده الذي ترد فيه،مثال:

rendre (un objet prêt)

rendre (quelqu'un bon)

rendre (un service)

se rendre (au vainqueur)

se rendre (à la ville)

فهذه السياقات المفترضة تفرض معاني مختلفة للفعل الواحد على هذا النحو.

ـ أعاد

- جعل.

- قدّم (أو أدى)

- استسلم.

- ذهب. (على التوالي)

و يستطيع المرء أن يضرب في هذا الصدد أمثلة أخرى بلا حصر. ولكنني أكتفي بعدد محدود من الأمثلة وردت في نفس الكتاب لـ"ريدفورد" الذي سأقف أمامه بتوسع أكبر فيما بعد:

× A great banquet took place.p128."

ليس في قدرة أي قاموس أن يساعد المترجم إلاّ على ترجمة العبارة إلى: "مأدبة عظيمة." أو "مأدبة كبيرة". و هذه ترجمة ليست خاطئة، إلاّ أنها لا تُرضي مترجماً آخر يأنف من الانقياد للقاموس، فيترجمها إلى: "مأدبة فاخرة" و الأولى: "مأدبة عامرة" حسبما يقوده السياق.

× None of these collections is complete.p125

يستطيع مترجم مبتدئ، من "المترجمين" الإعلاميين، الذين يملؤون حياتنا، أن يترجم هذه العبارة، التي وردت في نفس الكتاب، إلى:

"لا مجموعة من هذه المجاميع (أو المجموعات) كاملة."

و لكن مترجماً أكثر دُربة يستطيع أن يبذل جهداً أكبر، ويُعمل فناً أعمق، و يترجمها إلى:

"كافة هذه المجاميع ناقصة"

و بذلك يكون قد نجح في وضع القاموس في مكانه الصحيح، وحدد له دوره

السليم.

× of some importance.p170.(Ibid) .

لا يخلو من مغزى."

× One says: . (there is) life in seeing him, *but* they die at not seeing him. p 177.(Ibid)

هنا يهمس السياق، والسياق وحده إلى المترجم بأن الكلمة المائلة، لا يمكن أن تكون "لكن"، وإنما "بل"، وبطبيعة الحال لا يستطيع أي قاموس أن يقدم إليه أي نصيحة حاسمة في هذا الصدد، وكل ما يقدرعليه أن يقدم له، في أحسن الأحوال، عدداً من البدائل التي يتعيّن على المترجم أن يرسو على واحد منها و حسب.

× his reports suggest he never had enough.p 67(Ibid).

حقاً هناك من يترجم هذه العبارة على هذا النحو:

"تشير تقاريره إلى أنه لم يملك مطلقاً (أو أبداً) ما يكفي."

و لكن مترجماً آخر يستطيع القفز إلى هذه الترجمة، كما فعل الحر الفقير:

"تشير تقاريره إلى أن يديه كانتا مغلولتين."

و أذكر في هذا الصدد أنني عندما شرعت في ترجمة كتاب "تودوروف"، -The ories of the Sympol""، نظراً لعدم توفر النص الفرنسي الأصلي في متناول يدي، و قابلت هذه العبارة:

The sympol - the thing itself, not the word - is the object of this book.(61)

وجدتني مضطراً إلى الكشف، في القاموس، عن كلمة أظن أن كل دارس للغة الإنجليزية، عند أي مستوى تعليمي، في مصر، يعرفها جيداً، هي كلمة: thing

ولكن هل أعانتني القواميس التي انتقلت من أحدها إلى الآخر؟

حقاً وجدت لها معاني عديدة، مثل: شيء، مسألة، حالة، عمل، أمر، نقطة، فكرة، فرد، شخص، رهاب أو خوف مرضي خفيف، حاجة، ملْك، شأن، الخ.

و عندئذ أدركت أن القاموس ليس في وسعه، أن يساعدنا إلاّ في تترجيم بائس قد يُرضي المبتدئين و بعض المحترفين وأقصد أولئك الذين يكسبون قوتهم من الترجمة كحرفة، لا كفن، على هذا النحو:

"الرمز، الشيء(أو الحالة إلخ) ذاته و ليس الاسم هو موضوع هذا الكتاب".

و معنى القول أنه ليس في طوع أي قاموس أن يهدينا إلى ترجمة من هذا النوع:

"الرمز، المسمَّى ذاته، وليس الاسم هو موضوع هذا الكتاب."

لكن المشكلة ليست مقصورة، في هذه النقطة بالذات، على المترجمين وحدهم بل تمتد لتشمل الكتاب المصريين. فهؤلاء يستخدمون في غفلتهم المفجعة عن أخطار آفة الترادف، كلمة "مسمَّى" هذه وكأنها تعني نفس ما تعنيه كلمة "اسم"، و ليس في تفضيلهم هذه على تلك، في بعض الأحيان، سوى "حنشصة" مشروعة. و الأنكى أن المشكلة تتفاقم على أيدي كتائب "المصححين"، الذي يقفون حراساً ددبنات على اللغة الأسيوية الغربية التي هبطت في أواسط الألف الأول لميلاد المسيح على بلد كان تاريخه المدون، وحده، ممتداً قبل ذلك، بثلاثة آلاف سنة في أقل تقدير. ولقد شمَّر أحد هؤلاء و "صحح" عنواناً لمقال لي، يقول: "اللغة المصرية الحديثة بين ما يسمَّى بالفصحى وما يسمَّى بالعامية" إلى "اللغة المصرية الحديثة بين مسمَّى الفصحى و مسمَّى العامية "، وهو الأمر الذي أكتفي معه، هنا، بالعجب لغفلة "المتعلمين المصريين" بقيادة مصححيهم، على هذا النحو، عن الفرق بين الاسم العام" "Substantive و بين اسم المفعول على هذا النحو. فكلمة "مسمَّى" مثلها في هذا مثل "معذَّب"، أي ذاك الذي وقع عليه الفعل سواء أكان التسمية أو التعذيب. ولسوف أثبت نص الدرس الموجز الذي اضطررت إلى إلقائه عليه في عدد تالي (أو "تالٍ" لمن يرغب)، من المجلة، في الفصل السابع من الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم.

و عندما تصدى أحد الباحثين الشبان لترجيم مقال للأثري المصري المعروف "فكري حسن" بعنوان:

Impreialist Appropriations of Egyptian Obelisks

لمجلة "العصور الجديدة" و نقل العبارة التي وردت فيه و تقول:

Egyptian obelisks in the center of Rome were first appropriated by Roman emperors to mark their imperial power and superiority over other civilizations by conquest. Obelisks were subsequently appropriated by Popes to extol the power of christendom.

إلى ما يلي:

"كانت المسلات المصرية الموجودة في وسط روما، هي الأولى في استملاكها بواسطة الأباطرة الرومان لكي يبرهنوا على قوتهم وتفوقهم واستعلائهم على باقي الحضارات الأخرى عن طريق الغزو المسلح. ولقد إدعى بابوات الكنيسة - بعد ذلك - نفس الحق في ادعاء تملكهم للمسلات لكي يبجلوا قوة البلاد المسيحية."

و بذلك أعطانا سيادته نموذجاً طيباً على الفرضية التي تقول أننا نستطيع أن نقف على كافة المعاني القاموسية لكلمات فقرة ما دون أن نظفر بنقل طيب موازٍ لمعناها المراد. و على سبيل المثال لم يتجاهل سيادته كلمة: first، ولكنه تجاوز عن وظيفتها النحوية، أي عما إذا كانت كانت صفة أم حالاً. و لم يتجاهل سيادته الجملة المبنية للمجهول، لكنه "التصق" ببنيتها حتى نقل كلمة by كما يفعل، مع الأسف، مترجمون آخرون عديدون - إلى "بواسطة". وفي نهاية المطاف وجدنا أنفسنا أمام جهد مشكور، ليس إلاّ. و لست أدري ما إذا كان "التحرر" من القاموس و"الإنعتاق" من "الإلتصاق" بالبنى النحوية للغة المصدر، يكفلان لنا ترجيماً أوفق على هذا النحو:

"كان الأباطرة الرومان هم أول من وضع يده على المسلات المصرية التي تنتصب في قلب روما (١٤ مسلة ب.ق.) ، كي يلفتوا الأنظار إلى ما حازوه عن

طريق الغزو، من سلطان إمبراطوري و تفوق على الحضارات الأخرى. وحذا البابوات حذو الأباطرة في الإستيلاء على المسلات المصرية كي يعظّموا شأن الديار المسيحية."

و في هذا الإطار لا أدري السبب الذي يدعو المسرحيين منا إلى إهدار كلمة "المرسح" التي كانت شائعة في مطلع القرن العشرين، للدلالة على ما نسمّيه نحن الآن "المسرح" أي Theatre دون أن يفكر أحد منهم في استخدامها للدلالة على ما نضطر إلى وصفه في كلمتين "خشبة المسرح" نظير كلمة "Stage" مثلما فعل الإنجليز عندما وجدوا تحت أيديهم كلمتين للفرخة هما Hen، ذات الأصل الـ "Old High German" و كلمة "Chicken" ذات الأصل الـ "Middle Dutch" فخصصوا واحدة للفرخة الحية و الأخرى للمذبوحة أو المطبوخة، و صار بوسعهم أن يقولوا: a hen's egg ,but a chicken soup. و هو نفس ما لا يتردد الأسبان، في عمله، إذ يفرّقون بين السمكة الحية الـ " pez" و الأخرى الميتة الـ " pescado". فالترادف رذيلة لغوية ينبري البشر لمقاومتها أجمعين، ونحن ننتمي لهذا النوع بالذات، دون سائر الأنواع التي تشاركنا العيش على ظهر هذه المعمورة، رغم أنف "التعليم" في مصر الذي يطلب من ضحاياه، و لقد كنت واحداً منهم، أن يستظهروا آلاف المترادفات، ظناً منه أو موهماً إياهم، أنه بذلك يغني لغتهم!

(مـ٦) احترام الفونيم القومي:

جاء على مصر حين من الدهر، مال فيه "المتعلمون المصريون"، الذين يستحقون هذا التحفظ، أي هذين القوسين، مني في هذه النقطة مثلما يستحقونها في نقط أخرى، إلى التحول عن كتابة اسم الموسيقار النمساوي المشهور "موزار"، على نحو ما كان يكتبه الجيل السابق، إلى كتابته: "موتسارت". و صاحبت هذا التحول سعادة محزنة استشعروها في أعماقهم كي تنعكس بأكثر من مظهر بين الجيل الحالي. و لكنهم عجزوا بذلك عن إدراك أنهم ينبذون النسق الفونومي للمصريين، أي Phonemic System و يتبنّون، والأولى يحاولون تبني نسق فونومي أجنبي. حقاً بدأ الأمر بنبذ "نسقهم" ذاك لصالح النسق العربي الوافد من غرب آسيا، واستندوا في هذا النبذ، إلى حجة ضعيفة، لا تقف على قدمين: أنهم عرب أقحاح. ولكنهم "تطوروا" فأصبحوا ينبذون "نسقهم" القومي الخاص لصالح كافة الأنساق الأجنبية، وأي أنساق، بحجج أضعف. فمن يستشعر دونية أمام أي قوم، لن يستشعر، في حياته أو

مماته، عزة أمام أحد، أي أحد.

فـ "الثاء" Th ليس فونيماً مصرياً بل و لا حتى حامياً، وبناء عليه كان ينبغي أن نستمر نكتب "موزار"، بل و "ماركيز" و ليس "ماركيث" تماماً مثلما يكتب أجانب كثيرون "مهفوظ"، دون أن يثقل أحد كاهلهم باللوم. و نفس الأمر ينطبق على فونيم الـ «V»، الذي ينقله المصريون الأميون أي المصريون ـ المصريون إلى أقرب فونيم إليه و هو "الباء" على هذا النحو:

"بيلا" نظير "فيلا" villaو "بانيليا" مقابل "فانيليا" vanilla و كذلك الأمر مع "فترينة" vitrine التي ينطقونها "بترينة" و "فراندة" verandaالتي لا يخجلون من نطقها "براندة" و هكذا. ولكن "المتعلمين المصريين" حريصون، في دونيتهم المزمنة، على ألاّ ينسوا "فصحاهم" بلغة العوام المصريين، حتى و لو اتفقت لغة العوام هؤلاء، أحياناً، مع لغة أوروبية ينقلون عنها كالأسبانية التي تنطق الـ «V»، "باء" أي كما ينطقها الأميون المصريون دون زيادة ولا نقصان. و لقد كتب م. أ. مترجماً "فطائر الفانيليا"(٦٢)، عوضاً عن "فطائر البانيليا".

وفي هذا الصدد أتذكر بشيء غير قليل من الحسرة، أن العرب ـ الساميين أنفسهم، أي أولئك الأساتذة الكبار الذين أصبحوا يعلمون العروبيين في مصر ـ صياغاتهم الأفصح مثل "قناعة" عوضاً عن "اقتناع"، و "نقاط" بدلاً من "نقط"ـ ينقلون الفونيم الأوروبي " V"إلى "الواو" أي إلى أقرب "فونيم" قومي لهم في هذه الكلمة بالتحديد. فنقرأ في قاموس كـ "المنهل" أن ترجمة " "Vanilleهي: "الونيليا"، وليس "الفانيليا" التي لا يرى العروبيون في مصر منها فكاكاً.

واختلاف لغتنا عن لغة غيرنا في هذا ليس عاراً يستدعي أن نداريه. فكل اللغات تقبل الاختلاف، الواحدة عن الأخرى دون حرج أمام أحد. فـ "اللام" ليس جزءاً من النسق الفونيمي للصينية أو اليابانية و لا "العين" بالنسبة لعشرات اللغات الأوروبية، الحية والميتة، ولا الـ "الشين" بالنسبة لليونانية، ولا "الجيم" (المعطشة) بالنسبة للألمانية التي يستبدلونها بـ "الياء" تماماً كما يفعل البحرانيون، ولا هذه "الجيم" مرة أخرى بالنسبة للأسبان الذين ينطقونها "خاء"، ولا "الهاء" بالنسبة للفرنسيين التي يسقطونها دفعة واحدة دون استبدالها بأي حرف آخر، ولا "الحاء" بالنسبة للنوبيين الذين ينطقون كل "حاء" يصادفونها "هاء". وأذكر في هذا الصدد د. "بيتر فولف" مدرسنا في معهد "جوته" الذي بذل جهوداً جبارة، باءت بالفشل، كي يجعلنا نتبنى النطق الألماني للفونيم "ch" الذي نجده في اسم الشاعر و المسرحي "برتولد

بريخت"، وكيف أنه ليس "شين" وليس "خاء" و لكن ما بينهما. حقاً كنا قادرين على نطقه بصورة واعية، ولكننا لم ننجح أبداً في إنتاجه، كما ينتجه الألمان، أي بصورة لاواعية. و هو نفس ما ينطبق علي هذا المدرس نفسه لو حاول تبني نطق فونيم مجهول في لغته، وهو الأمر الذي نبهته إليه، فكف، على مضض، عن محاولاته معنا. لكن إصرار الهر "فولف" في ذلك الوقت يبدو لي أشد غرابة الآن بعد أن علمت أن إحدى اللهجات الألمانية تنطق ذلك "الفونيم" - الذي شكّل لنا، نحن الطلبة المصريين، منطقة وعرة - كما نطقناه نحن تماماً: شين.

حقاً نستطيع أن نقول أن اللغة المصري لا تعرف هذا الفونيم الألماني، أو ذاك. لكننا لا نستطيع القول بأن هذه اللغة ينقصها هذا الفونيم أو ذاك، أو أن أي لغة ينقصها أي فونيم تعرفه أي لغة أخرى دونها، و هو الأمر الذي كان ليبرر استكمال ذلك "النقص". فالـ Arbitrariness، أي الـ "جزافية" وهذه ترجمتي الخاصة للمصطلح دون "الاعتباطية" الشامية أو "التعسفية" التي انتشرت بين المصريين في الأونة الأخيرة، تُعد إحدى أهم الصفات التي استقر اللغويون عليها في تعريفهم للغة البشرية.

و في هذا الصدد أقرر أنني لست مرتاحاً لإطلاق اسم "الحيثيين" بالثاء على الـ "Hittites"، وذلك لسببين، أولهما أن النصوص الأجنبية من إنجليزية إلى فرنسية الخ، تستخدم حرف "التاء"، دون "الثاء". الثاني أن "الثاء" ليس فونيماً مصرياً. و هذا لا يعني أنني أجهل النصوص المؤلفة أو المترجمة التي تستريح، دون سبب خارج نطاق التفاصح وحده، لاستخدام "الثاء" بدلاً من "التاء" في هذا الاسم، بما في ذلك ترجمات "الكتاب المقدس"، وخصوصاً قصة زوجة "أوريا "الحيثي" و الأولى "الحيتي"، الفائقة الجمال، التي خلبت لب النبي العبراني "داود" فاستولدها، من فوره، ابنه "سليمان" عليهما، كليهما، السلام٦٣.)) و هو نفس التفاصح الغريب الذي يكتب اسم الفاتح الفارسي "كمبيز" على هذا النحو: "قمبيز"، رغم ما نعرفه من أن اللغة الفارسية لا تعرف، ولم تكن تعرف في أي يوم من الأيام حرف "القاف"(٦٤) و ذلك في ظل إعتزاز العرب بنسقهم "الفونيمي" القومي، و هو الأمر الذي أستطيع أن أسميه، في هذا الصدد بـ"التقفيف". مثال:

الإغريق - هرقل - قورينا - فابريقوس - الأريثمطيقا الخ، رغم أن هذه الأسماء منقولة، هي و مثيلاتها، عن لغات لا تعرف فونيم "القاف".

الفصل السادس

ترجمة الشعر

٦ ـ ١ تهريم الثقافات:

إذا كانت الثقافات مختلفة، الواحدة عن أختها، جاز لنا أن نصنِّفها و فق هذا المعيار أو ذاك، بل وأن نرتِّبها ترتيباً هرمياًHierarchically، دون أن تثبت علينا تهمة الشوفينية، التي يلذ للعرقيين ـ الدينيين، (كالعروبيين ـ الإسلاميين)، أي الشوفينيين حقاً و صدقاً، أن يدمغوا بها خصومهم من أمثالنا، أي أننا نستمر أبرياء من الشوفينية هنا، طالما كنا نستخدم في ذلك التهريم مقاييس موضوعية، وبالتحديد مقاييس لا تتخذ نماذجها العليا من ثقافة واحدة. و إذا كانت لهذه الثقافات جوانب مختلفة أو مظاهر متباينة جاز لنا وفقاً لنفس المبدأ أن نقوم بالخطوتين، مع هذه الجوانب، سواء داخل نطاق الثقافة الواحدة، أي رأسياً أو على امتداد ثقافات متعددة، أي أفقياً. وإيضاحاً للأمر أقول أننا لا نستطيع أن نسوِّي بين ثقافة يقضي نسقها القانوني، بالتمييز بين العقوبات الجنائية وفقاً للمنزلة الإجتماعية للمجرم، كما تفعل الثقافة البابلية ـ السامية، من ناحية، وبين ثقافة لا تعرف في هذا الصدد إلاّ المساواة المطلقة، أي فرض عقوبة واحدة للجريمة الواحدة بصرف النظر عن المنزلة الاجتماعية لمرتكبها كالثقافة المصرية القديمة، علماً بأن هاتين الثقافتين تعاصرتا لوقت طويل. و ليس في وسعنا أن نسوِّي بين ثقافة تقضي أعرافها باستمرار رسوف العبد في عبوديته إلى أن يحين أجله، وثقافة تسمح له بـ "المُكاتبة"،

أي تحرير نفسه خلال الاتفاق مع سيده على أن يؤدي إليه مبلغاً من المال يجمعه من عمله الإضافي عند الغير، كالثقافتين الرومانية و العربية، و ثقافة ثالثة تقضي أعرافها بتحرير العبيد بصفة دورية كل سبع سنوات، كالثقافة العبرية. و على نفس النول أو المنوال، يصعب على المرء، طالما تمتع بالنزاهة و الموضوعية، أن يسوي بين أي مظهر من مظاهر الثقافة كالسحر أو الدين أو العلم و بين مظهر آخر، كالفن، الذي يقوم على "استخدام الفنان لملكاته في إنتاج تجارب روحية يشاركه فيها كل البشر الذين يصل إليهم فنه".

حقاً أصبح الفن في مصر اليوم بحاجة ماسة إلى دفاع بل دفاعات في وجه الانحطاط المتزايد الذي بدأ يدب في كافة مناحي الحياة المادية و الروحية في مصر منذ نصف قرن، و بينها الفن، حتى قبل، موضوعياً، وصف الأشقاء- الأشقاء المغارية له بـ "القيء المصري". وهذا نوع من "الحق المر"، الذي يتعيَّن على كل مصري صادق المصرية أن يعترف به ثم يبدأ، إذا استطاع، في مقاومته، ليس على مستوى القول بل الفعل. و لكن هذا الدفاع ليس موضوع الحديث الدائر، وإن كان متصلاً به بعض الاتصال.

xxx

٦ - ٢مطرح الفن:

يأتي الفن قبل كل من الدين و العلم فيما لو أقدمنا على تهريم مظاهر الثقافة القومية. إذ يسهل على الغريزة - بل وسهُل عليها مرات عديدة في الماضي - أن "توظِّف" العقل الذي يعد العلم أحد أبرز منتجاته، في خدمتها، بل وهو الأمر الذي تقوم به في الوقت الحاضر جامعات الغرب، التي تخترق حجب الكون حتى "الثقوب السوداء"، و تهتك أسرار النواة في الذرة، وفي نفس الوقت تنظِّر لـ"الأصولية"! أما الدين، فلا أرانا بحاجة إلى التوقف أمامه، لا طويلاً و لا قصيراً، في هذا الصدد.

و لكن يتعذر على هذه الغريزة أن تنجح في "توظيف" مماثل للوجدان الذي يعد الفن أحد منتجاته. و في سائر الأحوال، ظل الوجدان يقظاً، فيما استسلم العقل في أوروبا العصور الوسيطة بصورة تكاد أن تكون كاملة للشعبة الثانية من ديانة

الساميين. فلقد ظل الريفيون أي الأميون الأوروبيون يرقصون رقصاتهم الشعبية في أكثر القرى بعداً عن دوائر سطوة الكنيسة المسيحية التي تستهجن أو تحرّم الرقص بصفة خصوصية والفن بصفة عمومية. وكان هذا السرسوب النحيل هو الذي استمر يتدفق حتى تحول إلى نهر جبار اكتسح فيضانه العظيم ما بدا بديهيات أمام العقل وقت ذاك، أي أن تحرر العقل جاء على أيدي الوجدان، لا العكس. و تقرر الموسوعة البريطانية:

The church had never been successful at repressing dance among the peasants .

أي: "لم تفلح الكنيسة في أي وقت من الأوقات في كبت الرقص بين القرويين أو الفلاحين"

و الفن هو الذي يرتقي بالوجدان الذي ينتجه، عندما يوحِّد بني الإنسان، مثلاً، ضد القسوة. فالوجدان هو الذي أوقف الجرائم المروعة، خلال حرب فيتنام، عندما وحَّد الأمريكيين مع الضحايا الفيتناميين أي مع "أعدائهم" المفترضين ضد أنفسهم. والغناوي الروعة، الساخرة، التي غنّتها المظاهرات التي سار فيها الأمريكيون، هي التي هتكت ستائر الكذب عن الوجه القبيح لمصالح الصناعات العسكرية في الولايات المتحدة، التي سوِّغت، عقلياً، بصفتها دفاعاً عن مصالح أمريكية قومية عليا:

There ain't no war, but we are sending fifty thousand more!

و نستطيع أن نستشهد في هذا المجال بحالات عديدة، وقف فيها الوجدان ضد صاحبه في سبيل نشدان العدالة المطلقة. ولعلنا نذكر أعمال النحات العظيم "مارينا مونييز دي برادو" Marina Muñez de Prado التي صورت فيها المآسي التي لحقت بالهنود الحمر على أيدي بني جلدتها من البيض، و رواية الروائي الكبير "اوجوستو سيبيدس" Augusto Cepedes التي حملت اسم "معدن الشيطان" Metal del Diablo التي صور فيها معاناة العمال الهنود في مناجم القصدير في بوليفيا بأمريكا اللاتينية.

باختصار، لولا الفن لاستمر بنو الإنسان حتى اليوم في طور أكل لحوم البشر Cannibalism، حتى في ظل انتشار و سيادة الدين والعلم معاً. فالأول ما كان له إلاّ أن يُخرس صوت الضمير، والثاني ما كان في طوعه سوى شي تلك اللحوم في أفران الأشعة الكهرو- مغناطيسية" المايكرو- ويف" ليس إلاّ!

و إذا كان الأمر كذلك، جاز لنا أن نضع الشعر على رأس الفنون جميعاً، أو على الأقل فنون القول- و لو أن ذلك لا يعني أن نرفع كل من يكتب شعراً على كل روائي أو قصاص- و أرجو ألاّ يصححني أحد، باستعلاء أجوف، و يقول: قاص- أو أن نسوي بين الشعر في مختلف الثقافات. فهناك فرق، لا شك، بين شاعر كـ "المتنبي" (٩١٥ - ٩٦٥ بعد الميلاد) "يذم" العبود، أي الضحايا، في نصحه المؤسف للأسياد، خلال هجوه لملوكٍ قديم هو "كافور" في قوله:

لا تشترِ(ي) العبد إلاّ و العصا معه،

إن العبيد لأنجاس مناكيد.

و آخر يوناني مثل "يوريبيديس" (نحو ٤٨٤ - ٤٠٦ ق.م) و هو "يذم" العبودية، أي نسق و أداة الجلاد، في قوله:

"العبودية توطِّن العبد على أن يقبل من الإهانات ما لم يكن ليقبله لو كان حراً."

و لا نكران، هنا، لقرب اليوناني- الأوروبي "يوريبيديس" إبن القرن الخامس ق.م، منا أكثر من "المتنبي" العربي - السامي، ابن القرن العاشر بعد الميلاد، وذلك لسبب بسيط هو قرب الأول من إنسانيتنا عن الآخر.

٦- ٣ ترجمة "سونيت" لشكسبير:

في هذا الإطار نود أن نتوقف قليلاً أمام ترجمة إحدى سونيتات "شكسبير" إلى اللغة الرسمية في بلادنا: اللغة العربية.

Shall I compare thee to a summer's day ?

Thou art more lovely and more temperate:

Rough winds do shake the darling buds of May,

And summer's lease hath all too short a date:

Sometime too hot the eye of heaven shines,

And often is his gold complexion dimmed,

And every fair from fair sometime declines,

By chance, or nature's changing course untrimmed:

But thy eternal summer shall not fade,

Nor lose possession of that fair thou ow'st,

Nor shall death brag thou wand'rest in his shade,

When in eternal lines to time thou grow'st,

So long as men can breathe or eyes can see,

So long lives this, and this gives life to thee.

وأبدأ بترجمة د. عناني:

يوم صيف

ألا تشبهين صفـاء المصيف

بلى، أنت أحلى وأصفى سماء.

ففي الصيف تعصف ريح الذبول.

و تعبث في برعمـات الربيع.

و لا يلبث الصيف حتى يزول.

و في الصيف تسطع عين السماء،

و يحتدم القيـظ مثل الأتون.

و في الصيف يحجب عنا السحاب،

ضياء السما و جمال نُكاء.

وما من جميل يظل جميلاً.

فشيمة كل البرايا الفناء.

ولكن صيفك ذا لن يغيب.

و لن تفقدي فيه نور الجمال.

و لن يتباهى الفناء الرهيب.

بأنك تمشين بين الظـلال.

إذا صغـت منك قصيد الأبد.

فما دام في الأرض ناس تعيش،

وما دام فيها عيون تـرى،

فسوف يردد شعري الزمان،

و فيه تعيشين بين الـورى.

جريدة "المساء" ١٩٦٢

ثم أثنّي بترجمة "حسين صباغ":

تهز الرياح زهور الربيع،

و للصيف ضيف قصير المقام.

و حيناً تحرق عين السماء.

و تشحب حيناً كأهل السقام.

و لا بد يوماً لكل بهاء وداع البهاء.

فإن لم يكن عرضاً موته، فشوط الحياة أسير الفناء.

.على أن صيفك لن يذبلا، فذلك خُلِّدَ لا للبلى.

و ما فيك من رونق ملكه، إليه انتهى لا لكي يفصلا.

و لن يفخر الموت أن قد رآك تجرين خطوك في ظله.

فأنت قصيدي الذي لن يزول.

فما دام في الكون خلق يرون و يسري بهم نفس من حياة،

فذلك يحيا و تسري لنفسك منه الحياة.

مجلة "أصوات" ١٩٦١

و أثلّث بترجمة "فطينة النائب":

من ذا يقارن حسنك المغري بصيف قد تجلى،

و فنون سحرك قد بدت في ناظري أسمى و أغلى؟

تجني الرياح العاتيات على البراعم و هي جزلى.

و الصيف يمضي مسرعاً إذ عقده المحدود ولى.

كم أشرقت عين السماء بحرها تتلهب.

و لكم خبا في وجهها الذهبي نور يغرب.

لا بد للحسن البهي عن الجميل سيذهب.

فالدهر تغيرُ وأطوار الطبيعة قُلب.

لكن صيفك سرمدي ما اعتراه ذبول.

لن يفقد الحسن الذي ملُكت فهو بخيل.

و الموت لن يزهو بظلك في حماه يجول.

ستعاصرين الدهر في شعري و فيك أقول:

ما دامت الأنفاس تصعد و العيون تحدِّق،

سيظل شعري خالداً و عليك عمراً يغدق.

١٩٨٦ (٦٦)

ثم أختم بترجمة " بدر توفيق":

هل أقارنك بيوم من أيام الصيف؟

انك أحب من ذلك وأكثر رقة.

الرياح القاسية تعصف ببراعم مايو العزيزة،

و ليس في الصيف سوى فرصة وجيزة.

تشرق عين السماء أحياناً بحرارة شديدة،

و غالباً ما يصير هذا الوهج الذهبي معتماً.

و الروعة بأسرها تتلاشى عنها روعتها يوماً ما،

بالقدر أو بالطبيعة التي قد تتغير دورتها بلا انتظام.

لكن صيفك الخالد لن ينوي أبداً،

أو يفقد ما لديه من الحسن الذي تملكه،

و لا الموت يستطيع أن يطويك في ظلاله،

عندما تكبرين مع الزمن في الأسطر الخالدة.

فما دامت للبشر أنفاس تتردد وعيون ترى،

سيبقى هذا الشعر حياً، وفيه لك حياة أخرى (٦٧)

xxx

حقيقة الأمر من وجهة نظري الخاصة أن سائر الترجمات "الشعرية" السابقة ابتعدت عن معنى و روح السونيت بدرجات متفاوتة، فضلاً عن اضطرارها لسبب أو آخر إلى استخدام لغة أشد مواتاً من اللغة الميتة المعتادة طمست أكثر مما ألمحت، و ضنّت أكثر مما أعطت، وكأن الهدف الأعلى الذي وضعه هؤلاء المترجمون الكبار نُصب أعينهم، هو نقل المراد من لغة غير مفهومة للقارئ، أي إنجليزية "شكسبير" إلى لغة أخرى غير مفهومة بنفس الدرجة أو أشد قليلاً لنفس القارئ، مثل: "ذُكاء" بدلاً من شمس، و "الورى" و "البرايا" عوضاً عن البشر أو الناس، "أهل السقام"، "خُلّد لا للبلى"، و"هي جزلى". و لا نغالي إذا قلنا أن السونيت "قُتلت" بنفس عدد الترجمات "الشعرية" أو التي زعمت أنها كذلك. و لو أن د. عناني يعتذر بأن ترجمته للسونيت كانت في بدايات حياته المهنية.

و لذلك نكتفي بنقد الترجمة التي أنجزها، بكفاءة معقولة، الشاعر "بدر توفيق"، نثراً، وهو الأمر الذي أعفى ترجمته من الإضرارات سواء على مستوى الوزن أو القافية التي ظهرت، بصورة خشنة، في الترجمات الأخرى و سواء أكان البحر هو "المتقارب" أو "الكامل".

و لو أنني لا أستطيع إخفاء العجب الذي استشعرته، منذ ترجمته، في صدر

الكتاب، لهذه العبارة التي وردت في إهداء الناشر الأول "توماس ثورب" عندما صدرت الطبعة الأولى لسونيتات "شكسبير" في لندن سنة ١٦٠٩من:

إلى: the well-wishing adventurer in setting forth.

"المغامر الذي يتوقع الخير العميم بنشرها (٦٨)

عوضاً عن مثل هذه الترجمة الأسلس و الأدق:

"المغامر الذي يرجو من وراء نشرها الخير العميم."

و بادئ ذي بدء أود أن أطرح عدداً محدوداً من الأسئلة حول الترجمة الأخيرة والأكثر جودة من وجهة نظري، بطبيعة الحال، الى النثر:

- ترجم " "May" إلى "مايو"، فهل سيادته لا يعرف أن شهر"مايو" الشكسبيري هنا كان يقع في أواسط الصيف، قبل الإصلاح الذي أدخله البابا جريجوري الثامن في سنة ١٥٨٢،على التقويم اليولياني، وتلكأت بريطانيا في تبنّيه حتى سنة ١٧٥٢، وإليه أصبحنا ننسب التقويم الشمسي والأولى النجمي، المصري الأصل؟

- من أين جاء سيادته بعبارة "بلا انتظام" في اشارته إلى تغير دورة الطبيعة؟ وهل قوانين الطبيعة تسير، عند "شكسبير" خبط عشواء، مما كان ليجيز إدخال "قد" على الفعل الحاضر ؟

- ألا تعطي عبارة "حياة أخرى" إيحاء لاهوتياً لم يقصده الشاعر الإنجليزي في هذه "السونيت"، على وجه التحديد؟

مثل هذه الأسئلة، وعدد آخر أكثر همساً، هي التي سينعكس صداها في الترجمة التي تجرأت بها على هذه "السونيت" الخالدة، ولكن إلى اللغة المصري الحديثة التي تسميها الثقافة السائدة، والأولى المسيّدة بيننا قسراً، بـ "العامية"، وهي اللغة الأقرب إلى لغة "شكسبير" بالمعنى اللغوي لا المجازي أو الشعري، بطبيعة الحال. فلقد كتب "شكسبير" شعره باللغة الإنجليزية الحديثة أي "عامية" ذلك الزمان و ذلك المكان. وبالتالي فإن اللغة الفصيحة التي يسمونها بـ "العامية" عندنا أو اللغة الخضراء أي La langue Verte كما يقول عنها الفرنسيون هي الأقدر على

استيعاب نضارة و طزوجة اللغة الشكسبيرية، تماماً، مثلما كانت لتفعل مع لغة المسرحيات الكوميدية لـ "أريستوفان" و"نياندر"، لو كان مترجمونا الكرام على وعي كامل بما يسمّيه اللغويون الذين ينصب اهتمامهم على مجال اللغويات الاجتماعية بـ "مستويات" اللغة مجتمعياً. إلاّ أن ذلك لا يعفيني بطبيعة الحال من أي "أخطاء". فالخطأ، متى وقع، أحمل وزره وحدي.

و لكنني أود، هنا، أن أنعش ذاكرة القارئ الكريم بكلمة ونص حول شكل "السونيت"، وأستسمح القارئ العربي الهوى في اللجوء إلى اللغة المصري الحديثة، لأسباب أرجو أن تتضح في وقت لاحق.

حولين شكل "السونيت"

"السونيت" شكل شعري معروف في التراث الغربي زي الملحمة Epic و"البالاد" Ballad و"الأوود" Ode الخ غيرشي "السونيت" شكل غنائي فريد علا مستوا الشكل والمضمون. وفيه اعتقاد سايد إن الشكل دا ظهر للوجود في القرن التلات - ت - اشر ويّ مدرسة صقلية لشعرا -ت- البلاط، تحت تأثير أشعار الغزل، اللي "التروبادور" غنّوها في "البروفينسال" في جنوب فرنسا وشمال أسبانيا. ومن هناك انتشرت في "توسكانيا" اللي شهدت إزدهاره، وخصوصي في قصايد "بترارك" في القرن الاربع - ت - اشر، وبصورة أخص في مجموعة قصايده اللي إداها اسم Canzoniere بمعنا "ديوان الغناوي" اللي ضم ٣١٧ سونيت، هداها لحبيبته "لورا". وعند النقطة دي الشكل دا كان رسخ في التراث الشعري الطلياني. وفضل واحد من أهم شكلين رئيسيين عرفهم شكل "السونيت" جنب الشكل الإنجليزي والأدق الشكل الشكسبيري.

والشكل الطلياني لـ "السونيت" بيعالج تيمته ولاّ موضوعته في فقرتين : الأولانية بتتكون من تمان -ت-اسطر، الطلاينة بيسّموها الـ "Octave" ودي مرحلة "الطرح" بمعنا طرح القضية اللي في دماغ ولاّ خاطر الشاعر، وفيها بيسأل سؤال ي بيسوق توتر عاطفي. و الفقرة التانية والأخرانية: مرحلة "الصيد"، ودي بتتكون من ست - ت - أسطر بيسمّوها الـ "Sestet"، والشاعر فيها بيجاوب ع السؤال اللي ساله ي يريّح التوتر اللي ساقه ومشتق paradigm القافية في الفقرة الأولانية بيمشي كدا :أ ب ب أأ ب ب أ. لاكن مشتق القافية في الفقرة الأخرانية بيختلف،

ساعات يكون: ج د هـ ج د هـ ، وساعات: ج ددد ج د ، وساعات تانية : ج د هـ دج هـ . وسرعان الشكل دا ما مد جدوره في الأدب الأسبانيولي و البرتغالي و الفرنساوي وكذالك الحال في الآداب السلافية. وفي معظم الحالات الشكل دا استريّح في البحرالمعروف باسم "البحر الإيامبي" Iambic، بس في فرنسا لضم في البحر القياسي: "الإيامبي السكندري" (١٢مقطع) وفي انجلترا "الإيامبي الخماسي" (خمس مقاطع). لاكن الشكل الإنجليزي انفرد، زي ما هو واضح م المشق، بتحويل السطرين الأخرانيين لـ"كوبليت" Couplet بتمثّل وحدة داخلية علا مستوا القافية. و جنب القافية، علا مستوا الوظيفة، فبقت تشكّل لحظة تنوّر ي تلخّص اللي فات ي تعلق عليه ي تحل عقدته ي تخفف توتره، حسب كل قصيدة وكل شاعر.

و شكل "السونيت" دخل إنجلترا، وي أشكال تانية م الشعر الطلياني في القرن الست ـ ت ـ اشر علا إيدين "سير توماس وييات" و "هنري هوواد". والأشكال الجديدة دي سرّعت بالإزدهارالواسع النطاق في إنجلترا خلال العصر الإليزابيثي للشعر الغنائي بصفة عمومي. وسرعان ما الشعرا الإنجليز رسيو علا شكل متحدد لـ "سونيت" يتفق ويَّ لغتهم اللي تعتبر أفقر شوي في عدد القوافي. ومشّق القافية في الـ "سونيت" الإنجليزي هو:

أب أب ج د ج د هـ و هـ و زز.

وعلا نمط الـ "السونيت" الطلياني، بصفتها قصيدة حب (غزل)، الشعرا الإنجليز غزلو ونسجو سونيتاتهم. بس الشكل دا بعد كدا اتسع لتأملات الشعرا حولين المصير الإنساني، و الدهر والموت والخلود.

و عند النقطة دي أظن يحق لنا نوازن بينه وبين شكل الموّال في الشعر المصري. وإذا عدّينا الوزن، بحكم الاختلاف بين لغة بتنتمي في جوهرها للفرع الحامي في العيلة "الحامية – السامية" ولغة "هندو-أوروبية" و بتحديد أكتر للفريع الألماني الغربي، نلاقي إن شكل الموّال هو أقرب شكل مصري للـ "سونيت" الغربي، في ضل التنوع الواسع في بحوره وعدد تفاعيل السطر الواحد و قوافيه، علاوة ع الأغراض اللي الشكل دا يقدر يتناولها م الموال الأخضر للموال الأحمر: الحب (الغزل) والتأمل في أحوال الدهر والناس والأصيل والخسيس والوطنية و التحميس ألخ.

و كلنا عارفين إن شاعرنا الكبير "صلاح جاهين" ـ اللي قلبه كان أكبر من عقله،

كتب ست سونيتات في ديوانه "قصاقيص ورق" (١٩٦٦). والستة، "جاهين" كتبهم من بحر الكامل اللي تفعيلته المفردة "متفاعلن"، بتقبل "الخبن" بمعنا تسكين الحرف التاني من غير ما تجور ع المزيكا. وفي اللحظة دي تتحوِّل لـ "مستفعلن"، اللي هي التفعيلة ـ الأساس في بحر "الرجز. و "جاهين" التزم في سونيتاته الستة دول مشق قافية السونيت الشكسبيري.

و علا الأساس دا شرعت في تجريب حظي وي "سونيتات" شكسبير. وبديت بـ "السونيت" رقم ١٨("السوناتا" شكل تاني معروف في المزيكا)، و دي كانت أول "سونيت" قريتها و حبيتها خلال دراستي لـ "شكسبير"، و خصوصي إن الترجمات السابقة لـ "سونيت" دي ما كشفت ش عن كل مكنوناتها وجواهرها. ودا السر ورا محاولتي دي.

يوم صيف

يا مين يدلّني أوصفِك بايه ؟ وكيف ؟

بيوم صيف؟ وانتي في الحلاوة دي أحلا

و في الرقة أرق ؟

يا هل ترا الريح في بؤونة ـ عاد ـ مابتعدّي ش

علا البراعيم بحفيف عنيف

تقولي حد سيف ؟

و الصيف يزيد – مهما طالت قعدته–

عن ضيف ؟

عين السما العالية ما بيجي ش عليها

أوقات تبرّق، صهدها يُنفُق ؟

وش النهار الاحمر بيفضل مزهـزه

أد إيه ؟

والحسْن بيتنه علا دا الحـــال

ما يتغيَّرشي كام سنة في دا الكون ؟

سيَّان بفعل القدر المحتوم، لا نقض

كان ولا إبرام يكون ؟

و لاّ بفعل طبايع الأشيـاء في دورة

الفصول ؟

غيرشي حبيبي صيفه ح يخلِّد خلود،

لا يزول ولا يحول.

ولا حُسْنه ح ييجي عليه يوم يخس

شعرة ولا جماله يهد.

و الموت ما عمره ح يتنفخ يتباها

-إيه؟- صاد الجمال كله طواه

مشاه في ضله.

إكمنُّه راح في دي السطور يحيا يعيش

وحياته دي ح تعفلج في

وزنها وقوافيها.

طول ما البشر فيهم نفس رايح وجاي،

طـول ما العيـون تنضر تشوف.

موالي دا ح يتنُّه حي في القلـوب

وحياته دي ح تخلِّدك وي الحروف.

و بعد كدا أنتقل لوغري للشاعر الفارسي العظيم اللي كتب بالعربي قصدي "أبونواس الأهوازي"، يعني بانسبه، لمسقط راسه اللي فضل حي في ذاكرته و وجدانه، طول عمره: "الأهواز". و بطبيعة الحال وصفي لـ "أبونواس"، لأول مرة، في ظني، بالفارسي نتيجة متأسسة علا مقدمات طويلة، مجالها ماهوش الكتاب دا. و لو اني باتمنَّا ييجي يوم أعد دراسة كاملة في الصدد دا. بس كل اللي أقدر أقوله دا الوقت إن الشاعر السوري "علي أحمد سعيد" المعروف باسم "أدونيس" ما قال ش غير جزء م الحقيقة في ندوة "خمسون عاماً على الشعر" في القاهرة في خريف ١٩٩٩ لما وصف أبونواس" بإنه: "قدَّم قيم المدينة مقابل قيم البداوة" فالصحيح إن "أبو نواس" قدَّم قيم الحضارة "الفارسية" نظير قيم البداوة "العربية". ليه ؟ ع شان الحضارات مختلفة، حضارة عن التانية، و كذلك البداوات دي عن ديكهات، رغم المشتركات، بكل تأكيد، بين الحضارات و البداوات.

و في كل الأحوال اخترت ٩ قصايد نواسي لاجل أترجمهم، لأول مرة، بطبيعة الحال، للغة المصري الحديثة:(٦٩)

لوم

دع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ

و داوني بالتي كانت هي الداءُ

صهباء لا تنزل الأحزان ساحتها

لو مسَّها حجرٌ مسَّته سرَّاءُ

من كف ذات حرٍ في زي ذي ذكرٍ

لها مُحبَّان، لوطيٌ و زنَّاءُ.

قامت بإبريقها و الليل معتكرٌ،

فلاح من وجهها في البيت لألاءُ.

و أرسلت من فم الإبريق صافية،

كأنما أخذُها بالعين إغفاءُ.

رقَّت عن الماء حتى ما يلائمها،

لطافة و جفا عن شكلها الماءُ.

فلو مزجت بها نوراً لمازجها،

حتى تولَّد أنوارٌ وأضواءُ.

دارت على فتية دان الزمان لهمْ،

فما يصيبهم إلاّ بما شاءوا.

لتلك أبكي ولا أبكي لهندٍ و أسماءُ.

حاشا لدرَّة أن تُبنى الخيام لها،

و أن تروح عليها الإبل والشاء.

فقل لمن يدَّعي في العلم فلسفةً،

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ.

لا تحظر العفو إن كنت امرءاً حرجاً

فإن حظركه في الدين إزراءُ.

(١) لوم

سيبك من لومك فيَّ، دا لومك بيغري ني،

حابب تداوي ني، داوي ني بدائي،

دائي ترياقي،

و انتهائي ابتدائي.

شقرا عمر الاحزان ماتقرَّب و لا تهوِّب نواحيها،

لو حجر صخر و مسَّها من نشوتها ح ينوبه جانب

نابعة من كف نتاية، سبحان من صوَّر،

عشقوها اتنين، ع اليدين: مصراوي وعرباوي.

عدِّت خشب السقف و عضِّت بياضات المراتبْ.

وانتفضت قامت ماسكة الابريق،

و بحر الليل عكر متعكر، قام وشها،

من حلاوته الرباني نوَّر.

بشويش ياسي الابريق ما تكب ش كدا حاسبْ.

بزبوزك أيواه سخي،

وايدينها مُراي، بس كاسي في ايدي علا أدّه.

صافية نازلة تدردب، تشرب منها العين تغفا.

فايرة، رايقة، تقول نور فيها ودايبْ.

لفّت كاس في كاس علا صحبة جدعان نخ قدرهم قدامهم،

عمره ما يصيبهم غير باللي يريدوه.

ربنا اللي خلقنا، خلقنا علا دا الحال،

وانت يا خال بس مالك محموق،

دا الكون كونه و مسيّره بمعرفته يا خال،

وانت إي ش ح تكون غير حيا اللاه، يابوب.

شهقة وجّت زي الشرار وانطفت بين مخلوقة و مخلوق.

(٢) فرس و عرب

دع الأطلال تسفيها الجَنوبُ.

و خل لراكب الوجناء أرضاً،

تخب بها النجيبة و النجيبُ.

بلادٌ نبتها عُشرٌ و طلحٌ،

و أكثر صيْدها ضبعٌ و ذيبُ.

و لا تأخذ من الأعراب لهواً،

و لا عيشاً فعيشهمُ جديبُ

دع الألبان يشربها رجالٌ

رقيق العيش بينهم غريبُ

إذا راب الحليب فبل عليهِ

و لا تُحْرَجْ فما في ذاك حوبُ

فأطيبُ منهُ صافية شمولٌ

يطوف بكأسها ساقٍ أديبُ

أقامت حقبة في قعر دنٍ،

تفور، وما يُحس لها لهيبُ

كأن هديرها في الدن يحكي

قراءة القس قابله الصليبُ

تمد بها إليك يدا غلامٍ

أغنّ، كأنه رَشأٌ ربيبُ

غذته صنعة الدايات حتى،

زها، فزها به دلٌ وطيبُ

يجر لك العنان، إذا حساها

و يفتح عقد تكّته الدبيبُ

و ان جمّشته خلبتك منه

طرائفُ تُستخف لها القلوبُ

ينوء بردفه، فإذا تمشّى

تثنّى، في غلائله قضيبُ.

يكاد من الدلال، إذا تثنى

عليك، ومن تساقطه، ينوبُ.

و احمق من مغيبة تراعى

إذا ما اختان لحظتها مريبُ

(٢) فرس وعرب

سيب الهدد للريح تسهدم بواقيه وارحل،

و لا تحط ش أبد ريح العربْ.

دي بلاد بُلاد - لو نبُتت - نباتها يطلع

حطبْ.

و ضلها - لو ضللت - يشلب لهبْ.

و لو رميت فيها الشبك ح تصيد،

ي ضبعاية ي ديب - من قلته - لازز دويله،

ما بين الوراك.

خلي الجمل بما حمل،

ان كان قراد و لاَ جربْ.

دول ناس لاناس ينساب لهم نخل البلح،

طارح رطبْ.

تنفات لهم أرض العزبْ.

متخضَّرة بالفدادين.

لم الخلَق قبل الشفق ما يغيب و خد في وشك،

و لا تتلفت أبدن وراك.

واعمل ودانك، واحدة طين، واحدة عجين.

واوعاك تأمل من وراهم عيشة مرية،

يركب ك ندم فوق ندم.

العلم عندهم نسب في..ز نسب في .....ز نسب،

في. ز نسب، لحد ما النُّساب يقيم عينيه، يشوف

عيِّل لونِ عابر سبيل، يقوم يفز جرْي يقطره.

و الفن ـ لو فلت م التحريم ـ حروف

ملولوة صابها الخرس،

مهما تقف تترجا فيها بالسنين، دا ينطق البجم،

و يشعر ع الربابة، وهي قاعدة مأعبزة،

ولا جلوص طين.

غيرشي العجب كل العجب:

مافي ش في وشهم نقطتين دم.

و خلِّي معْرهم بقا علا جنب،

بعد ما زاد عن الهم علا القلب الحزين وترعم.

قال إيه يا ناس هم وما في ش،

لا قبلهم ولا بعدهم غير العجم.

يكون ش ع شان بيحللو السبي ياناس،

و يحرّمو الحب؟

يا ميت ندامة ع الخجل حين يندفن علا الحيا،

عند العرب و يترجمْ.

تبكي ش عليه و لا عين حزينة منكسرة،

هم العرب فينهم وفين "كسرا" ؟

و زرايب الغنم صنانها يقول يا هوه إيه،

لبهاء الميادين ؟

(٣) رسولُ

إن التي أبصرتها

سحراً تكلمني رسولُ،

ليست هي القصد الذي

يومى إليه، بل السبيلُ.

أدّت إليّ رسالةً،

كادت لها نفسي تسيلُ.

من ساحر العينين يجذب

خصره ردفٌ ثقيلُ.

متقلِّد قوس الصبا،

يرمي وليس له رسيلُ

فلو ان أنك بيننا،

حتى تسمَّع ما نقولُ.

لرأيت ما استقبحته،

من أمرنا وهو الجميلُ

و علمت أني في نعيمٍ

لا يحول ولا يزولُ.

(٣) مرسال

حيلك يا ابني حيلك،

دي اللي ريتها الفجرية امبارح، بتكلمني،

ماهي ش هيَ: دي مرسال.

جايبة لي رد غباره طال،

منها: اللي عليها القصد و سايقة الدلال.

أحلف لك رد يادوب،

لاكن روحي منّه كانت ح تنوبْ.

جايباه م اللي عينيها بحور، والـ....زّ سقط.

و الوسط مسحور،

و الشعر منساب سايح ع الكتاف شلال.

سبحان من خرط: نحّات مثّال.

جل شان من صنع: دوّار جدّال.

عز شان من بدع: لفّاف غزّال.

سابها الخلاّق صيّادة بشبكها الجرئ،

طايحة في المخاليق،

ترمي مرة بنشان، ومرتين من غير،

و يمين في شمالْ.

والعجيب عمر رميتها ما تهيّف و لا تخيبْ.

و تقول يابني شفت بعينيك وملّيت م المنظر نظرك.

لو حظك كان زوّد سعدك،

كان كمان خلاّ ودنك تشرب لحظتها اللي اتقالْ.

رد وسؤالْ.

كان اتكشّف لك يا ابن الحلال،

بعض المستخبي:

دخل الجنة بدري، اللي حب وطال !

(٤) حب

الحب فوقي سحابٌ

و الحب تحتي سيولُ

فذا يسيخ برجلي،

و ذا عليّ هطولُ

و للصبابة حولي

مدينة وقبيل

و للحنين بقلبي

محلّةٌ، ومقيلُ

و ليس حوليَ إلاّ

رياح حبٍ تجولُ.

(٤) حب

الحب فوق مني سحاب نازل يرخ.

و الحب تحت قدمي قايم سيول،

و لا في ش معدِّي ريح ودائي،

غير رياح حب ومودة وعشق،

تسبق الخيول.

دوِّخ لي نافوخي ياناس، و سوِّخ لي

خطايا،

لا قادر ازعق فيه يرق الحلا،

و يرحم عضايا،

و لا لاحق اسرخ ولا اقول م اللي جاري لي منه،

أخْ خْ.

همو يا خلق حوشو عني،

و لاَ أقول لكم سيبوه،

جايز انا محقوق،

و هو معاه حق.

(٥) قتل

أوعدتني بالقتل من غير ما

جُرْمٍ، وقلبي رهنُ كفيُكا.

يا مُوعدي بالقتل قد حالف الـ

خنجر في قتلي يمينيكا.

يا من دعا قلبي إلى حبه

فقلت: لبيك و سعديكا.

ما خنجرٌ تسلب روحي بهِ

أقتل من تفتير عينيكا.

(٥) قتل

وعدتني بالقتل إنتَ،

فرحت انا، وْ من فرحتي هتفت:

شُبِّيك يا حبيب الروح و لبِّيك.

دا بس لو تقول لي إمتا؟

كنت انقطع عن دُنيتي و استنظرك زي عوايدي،

لحد ما تهل عليّ مكسوف،

من كسوفك خطوتك بتسبقك،

ماشي وماشي وراك بهمْسة عودك الزان السرِّح،

و تقتلني زي ما قتلتني يا « زان » سابق بتسبيلة عينيك.

و لا خنجر العرب ينجسٌ لك ايديك.

(٦) فارس

يا بشر مالي و السيف والحربِ

وإن تجمي للهو والطربِ

فلا تثق بي، لأنني رجلٌ

أكعُّ عند اللقاء و الطلبِ

وإن رأيت الشُّراة قد طلعوا،

ألجمت مهري من جانب الذنبِ

و لست أدري ما السُّاعدان، والـ

ترس، وما بيضةٌ من اللَّبِبِ

همّي، إذا ما حروبهم غلبتْ،

أيُّ الطريقين لي إلى الهربِ

لو كان قصفٌ و شرب صافيةٍ،

معْ خوْدٍ تختال في السُّلُبِ

و النوم عند الفتاة أرشفها،

وجدتني ثمّ فارس العربِ!

(٦) فارس

شوف يا صاحبي نجم صاحبك حسبوه،

قبل الزمان مايكون لقوه ع الحب حادفْ.

ع الغنا والرقص عاطفْ.

و علا الخمر بقا مميِّل و واقفْ.

يبقا يعني بعينك إنت،

اللي كمثلي ولاّ من توبي الرقيِّق دا،

ح يبقا له - يا عمي - في قولة الحربْ ؟

قول دا هرَّاب، قول دا هيَّاب،

قول خرع و بينوهر من قصة الضربْ.

قول عليَّ زي ما تقول، بس انا مخلوق كدا:

أبهج أتبهج واسعد أوي كل ما لاطفْ.

لاعرف السيف يتمسك بيد ولاّ بالاتنين،

كما الفوس في العزيق، وبيمسكوه ع العري،

و لاّ بورقة وكيف ما عارفْ ؟

و لا بافهم في الدروع ،

ولاّ اسمها إيه دي التروس،

وان كانو للاكل و لاّ للشربْ.

و لا اطيق انضر عيون غاب،

علا إيدي، لونها م الرعبْ.

و لا يدخل مخي ادوق طعم الجواري،

ولا عمري استطعم ذل الشفايفْ.

بس فارس وكمان غزاي،

ما تعرف شي إزاي ؟

غيرشي بارجع مرة مقتول، مرتين مجروح،

ودمي في الحشا ساحح ونازفْ.

آه وياما أسروني الغز في الشرق وسبوني،

السمر، والسود

لم سابوني.

و لا أقول لك ش بقا ع الشقر سوُّو إيه

معاي في غزوة الغربْ.

و تلاقي ك سامع أهاتي، وسايبْ

اللي يهاتي في الأسر يهاتي.

و هو ملك وْ صاحبه شايفْ.

ناس بتقتل علا شان تلهف وناس،

زي حالاتي.

(٧) لبن الدجاج

أقول، وقد رأت بالوجه مني،

مجاجاً، يا محسِّنة المجاجِ

و يا أحلى، وأشهى الناس طراً

وإن شبّهت ظُلماً بالسماجِ

صليني، يا فدتكِ النفس مني،

و خلّي ذا التعمُّق في اللجاجِ

وحبي، يا فديتك من بعيدٍ،

فإني لستُ في دار الخراجِ

سنكلف ما هويت بكل شيءٍ،

وإن أكلفتنا لبن الدجاجِ.

(٧) لبن العصفور

لا اني عربي و لا باعرف يا سيف يمسكوك ازاي ؟

لا فتحت مداين، ولا غنمت سلب ولا استنّيت تخميس،

و لا لي في النهب والتنتيش.

لا فرضت خراج و لا حطيت جزية علا الفلاحين،

لا في سواد العراق،

لا "منوف" العُلاي.

ولا باعرف أسوق للسوق قدامي عبود،

ولا احط القيود،

في الإيود.

ولا بافهم في البيع و عايش طول عمري شرّاي.

ولا في ش ساتر جنتي غير يابوب راق،

ويابات ياما ع "الحميد المجيد".

بس لو تطلب يا شقيق الروح لبن العصفور،

ح اطلع لك حافي أدوّر عليه.

(٨) بنت الأصول

هذا قناع الليل محسورُ

فاشرب فقد لاح التباشيرُ

سُلافةٌ لم تعتصرها يدٌ،

ولم تدنّسها الأعاصيرُ

تنزو، إذا الماء تراءى لها،

كما رمى بالشرر الكيرُ

كريمة أصغر آبائها

إن نُسبت كسرى و سابورُ

طوى عليها الدهر أيامهُ

و عمّيتْ عنها المقاديرُ

فلم تزلْ تخلصُ، حتى إذا

صار إلى النصف بها الصيرُ

جات كروحٍ لم يقم جوهرُ

لطفاً به، أو يحْصه نورُ

يسقيها مختلَقٌ، ماجنٌ،

معوَّدٌ للسقي، نحريرُ.

(٨) بنت الأصول

اشرب يا وعدي اشربْ.

خليها تسقيك طعمها قَطَّة ورا قَطة

تفرفط فيك وتجمع.

و تنعش البدن يصير في أواعيه روح.

الحق قوام قريع،

دا الفجر بيقرِّب.

و الليل يا ميت خسارة بيودِّع.

و الشمس قايمة تشيل ـ يا عين ـ عن

وشها البرقع.

ندع الندا ح تطير.

و الطيرِ ح يزقزق.

و النور كمثل الدم راح يسري

في قلب الكون.

و قلب الكون ح ينبض.

و الموت ح يموت.

حقا لو النهار يهل والضلام يفضل.

لاجل العرب مايشوفوني ش قالع

قناعي، لابس سدقي،

يسبوها حبيبتي مني،

اللي غزير الليل تقلّع فيّ وتلبس ني،

بنت الأصول الحرة: سلسالها الشريف

راجع لحد العنب اللي تكاعيه،

ضللت، تقولو يا اهل المعرفة علا مين؟

علا "كسرا" ذات نفسه و "سابور" تحت جلال الميادين!

أترجاُ مين؟

وانده لمين ؟

ينْقَط يفتح الباب للنهار يدخل،

و يقفل الشباك لا الضلام يرحل.

(٩) فديتك

فديْتك. فيمَ عتْبك من كلام

نطقْت به على وجهٍ جميلِ؟

و قولك للرسول: عليك غيري،

فليس إلى التواصل من سبيلِ

فقد جاء الرسول له انكسارٌ

و حالٌ ما عليها من قبولِ

و لو ردَّت جِنان مرد خير.

تبيَّن ذاك في وجه الرسولِ.

(٩) قرنفل

وقفت قدام منها زامم شفاتيري،

و عْيني بالنيابة عن لساني تتكلّم.

قلبي يدق و هي تحت جفونها بترجم.

روحي ترفرف حولين الشفتين:

يا هل ترا، ح تحيوني

الساعة دي ولاّ توْ ح انقتل؟

خدينُها زنهرو، رموشها سبلُو:

- صنف النسا ماهوش قليلُ.

شوقي انفجر:

الورد مالي جنانيه بس انا مالي بيه،

بادام ياروحي إنتي روحك في القرنفل!؟!

الفصل السابع

دور المراجع وحدوده

٧ ـ ١ دور المراجع:

أبدأ هذا الفصل فأقول أن الخلاف دار بيني و بين سيادة الأستاذ الدكتور الذي رشحته لي في البداية دار نشر قومية لمراجعة ترجمتي لكتاب العالم الكبير "دونالد ريدفورد" المعنون "أخناتون، ذلك الفرعون المارق"، ثم حاولَت فرضه على الحر الفقير في النهاية، حول نقطتين رئيسيّتين هما:

الأولى: من هو صاحب الكلمة الأولى و الأخيرة في النص المترجم وهل هو المترجم أم مراجعه؟

الثانية: ما هي حدود المراجعة؟ و هل يحق للمراجع أن يتدخّل فيما لا ينكر، هو نفسه، أنه صواب، وذلك بهدف "تحسينه" من وجهة نظره؟

فيما يتعلّق بالنقطة أو السؤال الأول أصررت على أن المترجم هو المسئول الأول و الأخير عن النص المترجَم. و إزاء النقطة الأخرى رأيت، و لم أتزحزح، أنّ رأي المراجع إستشاري محض و ليس من حقه التدخّل إلاّ متى أخطأ المترجم خطأ

صريحاً. و بعبارة أخرى يستطيع المراجع أن يوصي المترجم بما لا يفعل وليس بما يفعل. و قد انتهى الخلاف بيننا إلى طريق مسدود، أدى بي إلى إعفاء الدار المشار إليها بالصفة، دون تسميتها، والأولى إعفائي، من العقد المبرم بيننا على نشر ترجمتي للكتاب.

و قبل أن أتوقف بإيجاز شديد، أمام بعض المناطق التي إختلفت فيها وجهتا نظرينا أود أن أشير إلى أن مراجعة الترجمة وظيفة تكاد أن تكون "اختراعاً" مصرياً. وفي هذا الصدد أحب أن أضع أمام القارئ الكريم هذه القائمة التي اخترتها عفو الخاطر من مكتبتي المتواضعة لأعمال مترجمة من لغات أجنبية إلى لغات أجنبية أخرى دون أن تعرف تلك "الوظيفة":

Ukrainian Folk Tales .

Translated from Ukrainian . by Irina Zhelez nova .

Kiev . Dnipro Publishers .1981

Chinese Village Plays From the Ting Hsien Region .

Translated from the chinese by various scholars after the original recordings and edited with a critical introduction and explanatory notes. Amsterdam . Philo Press .1970

Le Voyage en Egypte (Strabon)

Traduction de Pascal Charvet

Commentaires de J. Yoyotte et P. Charvet

Nil editions 1997

Don Quixote

Translated by J. M. Cohen

Penguin Classics 1951

The Ancient Egyptians (Adolf Erman)

Translated by Aylward M. Blackman

Harper Torchbooks 1966

The Egyptian (Mika Waltari)

Translated by Naomi Walford

Werner Soderstrom osakeyhtio 1983

Moise et Le monotheisme (S. Freud)

Traduit de l'Allemand par Anne Berman

Gallimard 1948

Odyssee (Homere)

Preface de Paul Claudel

Traduction de Victor Berard

Gallimard 1955

La hija del Espantapajaros

Tradiccion : Carmen Vazquez Vigo

Titulo origenal : Pappa Pellerins 1987

و نستطيع أن نلاحظ على هذه القائمة ما يلي:

تنوع اللغات التي نقل عنها هؤلاء المترجمون ما بين يونانية إلى لاتينية، و من أوكرانية إلى صينية إلى ألمانية لثلاث لغات حية، هي الإنجليزية و الفرنسية والأسبانية.

تعدد مجالات التخصص التي عمل فيها المترجمون من الفلسفة إلى الفولكلور إلى المسرح إلى الملحمة إلى الرحلات إلى الشعر إلى علم النفس إلى أدب الأطفال.

حمل المترجمون أمام أنفسهم ثم أمام قرائهم مسئولية الترجمة دون حاجة إلى تلك "الوظيفة".

و غني عن الذكر أنني أتوقف، مع قارئي الكريم أمام بعض نُقط الخلاف بيني و بين الدكتور المراجع نشداناً من جانبي للحقيقة المجردة التي أراها مقدمة ضرورية لأي رقي وازدهار. ولذلك فإنني سوف أقصر حديثي الحالي على ما يشترك فيه سيادته مع غيره من أساتذة المصريات في مصر دون ما ينفرد به من "أخطاء"، خصوصاً وأنني أميل إلى ردّ "أخطائه" الخاصة، و عدد غير قليل منها لغوية، لأسباب موضوعية أكثر من أسباب ذاتية، توجز في، رأيي، في الفجوة الواسعة بين لغة رسمية صعبة، غاية في الصعوبة، على مستوى النحو و الصرف و النطق بل و قواعد الإملاء "تُتعلم" Learned و بين لغة قومية "تُكتسب" . Aquiredفأن يشطب سيادته عبارة ". برجالهم شاكيّ السلاح" كترجمتي لعبارة: men-at-armsو يكتب بخط يده ، الذي حرصت على الاحتفاظ به تحت يدي:

"برجالهم حاملوا السلاح" بوضع "ألف مد" أمام "حاملو"، التي ينبغي أن تكون، فضلاً عن ذلك، مجرورة، لا مرفوعة، على هذا النحو:"حاملي"، أمر أستطيع أن أعزوه

إلى صعوبة اللغة العربية - السامية، سواء على المستوى الصرفي أو النحوي، و كذلك الإملائي، أكثر من عزوه إلى أي تقصير جسيم في تكوين سيادته وإعداده في سنوات عمره الأولى. ولكنني إزاء الترجمة ذاتها، لا أستطيع أن أساوي بين العبارتين، فضلاً عن تفضيل هذه على تلك، في السباق الذي يقول:

The Canaanites rulers kept their small feudal levies of "knights" (maryannu) and men- at- arms and continued trade and quarrel with their neighbors . (70)

ومعنى القول أن الهدف الذي أضعه نصب عيني، ليس شخص الدكتور المراجع بل عمله. فلسيادته كل احترام يستحقه، ولعمله مني كل نقد موضوعي واجب. فالتجاوز ينبغي أن يكون للأعمال قبل الأشخاص. و لسوف أركز حديثي في منطقتين دار في نطاقهما الخلاف بيني و بين سيادة الدكتور المراجع:

أ- رسم الأسماء :

لعل أول مشكلة يواجهها المترجم الذي يقتحم مجال المصريات هي، رسم الأسماء سواء أكانت أسماء أشخاص أو أسماء أماكن و سيان كانت مصرية أو غير مصرية. ولقد بذلت في هذا السبيل جهداً ورأيت فيه رأياً، بعد أن "رمزأت" أمام السائد في الترجمات في هذا المجال، خصوصاً وأن هذا السائد ليس موحّداً بل متنوّعاً، شديد التنوع، وما يجمع تنوعاته، في ظني، هو البعد، بدرجات متفاوتة عن الفصاحة و الإبانة. واعتمد جهدي، و بالتالي رأيي في الأمر على أساسين:

- رفض النطق اليوناني الذي إنحدر إلى اللاتيني ومنه إلي اللغات الأوروبية الحية، التي ألم بأربعة منها إلماماً متفاوتاً. رغم أن أساتذة كبار في المصريات لم يترددوا، في مسايرة ذلك النطق دون سبب يمكن الدفاع عنه، خصوصاً إذا ما توفّر، البديل المصري له. و إليك، قارئي الكريم، أسماء بعض من تسعفني ذاكرتي من هؤلاء الأساتذة الأجلاء:

د.أحمد بدوي ، الذي كتب إسم فرعون مصر قبل أن يسمّي نفسه "أخناتون" في كتابه "في موكب الشمس" الجزء الثاني ص ٥٦٧ على هذا النحو: "أمينوفيس".

د.نجيب ميخائيل إبراهيم ، الذي "التصق" بالنص الإنجليزي و الأولى اليوناني، في ترجمته لكتاب "مصر الفراعنة"، ص ٩١، و كتب اسم عاصمة مصر، خلال المملكة القديمة هكذا: ممفيس.

د.عبد المنعم أبو بكر الذي كتب خلال ترجمته لكتاب "ديانة مصر القديمة" ص ١٩، إسم إله الفوضى في مصر القديمة، الذي إتخذ هيئة ثعبان و أصبح عدو إله الشمس "رع" على هذا النحو: أبوفيس.

د. علي حافظ الذي خط إسم "حورس" و الأولى "حوريس"على هذا النحو: "هوروس" في ترجمته لـ "روايات و قصص مصرية من العصر الفرعوني" عن الفرنسية لعالم المصريات الشهير "جوستاف لو فيفر" ص٢٣٧

د.سليم حسن الذي مضى شوطاً أبعد، في هذا السبيل، فكتب في ترجمته لـ "فجر الضمير" ص ٣٢١ :"الديانة الهيليوبوليسية "، نسبة إلى الإسم اليوناني لعاصمة المديرية الخامسة عشرة في الوجه البحري في مصر القديمة، ومركز عبادة "رع" إله الشمس: "أون"

- رفض طريقة الكتابة العربية التي اعتمدها أساتذة كبار، أيضاً، في رسم الأسماء التي استقلوا بها عن النطق اليوناني، على اختلاف ما بينهم في هذا الصدد، أي أنهم رفضوا جنوب أوروبا كي يجدوا أنفسهم في غرب آسيا. وعلى سبيل المثال لا الحصر:

"تحوتمس" أحمد باشا كمال، في الطبعة الأولى لكتابه المعنون "العقد الثمين في محاسن وأخبار و بدائع آثار الأقدمين من المصريين" ص ٨٣

"تحتمس" د. أحمد بدوي في كتابه "في موكب الشمس" الفصل الثاني عشر ص ٥١٠

" إمحوتب " د. نجيب ميخائيل إبراهيم في ترجمته: "مصر الفراعنة" ص ٩١

" أمنحوتب " د.عبد العزيز صالح في كتابه "التربية و التعليم في مصر القديمة" ص ١٧٣.

"مرية أمون" د. أحمد بدوي في "موكب الشمس" ص ٦١٢

"إزيس" د. سليم حسن في "فجر الضمير" ص ١١٥

"حور محب" د. بامور لبيب في ترجمته لـ "تشريع حور محب".

و قام نقدي لهذا النوع من الكتابة على إقتصادها في استخدام "الحروف" الصائتة أو الصوائت، التي لا تزيد عن ثلاثة: الألف و الواو و الياء، رغم ما هو معروف عن إستخدامها، هي ذاتها، كحروف سواكن في نفس النسق الكتابي العربي- النبطي الأصل، وهو الأمر الذي ينقل عُجمة و الأولى "بجامة" (من بَجَمَ) لا مبرر لها و لا سند سواء من قداسة عليا أو تقاليد عريقة إلى مجال المصريّات . Egyptologyفنحن لا نزال ننقل في هذا المجال عن العلماء الأجانب. وهؤلاء العلماء الأجانب هم الذين اكتشفوه، وماضون في استكشافه. و لا أقل من السعي إلى تأسيس مدرسة مصرية توازن أي مدرسة أوروبية في رسم هذه الأسماء. فليس معقولاً أن نستمر نكتب، كي نطمس و نبعد عن أنفسنا إمكانية الفهم بدلاً من أن نوضّح و نجعل الفهم أقرب منالاً، في إطار الدفاع عن عروبتنا المزعومة، حتى ونحن نخط أسماء ليست عربية، وليست ساميّة بل وليست أسيوية غربية. و كانت هذه النقطة أوّل النقط التي اختلفنا حولها، مراجعي الدكتور وأنا. فلقد شمّر سيابته عن ساعديه وشطب رسمي لهذه الأسماء، كي يستبدله بالرسم الذي أعرفه جيداً حيث ظل يقفز تحت أنفي طوال آلاف الكيلومترات من السطور التي قرأتها في المصريات في اللغة العربية و لم أكن غافلاً بحال من الأحوال عنه، لكنني وقفت منه موقف التشكك والتساؤل. و لما فشلت في إقناع سيابته بمنطقي، شعرت أن سيادة الدكتور المراجع يهدرعملي الذي نشأت على حبه حتى العبادة و زيادة، كما سبق لي القول.

و لعل القارئ الكريم يلاحظ أنّ رسمي، في كتاباتي و ترجماتي، للأسماء مختلف عن رسم غيري في مجال المصريات. لكنه رسم منتظم systematicقدر الإمكان، وليس خبط عشواء. مثال: "حور محب" الذي رسمته هكذا "حور- إم- حب"، و الأولى "فصّصته" ثلاثة مورفيمات، كل مورفيم منها يقف موازياً للمورفيم المقابل باللغة المصرية القديمة، حور = صقر(الإله)، إم = بتاع ، حب = مختصر اسم المدينة التي ينتسب إليها، على وجه الترجيح، في جنوب مصر، وهي"حبنو". و بالتالي يكون الإسم قد باح بمعناه من رسمه، أو قربه منا، على أقل تقدير. فالإسم، هنا، ينسب الشخص إلى المكان، مثلما تفعل سائر الشعوب المستقرة المتحضرة. فالفرنسيون يسمّون أسماء من قبيل: De Gaulleنسبة إلى "جول" و الطليان من قبيل: Il Nolanoنسبة إلى Nolaقرب نابلي و كذلك الإنجليز باستخدام

Of، و مختصرها 'Oمثال: O'Conner، و كذلك الألمان الذين يستخدمون في هذا الغرض حرف Von، مثال .Von Hugelو بذلك يكون الرسم الذي إرتأيته أنسب للإفصاح عن معنى الإسم الذي يوازي: "الحبناوي"، مثلما لا نزال نحن المصريين المعاصرين، نفعل حتى اليوم، أي أن ما يقوله لنا خبراء أنجلو أمريكيون و خلفهم بالعشرات و ربما بالمئات، أكاديميون "مصريون"، أنه انتهى لم ينتهي أو (ينته) تماماً، بل و لا يزال حياً، في أفئدتنا، و أكثر حياة مما يظن أكاديميونا. فالمصريون استمروا يسمون: "شرقاوي" و "إسناوي" و "طهطاوي" و "بشموري" إلخ، و ذلك خلافاً للعرب بصفة خاصة و الساميين بصفة عامة، فهؤلاء و أولئك لا يزالون ينسبون المكان للشخص على النقيض من المصريين و سائر المتحضرين و تراهم يقولون: "وادي الدواسر" و"كفر عازار" ، بل و لم يستطيعوا إلاّ أن ينسبوا بلادهم على رؤوس الأشهاد إلى شخصين أحدهما، "سعود" و الآخر "إسرائيل". و لعل هذا هو الفرق الجوهري بين إسم البطل الغازي "أبو زيد الهلالي" (نسبة لقبيلته)، واسم البطل الوطني "خليفة الزناتي" (نسبة إلى مسقط رأسه و هو "زنات").

وقل نفس الشئ على رسمي لإسم: "أمون- حوتب" أي "أمون + راضي" و ذلك عوضاً عن "أمنحتب" على سبيل المثال. و كذلك إسم الفرعون الشهير "أمين – إم – حات" أي "أمين – في – المقدمة" بدلاً من "أمنمحات" الذي يقتضي أن تعرف نطقه الصحيح قبل قراءته لا العكس، أي أن تعرف نطقه من قراءته، كما يقضي منطق الكتابة في سائر لغات البشر، فيما عدا واحدة. وقل مثل ذلك في رسمي لـ"حر- شا- إف " أي (اللي) على – بحيرة – ـه "بدلاً من "حرشف" و "إي – إم- حوتب" أي "جاء – في – سلام" ، بل و "أشور- بني- بعل"، عوضاً عن "أشوربنيبال" الدارجة على ألسنة بل وأقلام أكاديميينا أي بعض كبار "متعلمينا" الخ.

و لست أنكر أنني ما كنت لأصل إلى هذا الرسم لولا القدر اليسير الذي حصلته، خارج نطاق التعليم الرسمي الذي يتلقاه المصريون في دور "العلم" من اللغة المصرية القديمة في مرحلتها الهيروغليفية، بالإضافة بطبيعة الحال إلى ذلك الإلمام المحدود من جانبي باللغويات.

و لكن يبدو أن طرح المثال أسهل كثيراً من محاولة الالتزام به. فلقد وجدت من الصعوبة أن أعدل عن رسم إسم "إيزيس" على هذا النحو اليوناني القديم. كما ترددت أمام رسم إسم "نفرتيتي" على هذا النحو الأصوب " نفر-ت-تي أي الحلو+ علامة التأنيث أي التاء + جات" ، وذلك للمقاومة الباسلة و المؤسفة في وقت واحد، التي كانت الذاكرة البصرية للقارئ لتبديها في وجه هذا الأصوب، وهي

مقاومة تتناسب طردياً مع ما تعودت عليه. وعلى نفس النول جاء رسم: "أوزيريس" و"حوريس"، اللهم إلاّ عند إشتقاق الصفة منهما: أوزيري، حوري.

إلاّ أنني طمحت، في رأيي، طموحاً مشروعاً لا يحول دون تحقيقه، على نطاق قومي، سوي الانقطاع المفروض حالياً (من فرضه؟) على المصريين المعاصرين، عن حضارتهم و ثقافتهم القوميتين، أي المصريتين.

ب- نبذ العامية:

سوف أسلّم جدلاً بأن اللغة التي يتحدثها المصريون المعاصرون في الشوارع الخلفية و الأمامية لغة عامية. لكن السؤال يظل قائماً: ما هو الداعي، إذن، لموقف التأفف الذي يقفه "المتعلمون المصريون"، دون سواهم من متعلمين في مختلف ربوع الكرة الأرضية، من هذه "العامية" طالما كان هدفنا جميعاً، كتّاباً و مترجمين، أو ينبغي أن يكون، هو الحقيقة. و يكاد هؤلاء "المتعلمون المصريون" أن ينفردوا بهذا الموقف الذي لا يعكس سوى انطوائهم على دونية مزمنة، خصوصاً إذا ما تذكرنا أن د. "أنيس فريحة" أستاذ اللغات السامية بجامعة بيروت، وهو لبناني الجنسية، على سبيل المثال، يقف من هذه "العامية" أو "اللهجة المصرية"، كما يسمّيها، موقفاً موضوعياً نقيضاً لموقف أولئك "المتعلمين المصريين" أي يكبرها إلى حد المطالبة بتقنينها تمهيداً لاتخاذها لغة للتعليم في سائر أرجاء المنطقة التي تمتد من الخليج إلى المحيط، ويسمّيها الخبراء الأنجلو- أمريكيون "الوطن العربي". وفي سائر الأحوال تعد "العامية" بمثابة اللغة الحية المُعاشة التي تشكل "تغذية مرتدة" باستمرار للغات السائدة في بريطانيا و فرنسا و ألمانيا الخ. و لا تشذ "عاميّتنا"، كما يسمّيها خصومها، في هذا الصدد. فهي لا تكف عن تقديم الحل تلو الحل لما تعجز عنه "فُصحانا"، كما يسمّيها أنصارها. ويكفي، في هذا الحيّز الضيّق، أن أشير إلى كلمة واحدة هي: tantalizeالتي اضطر صاحب قاموس "المورد" العربي - السامي والأولى الأسيوي الغربي، إلى محاولة ترجمتها إلى اللغة العربية "الفصحى"، فاستنفد في هذه المحاولة المشكورة عشر كلمات سمينة دون أن يحيط لا بمعناها ولا ظلالها هي: "يعذّب بإبناء شيئ مرغوب فيه و إبعاده على نحو موصول". في حين تمنحنا "عاميّتنا" نحن المصريين، عن يد سخية، كلمة واحدة لا غير، هي: حنّس! وبطبيعة الحال صادفت، خلال رحلتي المهنية، محاولات أخرى في هذا الصدد، خلاف محاولة "بعلبكي"، إحداها محاولة "الكرمي" في قاموسه "المغني الكبير"، حيث ترجم

الكلمة الإنجليزية إلى: لوّب. ومعناها لا يزيد ولا ينقص عن: "خلطه بالملاب أو لطخه به"، وفقاً لقاموس "المنجد". و إذا بحثنا في نفس القاموس عن "لاب" وجدنا ما يلي: "لاب يلوب لوباً و لواباً، الرجل أو البعير: عطش، وقيل حام حول الماء و هو لا يصل إليه"، "و يقال: " إبل لوب و نخل لوب و لوائب" أي عطاش بعيدة عن الماء." و واضح مدى قصور محاولة "الكرمي" في تسكين معنى الفعل الأجنبي فى اللغة العربية، مما اعترف به، في شجاعة محمودة، صاحب قاموس "المورد"، وهو الأمر الذي جعله يمضي إلى شرحها، عوضاً عن ترجمتها على النحو الذي سبقت الإشارة إليه.

و بناء عليه قبلت بامتنان و عرفان كل حل لغوي وفّرته لي لغة الأميين المصريين - أياً كان اسمها - لكل عقدة عجزت اللغة العربية الكلاسيكية أو "الفصحى" عن عمل شيئ إزاءها. و على سبيل المثال لم أتردد في الاستعانة بفعل "فاصل" العامي في ترجمتي لعبارة:

haggle over price p. 88

الإنجليزية على هذا النحو: (و أصبح التعبير المصري: "يبيع ويشتري بالسوري(أو باللغة السورية) مساوياً في واقع الأمر للتعبير الآخر: "يفاصل".) ولكن الدكتور المراجع شطب الفعل "العامي" و الأولى الأفصح من نظيره في اللغتين العربي و الإنجليزي على حد سواء، حيث نقل المعنى المحدد بكلمة واحدة لا غير، و كتب سيادته بدلاً منه: "ساوم". ضارباً عرض الحائط بالحقيقة التي تقول أن "الفصال" نوع خاص من المساومة يدور بالتحديد حول سعر سلعة أو خدمة ما. فالمفاوضات السياسية كلها عبارة عن مساومات، دون أن تنطوي، بالضرورة، على أي أسعار أو أثمان أو نقود. و في أحيان كثيرة لا تتناول هذه المفاوضات سوى ترسيم الحدود أو حصص الإنتاج أو حقوق المراعاة الجمركية أو قواعد الحمائية، وكل هذه ومثيلاتها تنطوي على مساومة، دون أي نوع من الفصال.

و قد رفض الدكتور المراجع مني كلمة "جدارية" في مقابل كلمة: relief، مفضلاً عليها كلمة: "مناظر". و أيّده في ذلك، على طول الخط، و لسبب غيرمعروف، رئيس تحرير السلسلة، الذي أشار و هو يجادلني إلى أن كلمة: "جدارية" تعني كلمة: ""mural وحسب. وعندما سألته أن يقترح ترجمة أفضل من "جدارية" قال: "نرجع للقواميس المتخصصة". وكان أن رددت عليه من فوري: رجعت. فإذا به يشرع

في شرح معنى الكلمة على هذا النحو: "نقش بارز". فأكملت له: "أو غائر". لكن ذهني لم يسعفني لحظتها بأن أقول له أن الدكتور المراجع الذي لم يجد في جعبته نظيراً لها سوى كلمة: "مناظر"، وقف حائراً أمام عبارة:

relief scenes p. 219

و لم يشأ أن يمضي مع ترجمته على إستقامتها و يكتب: "مناظر مناظرية"! و عندئذ لم يجد بداً من تحمل ترجمتي لها: "مناظر جدارية" وكانت هذه هي الأولى و الأخيرة التي تنازل فيها و قبل مني كلمة "جدارية".

وفي إطار عدم التأفف من "العامية" بل و الامتنان لها كلما تبسَّمت عن حل عبقري، ترجمت كلمة: "stela" إلى "صادود" و هي الكلمة التي كانت شائعة في ريف الدلتا، حتى وقت قريب، كدال على مدلول محدد هو البناء- العمودي الشكل الذي كان يساعد في حفظ توازن السواقي، ومع إنقراض السواقي أمام زحف الميكنة الزراعية المستوردة توفرت بين أيدينا كلمة رائعة تستطيع أن تساعدنا في أداء معنى جديد، يشبه المعنى القديم أو لا يخاصمه كل الخصام، خصوصاً و أننا أجهدنا كلمة "لوحة" التي إقترحها سيادة المراجع الدكتور بإستخدامها في اللغة العربية كمقابل لكل من:

Plaque + Plate + tableau + Tablet + Chart ,placard, etc.

و ما أدعو إليه هو عين ما يفعله الأوروبيون باستمرار، بل و ما بدأ العرب، العاشقون للثبات، أنفسهم يقدمون عليه بعض الأحيان. و الأمثلة الأوروبية في هذا الصدد معروفة على نطاق واسع، و أقربها منالاً كلمة: Tele-vision التي تتكون، كما هو واضح، من جزءين أحدهما يوناني و الآخر لاتيني، لا صلة مباشرة لمعناهما القديم بما وُظِّفا لأدائه في العصر الحديث. أما العرب فلقد إستخدموا كلمة "القطار" في الزمن القديم للدلالة على: قافلة الإبل. و يخبرنا قاموس "المنجد": قطار من الإبل = "قطع منها يلي بعضها بعضاً على نسق واحد". و لكن لم يعد هناك من يتردد من العرب اليوم، فيما أظن، في إستخدام الكلمة لأداء معنى مغاير. وهذا بطبيعة الحال من باب ضرب الأمثلة دون حصرها. و لكن سيادة الدكتور المراجع صنع مع كلمة

"صابود" ما كان قد أصبح وقتها متوقعاً منه دون زيادة و لا نقصان.

و غني عن الذكر أنني أضع نصب عينيّ - هنا - كمتعلم مصري، دون قوسين، أي يبني تعليمه على قاعدة أميته، أي ثقافته القومية، هذا الهدف الواعي: ضرورة الحرص، كما يحرص المتعلمون الأجانب الذين تحرروا من القداسات الزائفة، و صاروا، بالتالي، قادة روحيين لشعوبهم، على ألاّ أطلق أسماء عديدة على مسمّى واحد، كما ذكرت قبل قليل، أي أقاوم آفة الترادف من ناحية، و ألاّ أطلق إسماً واحداً على مسمّيات متعددة، أي أكافح آفة الإلتباس التي تقف أمامها في هذه اللحظة، من ناحية أخرى.

و لقد تدخّل سيادته، مرة أخري في ترجمتي لهذه الجملة:

Akhnaten and his family had become non-persons P. 231

على هذا النحو: "وأمسى "أخناتون" و عائلته لا ناس" كي يرفع من شأنها - على ما ظن - إلى: "و أصبح "أخناتون" و عائلته منقرضة"!

وواضح للقارئ الكريم أن مراجعي الدكتور الفاضل تخيّل أن non-persons تعني "منقرضين". و حتى إذا كان الأمر كذلك، وهو بطبيعة الحال ليس كذلك، فما هو السبب الذي جعله يقصر ذلك "الانقراض" على عائلة "أخناتون" دونه؟ و لست أنكر، بطبيعة الحال أنني عمدت إلى تعبير "لا ناس" ذاك و في ذهني أصداء العبارة التي أرسلها الخليفة العربي الأموي "معاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنه و أرضاه عقب زيارته لمصر:

"وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف، فثلث ناس، و ثلث أشباه ناس، وثلث لا ناس. فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب، والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي، والثلث الذين لا ناس فالمسالمة يعني القبط" أي "المصريين" ! (٧١)

كما تدخّل سيادته في ترجمتي لهذه العبارة:

There are Egyptian spearmen and shocktroops, auxiliaries from Syria and Nubia . P. 72

هكذا: "و هناك رمّاحون (طاعنون بالرماح) ورجال صاعقة، و هؤلاء وأولئك مصريون، بالإضافة إلى رجال إحتياط أو معاونين من سوريا و النوبة.. "

و كان أن شطب سيادته: "رجال إحتياط" و عوضاً عنها كتب، سلمت يداه: "مرتزقة"!

لكن المثير للذهول حقاً أن سيادته إنسل - كما يفعل دائماً - دون أن يحمل المسئولية كاملة عما قدّم، و أخشى أن أقول عما "ارتكب" رغم أنفي، في عمل يحمل إسمي. و بطبيعة الحال لم يتردد لحظة واحدة في أن يرفض مني كلمة "مملكة" كترجمة لكلمة Kingdom كي يثبت بدلاً منها تلك الكلمة- الجنس : " دولة "، سيراً على نهج يخاصم روح الأمانة العلمية، على نحو ما سبق لي أن نوّهت. وقال سيادته في إطار المحاججة المتبادلة، أن علماء المصريات الفرنسيين، الذين أسسوا هذا العلم، يجمعون على وصف المؤسسة السياسية الحاكمة في مصر القديمة بـ "état" أي "دولة". ولما كنت أقرأ أيضاً بالفرنسية فإنني أذكر أن رحلتي الطويلة مع المصريات مرت بي على علماء فرنسيين، عديدين يصفون تلك المؤسسة بأنها "إمبراطورية" و هو الوصف الأدق، من وجهة نظري الخاصة، وكم كنت أود لو استخدمتها في ترجمتي، إلاّ أن الأمانة العلمية تقتضي ألاّ يقول المؤلف الكريم "ريدفورد" الذي أنقل عنه، مملكة وأترجمها إلى إمبراطورية. وغني عن الذكر أن جدودنا لم يتركوا لنا إسماً خاصاً لمؤسستهم. و إلى القارئ الكريم قائمة موجزة على قدر ما تسعفني ذاكرتي بمؤلفين فرنسيين، في مجال المصريات، ودع عنك غير الفرنسيين، وصفوا وقبلوا وصف الآخرين للمؤسسة السياسية في مصر القديمة بـ "إمبراطورية":

1- Etienne Drioton.

".à partir du Nouvel Empire"

Les origines pharaoniques du Nilomâtre de Rodeh. p.305

Bulletin de L'institut d'Egypte. Tome xxxiv

2- Claudine Roland & Didier Grosjean.

"Il s'inscrit pourtant dans ce qu'on appelle le Nouvel Empire.p 98

Nefertiti Casterman.1988.

3-Wiel.

"La fin du Moyen Empire egyptien.p.29.

Une stéle juridique de Karnak.

Supplement aux Annales Du Service Des Antiquites De L'Egypte.Le Caire MCMXLIX.

4-Lacau

Stéles du Nouvel Empire.p.34

Ibid.

5-Henri Gauthier

" , le mot est plus souvent employé au duel: taoui, au Nouvel Empire.

6-Jacques Vandier

Les scenes sont trés nombreuses à L'Ancien Empire.p1

Manuel D'archeologie Egyptienne Tom.V 1969.

7 -Roche D'Noblecourt

Dés L'Ancien Empire, le cult de la mére du roi tient une place trés importante dans la vie religieuse égyptienne.p.25

Le catalog De Ramses II

و بطبيعة الحال لا أملك تحت يدي تسجيلاً صوتياً لنص الحديث الذي دار بين سيادة المراجع وبين الحر الفقير في هذا الشأن، ولكنني أملك تشطيبات سيادته على امتداد مخطوطة الكتاب لكلمة "مملكة" و استبدالها باستمرار، وكأن في يده ملقاط ممغنط، بكلمة "دولة"، التي لاقت و لا تزال تلاقي من سيادته و سيادة رئيس تحرير السلسلة، مع آخرين، ترحيباً زائداً لسبب أكاد أجهله.

كما رفض سيادته مني، وباستهجان بالغ، إستخدام ما أسماه سيادته بالشهور الغربية أي الشهور المصرية - القبطية: توت بابة هاتور . الخ إلى جانب الشهورالجريجورية المعروفة: سبتمبر أكتوبر نوفمبر إلخ، و هو الإستهجان الذي أطلق لساني المعقود، أدباً، بهذا السؤال:

- هو سيادتك موش مصري؟

و لقد حرص الدكتور مراجعي على التدخل "عمّال على بطّال" كما نقول بالمصري الفصيح و الأدق بالمصري الأفصح. و على سبيل المثال لا الحصر، تدخّل سيادته كي يشطب لي كلمة "جنائزي" و يحل محلّها "جنازي". و لم يكن لهذا التدخّل، هذه المرّة، أي مبرر حتي و لو كان واهياً، فهو ذاته الذي تركها كما هي في كتاب آخر عن "أخناتون" شرف، و الأولى تشرّف، بمراجعة سيادته له، وصدر في نفس السلسلة. وأسوق للقارئ الكريم نماذج على ما تركه كما هو في ذلك الكتاب:

الهيكل الجنائزي	ص ١٠٦		السطر العشرون
أثاثه الجنائزي	ص ١٣٧	"	الخامس عشر
العشاء الجنائزي	ص ١٣٨	"	التاسع عشر

الإله الجنائزي	ص ١٣٩	"السادس والعشرون
المعبد الجنائزي	ص ١٥٩	"الخامس والعشرون

و لست أملك أي تفسير موضوعي آخر لترك الدكتور المراجع لكلمة "جنائزي" مرة في كتاب راجعه في سنة ١٩٩١ في نفس السلسلة ومحاولة "تحسينها" مرة، سوى أن سيادته يرى جوازهما، كليهما على نفس المستوى. و هنا اختلف معه. فاللغتان، المصرية وعربية مصر، تتفقان في هذه النقطة المحددة: تميل كل منهما إلى صياغة النعت الصناعي، كما يقول اللغويون، من صيغة الجمع لا المفرد. فهما تقولان "حزب عمّالي"، وليس "حزب عاملي". كما تقولان "طلاّبي" لا "طالبي" و "مناخْلي" لا "منخلي" و "بناتي" و "نكاكيني" و "ظواهري" الخ. حقاً تقولان، كلاهما، "فلاّحي"، ولكن هذا القول ليس القاعدة بل الإستثناء، و هو السر وراء استخدامي لفعل "تميل" دون أي فعل جامع مانع.

و لقد دأب سيادته على مثل هذا التدخل الـ "عمال على بطال" أي دون سبب مقبول، حتى صادف، تعبيري "قرُب قرباناً" فإذا به ينهض كي يرفع شأنه، إلى "قدُم قرباناً"!

و بطبيعة الحال لا يتيح لي هذا الحيّز الضيق أن أستمر حتى أحيط بكافة "التحسينات" التي حاول مراجعي إدخالها على ترجمتي. لكنني سوف أكتفي بتصنيفها تحت عنوانين، هما "التفاصح" و "التعويم". وهما يقعان بين المعوقات الثلاثة التي أشرت في وقت سابق إلي أنها تعوق تدفق تيار المعنى و انسيابه، ضارباً بعض الأمثلة المحدودة علي هذين التصنيفين و حسب:

التفاصح:

عدّل سيادته ترجمتي لـ " mud - brick" من "طوب أخضر" إلى "لبن"، و ترجمتي لـ " baked bricks" من "طوب محروق" إلى "آجر"، وترجمتي لكلمة Archives من "أراشيف" إلى "محفوظات" الخ و نفس الأمر حدث مع فعل "سهدم" المصري الأصيل الذي نتج عن دمج فعلين منفصلين هما: سوّى + هدم. فلقد لجأت إليه في ترجمتي للعبارة التالية:

Walls were torn down to their foundations P. 227

و ترجمتها إلى: "سُهدمت الجدران حتى أساساتها."

ولكن الدكتور المراجع شطب و كتب: " هُدمت .." و عبثاً حاولت لفت نظر سيادته إلى كلمة: foundations

و هذا نفس ما حدث مع فعل: "كشط" في ترجمتي لفعل "slash" الذي فضّل عليه باصرار فعل: "هَشَر" في العبارة التي تقول:

Sun-arms had been slashed . P.228

فسمح سيادته، بذلك، لآفة "التفاصح" أن تزرع شلالاً، كنا في غنى عنه، في وجه إنسياب المعنى. و عندما رجعت إلى قاموس معتمد في اللغة العربية هو "المنجد" وجدت، لدهشتي، أن "هشر" الناقة = حلب ما في ضرعها أجمع. و "كشط" الحرف = أزاله من موضعه، و معنى القول أن معنى فعل المراجع، (بكسر الجيم) بعيد عن المعنى المراد في سياقه في حين أن فعل المراجع، (بفتح الجيم)، أفصح وأبلغ بل و أعرب.

و هذا عين ما حدث مع كلمة "مطلصق" التي أعانتني على ترجمة عبارة jerry- built P. 144 : فإذا بسيادته "يرفع" مستواها إلى عبارة "غير معتنى به".

التعويم:

حسّن " سيادته ترجمتي لـ :

a traditional head-smiting scene . P . 62.

من : "منظر تقليدي لضرب العنق"

إلى: "منظر تقليدي لقتل الأعداء"

و ترجمتي لـ :

A preserved header showed bowing priests with their sacred standards

من:

"و أظهر قالب عرّاضي جيّد الحفظ كهنة راكعين ببيارقهم المقدّسة".

إلى:

"و أظهر قالب عرّاضي جيّد الحفظ كهنة راكعين بشاراتهم المقدّسة".

و كان تفضيلي لكلمة "بيرق" في هذا السياق حاسماً، لا يشوبه تردد، فـ "البيارق" كانت ولا تزال ترتبط حتى اليوم في مصر بالموالد والمهرجانات الشعبية - الدينية بأرقى معاني للكلمات في حين تتصل "الرايات" و "الألوية"، عند العرب، بالحروب والجيوش والمغازي. و ننصت فنسمع صاحب "السيرة الحلبية" ينهي إلينا: "فالتقى الجمعان عندها أي(مؤتة) وهو موضع معروف عند "الكرك" واقتتلوا، فقاتل "زيد بن حارثة" رضي الله عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عنه أي لواؤه حتى قُتل رضي الله عنه، فأخذ الراية جعفر رضي الله عنه .الخ (٧٢)

وبطبيعة الحال لم "تهوُّب" كلمة "شارة" التي طرحها الدكتور المراجع و أصر عليها بإباء و شمم، من رأسي بالمرة كترجمة لـ " "standard في هذا السياق الخاص ولا أي سياق شبيه آخر. أما كلمة "لواء" و صيغة الجمع منها، فادخرتهما لأداء معنى محدد آخر والأولى معنيين هما: أحد تقسيمات القوات المسلحة أي ما يقابل في الإنجليزية: brigades في تعبير "ألوية القواسين" + رتبة رفيعة في الجيش أي ما يوازي عند الإنجليز: general، إذا كان لنا أن نصادفها.

و لقد رفض مني سيادة المراجع ترجمة، rite إلى "شعيرة" و فضّل عليها "طقس"، سيراً على نهج مدرسي المصريات في جامعات مصر.

كما شطب سيادته ترجمتي لمعنى اسم "أمون" بـ "الباطن" كي يكتب "الخفي" التي يميل إليها مدرسو المصريات عندنا، لسبب أكاد أخمنه. و لست أدري ما هو

موقف أولئك الأساتذة الأفاضل من ترجمة الإيرانيين المسلمين، وهم، بلا شك، حسنو الإسلام صحيحوه، لمعنى إسم الجلالة إلي "خدا" في البسملة: "بسم الله الرحمن الرحيم" على هذا النحو:

"بنام خدا بخشاونده مهربان"

و بطبيعة الحال لم يطرأ على ذهن أحد من "المتعلمين المصريين" أن يُقْدِم، كما أقدم المتعلمون الإيرانيون، على ترجمة معنى لفظ الجلالة "الله" العربي - السامي إلى اللغة المصرية في أي مرحلة من مراحلها، بل و لعلهم يفزعون وتتحرك في جنوبهم نوازع الرجم بأقذع الإتهامات لمجرد أن يفكر متعلم مصري، مثلي، في ذلك.

و لعل الهدف الأعمق وراء هذا الموقف الذي يقفه و يصر عليه أنصاف المصريين وبالتحديد "المصريون/الساميون" أي المتعلمون المصريون و خصوصاً كبار أكاديمييهم، وسواء أكانوا واعين كل الوعي به أو غير واعين هو بناء سور محكم حول الديانة المصرية القديمة بصفتها "بائدة"، إلى الحد الذي يحول دون ظهور عموميتها للعيان أي إشتراكها مع سائر الديانات سواء تلك التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط القديم أو لم تعرفها، في السمات الأبرز، و في عبارة واحدة دفع الديانة و الأولى الديانات المصرية القديمة التي تقوم على التعددية إلى دائرة خاصة مغلقة تحجب إشعاعاتها وتقلص تأثيراتها و تطمس، و تنفي، امتداداتها في صميم الحياة الدينية للمصريين المعاصرين. وهذا أمر يصب في هدف إستراتيجي للأجانب المغرضين: محو القومية المصرية عن طريق فصلها عن جذورها.

و سيراً على نفس الدرب الذي يلتزم به مدرسو المصريات في جامعات مصر رفض مني سيادة المراجع ترجمة: Kingdom إلى مملكة - كما سبق لي أن أشرت مرة بعد مرة، وأصر على ترجمتها إلى "دولة"، لكن "حجته" الأخيرة أي ما تصور سيادته أنها الحاسمة، خلال حواره معي حول هذه النقطة لم تزد عن:

- إحنا بتوع الإجبتولوجي شايفين كدا !

و هنا أيقنت أن هناك من "الحجج" ما لا يستهدف الإقناع بل يرمي إلى فرض الإملاء، و بعبارة أخرى، السمع والطاعة! و لست أدري ما هو موقف "بتوع الإجيبتولوجي" أولئك إذا وجدوا أنفسهم ذات لحظة أمام عبارة عالم المصريات "إيفا باردي" التي وردت في مقالها المعنون " تنظيم الإدارة المصرية":

Die agyptische Staat war eine absolute Monarchie (73)

وعنّ لهم أن ينقلوها إلى العربي، فهل سيصرون عندئذ على نقل: Monar-chie إلى "دولة" و يترجمون العبارة إلى: "كانت الدولة المصرية دولة مطلقة"، دون أن يستشعروا بعض القلق أمام إهمالهم للفرق بين اسم الجنس واسم النوع؟ وهل يجوز للهوي الخاص، الذي يتمثّل في كراهة كلمة "مملكة"، لسبب قوي على وجه الاحتمال، وإن كنت أجهله على وجه الترجيح، أن يعلو، على هذا النحو، على مقتضيات الأمانة العلمية؟

و لكن ما أحزنني في الأمر حقاً أن مراجعي الذي تدخّل كثيراً على ذلك النحو، غفل، في نفس الوقت عن تصحيح ما سهوت عنه. و هنا قدّرت أن سيادته اكتفى في بعض الأحيان على الأقل، بقراءة النص المنقول إلى العربية، دون مطابقته، جملة جملة، على النص المنقول عنه، أي أهمل صميم عمله سعياً وراء مهام "أشرف" لا علم لي بها. فلقد سهوت عند ترجمتي هذا الرقم: Metres 2.10 p. 105 أي ١٠ 2 ,ونقلته - بالخطأ - ٢ متراً فقط. و لم أكتشف ذلك إلاّ خلال إحدى قراءاتي للنص بعد عودته من عند مراجعي، معدلاً و الأولى "مشلفطاً"، أي دون "خيره"، وإن احتفظ، بـ "شره".

و قد تأكد ذلك، خلال محاولة سيادته إدخال "تحسين"، على سبيل المثال، على ترجمتي لعبارة: Goats feed on camel thorn من "تأكل المعيز نباتات العَقول" إلى: ". . نباتات الحقول"! و عبارة: and involved male rela-tionships p. 91 من:

" كما انطوت على علاقات رجالية" إلى "علاقات إنسانية"!

و هو الأمر الذي يؤكد أن سيادة الدكتور المراجع لم يكلف خاطره قراءة كامل النص الأصلي، المنقول عنه، وهو جزء لا يتجزأ من صميم عمله، كما سبق لي أن قلت، ما لم يكن قد قرأ هذه العبارة، ثم أثر صورته الذهنية عن الحشمة، هنا، على الأمانة العلمية!

و قبيل الختام أقول أنني فوجئت، مثلما كنت أفعل كل يوم، خلال تلك الفترة، بأن عنوان الكتاب: " Akhenaten , the heretic king"، الذي ترجمته إلى

"أخناتون، ذلك الفرعون المارق" قد شُطب، كما سبق لي القول، و كُتب بدلاً منه "أخناتون، وعقيدة التوحيد"! و لما سألت عن السبب كي يتبدد العجب، جاءني هذا الرد من الأستاذ الفاضل رئيس تحرير السلسلة، وهو الرد الذي أنقله بالحرف الواحد:

- ما نقدرشي ننشر عددين في نفس السلسلة باسم "أخناتون"!

و هذا، كما هو واضح، منطق "متعلم مصري" كبير، طالما سخر من تناقضه الذاتي "الأميون" المصريون في قفشاتهم العميقة المغزى، وخصوصاً تلك التي تتناول اعتزام "حسن الجحش" تغيير اسمه. فالهدف، على مستوى اللاوعي كان، فيما هو واضح، التخلص من وصف "المارق" و ليس من اسم "أخناتون" الذي استمر على قيد البقاء، بكل جلاء، في العنوان الآخر المقترح، رغم مخالفته الصريحة للعنوان الذي وضعه المؤلف، أي العنوان الذي يعد في نفس الوقت، أشد قرباً، من موضوع الكتاب. و يبدو أن هناك من يستحل "التزوير" خدمة لأهداف سامية مثل "تمجيد أخناتون" على نحو ما يستحل الأصوليون القتل و السرقة والسبي أي الاغتصاب خدمة لأهداف من نفس النوع!

و كان من الطبيعي أن يرفض الأستاذ الفاضل رئيس تحرير السلسلة مني المقدمة التي وضعتها للكتاب بعنوان "هامش على متن"، و قال لي بالحرف الواحد في معرض رفضه:

- المقدمة دي لو نزلت ح اترفد!

و لم أكن بطبيعة الحال، قد استهدفت من ورائها هذا الهدف، بل ملء الفجوات الناجمة عن الاختلاف بين اهتمامات المؤلف وبين همومنا كمصريين، بعد أن أصبحنا نواجه اليوم، بما لم يرد حتى في أشد كوابيسنا وطأة وإزعاجاً: أن ينهض من بني جلدتنا نفر أو عدة أنفار يزعمون أن "أخناتون" عاشر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة هو "موسى" عليه، بطبيعة الحال، السلام، الذي نعرفه من القصص الديني الذي أنشأه الساميون و بالتحديد بنو اسرائيل، و ردده عنهم باقي الساميين، وبالتالي يكون الإسرائيليون المعاصرون هم المصريون الموحدون أتباع الموحد "أخناتون - موسى"، وهو الأمر الذي وصفته، ذات مقال لي بأنه محاولة لا تستند حتى إلى أوهى دليل علمي نحو "تأميم تاريخ مصر لصالح بني إسرائيل"، فلم يرد ذكر لـ "موسى" هذا، على ما هو عليه من جلال، بصفته نبياً من أنبياء اليهود - الساميين،

في أي وثيقة مصرية معاصرة سواء بالاسم أو اللقب أو الصفة، وسواء أكانت منحوتة أو مرسومة أو مكتوبة، و الظهور المقترح له كما يقول ذلك القصص الديني لبني إسرائيل، فيما يرى "ريدفورد"، جاء بعد "آخناتون" بنحو سبعمائة سنة بعضها كبيس. و أستند في حكمي هذا، أي افتقار تلك المحاولة إلى أي أساس علمي، على عشرات المؤرخين - العلماء، على رأسهم " نورمان كانتور" الأمريكي الجنسية، الموسوي الديانة ، في كتابه "السلسلة المقدسة" والأولى "القيد المقدس" "The sacred chain (74)

هل أبالغ ، بعد كل ما وضعته تحت عيني القارئ الكريم، وهو قليل من كثير، إذا قلت: لقد نجحت، بمفردي، و دون عون من أحد، بل و على حسابي شخصياً، في قتل فضيحة علمية بكل المقاييس، قبل أن تُولد، وهي فضيحة كنت ساكون، رغم أنفي، المرشح الأول، بل وربما الوحيد، لبطولتها؟

ولكن يظل هناك سؤالان:

السؤال الأول: هل يستطيع المترجم التوقف أمام إحدى العبارات كي يكتشف فجوة بين ما كان المؤلف يريد أن يقوله و بين ما قاله؟

حقيقة الأمر لا أستطيع منح نفسي كمترجم أي حق في إعادة تحرير النص الأصلي، وهو ما يقع عند أقصى نقطة على استقامة هذا السؤال. لكنني اكتشفت في نص "ريد فورد" الذي يجد القارئ ترجمته بين يديه الآن، أخطاء مطبعية واضحة. و كنت لألوم نفسي لو مررت عليها مرور الكرام لا اللئام. إذ ينبغي على المترجم أن يتحلّى بـ "اللؤم الأبيض"، أي تقليب الأمر على كافة جوانبه قبل أن يستقر على المعنى المراد. وهذه "الأخطاء المطبعية" أو misprintsالتي تشبه في رأيي خطايا القديس، خصوصاً والمطبعة ليست سوى "مطبعة جامعة " برينستون"Princeton University Pressهي:

We must admit we know nothing about her at his point,."" p.79(rather this)

"... only nine piers at the southwest corner (six on the south,three on the west) showed any stones remain-

ing.p.105(rather many).

".commodites were expected to be contributed by."p.135 (rather commodities".

".Suppiluliumas flew into a range when news of Zidanza."p.221 (rather rage).

"Horus,might Bull:Ready in plans;."p.222.(rather mighty)

و لعلها مرة واحدة لا غير، تلك التي سـوّغت فيها لنفسي أن أقترح فعلاً هو: touch محل فعل attack في عبارة واحدة وردت في مقدمة المؤلف للكتاب. و لو أن الأمر هنا يتعلق، و حسب، بالأسلوب وحده الذي أتصوّر بتردد عميق أن الفعل الذي استخدمه المؤلف الذي أكن له كل إحترام و إكبار شكّل ما يُسمّى بالـ over-statementفي العبارة التي تقول:

Laity often suffer under the delusion that "scholars" constitute a special interest group that stands united whenever any of its members is attacked . P. xxi

(rather touched)

السؤال الثاني: هل يحق للمترجم أن يتجاوز أحياناً، و لظرف إستثنائي، عن بعض الدقة، التي تعد بمثابة الراية التي يبذل المترجمون تحت ظلها عرقهم؟

و يجدر بي، هنا، أن أقرر أنني شككت في فهمي المباشر لهذه الجملة، رغم وضوحها تمام الوضوح على مستوى النحو والصرف: or dandles his wife on his knee." p.148 " في إشارة واضحة إلى "أخناتون"، خصوصاً و أن عينيّ لم تقعا على أي وثيقة مرسومة أو منحوتة تصوّر "نفرتيتي" زوجته، التي يقصدها النص، جالسة على ركبته، تتلقى تهشيكه. والتماثيل الصغيرة التي تصور

"أخناتون" يهشُّك شخصاً بالغاً، ليست حاسمة في إيضاح أن هذا الشخص هو "نفرتيتي"، فالبعض، مثل "إريك هورنونتج" "يقول أنه "نفرتيتي" (Akhenaten and the Religion of Light.1999) بينما ذهب آخرون، وبينهم آر. إنجلباخ (ASAE-31.1931) إلى أنه "سمنخ - كا- رع". وهاآنذا أعترف بحيرتي أمام القارئ الكريم عسى أن يصحني، إن كنت قد أخطأت، في ترجمة العبارة إلى: "يربُت على ركبتها"، باعتبار أن " his knee" هي في الحقيقة "her knee" وأن معنى فعل الجملة ليس "يهشُّك" بل "يربت"، وهو المعنى الذي يقبله الفعل أيضاً إلى جانب "يهشُّك"(٧٥).

و لعل القارئ الحصيف يكون قد لاحظ أن "التحسينات" التي حاول مراجعي، أو بالتحديد الدكتور الذي كان سيقف من عملي موقف المراجع لو كنت قد قبلت ترشيح ناشري له، تدخل في معظمها إن لم أقل في كليتها في نطاق التصحيح اللغوي. فاستبدال سيادته لفعل "كشط"، على سبيل المثال، بفعل "هشر" أدخل في باب التصحيح دون الترجيم، وهو الأمر الذي أصبح يستدعي أن نحدد طبيعة هذا الدور وحدوده، مثلما فعلنا مع دور المراجع.

و بادئ ذي بدء أود أن أصوغ النتيجة التي توصلت إليها بعد مقدمات طويلة، لا يتسع المجال إلاّ لإشارة سريعة إليها دون الإحاطة بها، وهي النتيجة التي تقول أن هذا الدور الذي ساد بيننا لسبب محدد، يتمثَّل في لجوئنا إلى لغة غير قومية أي ليست لغة الأم أو Mutter Sprache كوسيلة للتعليم والثقافة في مصر ينبغي ألا يتجاوز نطاق ثلاث دوائر لا غير، هي النحو والصرف والإملاء. و حتى لو صادف «المصحح» خلال عمله هذه الجملة:

"يضاجعُ القطُّ الشجرةَ في شعْرِها المرصوف بالبحور"

فليس داخلاً في نطاق دوره أن يؤلف جملة أخرى بدلاً منها، طالما كانت هذه صحيحة نحوياً syntactical و صرفياً و إملائياً، وان لم تكن كذلك لغوياً، أي لا تفيد معنى. وخلاصة القول ألا يسمح المصحح لدوره بأن يمتد، حتى يشمل الأسلوب، إذ أن كل تغيير في الأسلوب يخل بوجهة النظر المقصودة، وهو ما يقع داخل نطاق مسئولية الكاتب سواء أكان مؤلفاً للعمل أو مترجماً له، أي أن حدود دور المصحح - طالما ظلت هذه الوظيفة مفروضة علينا للسبب الذي ذكرته قبل قليل - واقعة داخل نطاق ما هو grammatical، دون أن يمتد إلى ماهو مفيد لمعنى meaningful.

هل يبعث هذا الحديث اندهاش أحد ؟

لقد صحح لي مصحح في دورية فصلية، نشرت لي دراسة بعنوان "مأساة اللغة القبطية في مصر"، وصفي لـ "مارتن لوثر" بـ "الأصولي" إلى "الإصلاحي"، كما "صحح" لي عبارة "الديانة المحمدية" إلى الإسلام. و "صحح" عبارة "حجري الجهل" إلى "حق الجهل". وبالغ في اجترائه فـ "صحح"، والأولى "بتر" هذه الجملة التي خرجت من حر قلمي:

". خديوي مصر العظيم "اسماعيل باشا"، ولو أن هذا المصلح الفذ الذي اجتذب غضب بريطانيا في الماضي و هو غضب تنامى حتى وصل إلى حد خلعها له عن عرش مصر، لا يزال يجتذب سخط النسق التعليمي و الإعلامي في مصر، غير أن هذا القرن."

إلى:

". خديوي مصر العظيم "اسماعيل باشا"، ولو أن هذا المصلح الفذ، الذي اجتذب غضب بريطانيا في الماضي، وهو غضب تنامى حتى وصل إلى حد خلعها له عن عرش مصر، غير أن هذا القرن ."

و بذلك يكون هذا المصحح "الفذ" قد تصوُّر أنه أدى ما في رقبته من "واجب"، أو ما تخيل أنه كذلك، في إحداث هذا البتر و التشويه، الأمر الذي وقفت معه الجملة كمبتدأ دون خبره، وانسل لحال سبيله، تماماً مثلما فعل في وقت لاحق عندما عدَّل سيادته ترجمتي لهذا العنوان:

Egypt,Canaan and Israel in ancient times.

من "مصر وكنعان واسرائيل في العصور القديمة" إلى "مصر واسرائيل و كنعان." أي أن سيادته ارتأى تقديم إسرائيل على كنعان في العنوان، لسبب غريب عجيب لا أدري ما هو، ضارباً عرض الحوائط كلها بـ الأمانة العلمية، ومعها حق المؤلف و حق المترجم في وقت واحد. والأدهى والأنكى أن هذا المصحح الفذ "صحح" لي نعتاً لمفعول من حالة النصب إلى حالة الرفع بالواو و النون في الجملة التي ظهرت في الدورية التي تتشرَّف (أو تشرُف) بمراجعة سيادته لها على هذا النحو.

"يؤثر الناتوفيون أحفادهم اللاحقون.!"

و إيضاحاً للأمر أعيد إلى الأذهان هذا التصحيح الذي نشرته لي دورية أخرى على مضض بعنوان "تصحيح على تصحيح":

"بيني و بين السادة المصححين ود متناقص باستمرار. فكلما دفعتهم نواياهم الحسنة إلى "تصحيح" ما أكتب جانبهم التوفيق، إلاّ أنهم لا يتحملون مسئولية "بيضهم" الذي يبيضونه تاركين مسئولية أفعالهم على كاهلي وحدي أمام القراء الذين يحق لهم، والحالة هذه، أن يبتسموا فيما بينهم و بين أنفسهم للأخطاء اللغوية التي "وقع" فيها لغوي أو يزعم أنه كذلك.

١- كتبت في صدر مقالي، "حول اللغة المصرية الحديثة، عنواناً فرعياً يقول: "بين ما يسمى بالعامية و ما يسمى بالفصحى". فإذا بهذا العنوان يخرج للقراء على هذا النحو الغريب: "بين مسمى العامية و مسمى الفصحى". وهكذا تخيل السيد الـ "مصحح" أنه صحح خطأ، وانسل دون أن يسأل أحداً لا جزاء و لا شكراً.(وأرجو ألا يصحح أحد شكراً إلى شكوراً). غير أن سيادته أوضح بذلك أنه لا يدرك بعد الفرق بين الإسم و المسمى. والأنكت أن يحملني مسؤولية عدم إدراكه. و لكنني أود هنا أن أنهي إلى سيادته أن الحيوان الذي يسير على أربع، و يزأر في الغابات إبتهاجاً بالشبع المادي و المعنوي، و يولول من الجوع في جنينة الحيوانات بالجيزة هو مسمى أما اسمه فهو "الأسد"، و بناء عليه فتلك التي "نكتسبها" عن أهلنا و نحلم بها أحلامنا، وكذلك تلك التي "نتعلمها" في دور العلم و يصححها لنا مهما أوغلنا في مدارج التعليم مصححون، هما مسميان، أما إسماهما فهما: "العامية" و"الفصحى"، عند اللغويين الأكاديميين في مصر، وفي عبارة واحدة، تفضّل سيادة المصحح هنا فخطّأ صواباً عوضاً عن أن يصوّب خطأ.

٢- خطّأ فصوّب سيادة المصحح عبارة "خمس نسوان" التي وردت في ثنايا المقال إلى "خمس نساء". والحقيقة أن تلك كانت عبارة عالم المصريات الكبير "فيرنر فيسيكل"، ولم تكن لغتي و لا ترجمتي و حتى لو كنت قد رأيت فيها خطأ من جانبه لكنت قد أثبتها كما هي بخطئها. ثم أبديت وجهة نظري التي تنشد التصحيح في الهامش. فهذه هي قواعد الأمانة العلمية كيلا يبدو الأمر و كأنه عبث مشفوع بحسن النوايا وحده. و لكننا إذا رجعنا إلى قاموس معتمد في اللغة العربية الغالية كـ "المنجد" لوجدنا أن "نسوان" كلمة عربية خالصة العروبة، مثلها في ذلك مثل نساء و نسوة إلخ.

و الظاهر (وأرجو ألاّ يصححها لي أحد إلى: و الجلي) أن تدني شأن "نسوان" وارتفاع منزلة "نساء" عند سيادة المصحح كامنان في أن الثانية: "نساء"، التي وردت في القرآن، أبعد عن اللغة العامية "المنحطة". ولكنني كنت أتمنى على سيادة المصحح أن يتحامل على نفسه و يترك العبارة كما هي أو يضعها بين قوسين حتى يتحمل كاتبها مسئوليته عنها، خصوصاً وأن الكاتب: "فيسيكل" عالم ذائع الصيت و ليس تلميذاً في إحدى المدارس الحكومية الآيلة للسقوط.

٣- خطأٌ فصوَّب سيادة المصحح كافة العبارات التي ألحقت فيها "الباء" بالمأخوذ لا المتروك مع فعل الإستبدال، وهو الأمر الذي لا أسهو عنه، بل أعمد إليه عمداً كما قررت في كتابي "حاضر الثقافة في مصر"، الصادر في سنة ١٩٩١ .

و تلك إحدى الظواهر اللغوية التي تأتي انعكاساً لحركة اللغة العربية من البنية التركيبية إلى التحليلية، أي إلى إعتماد موضع الكلمة Word - order عوضاً عن إدخال أي تعديل عليها في سبيل تحديد وظيفتها النحوية syntactical func-tion في الجملة. ولعله من الواضح أن عبارة: "استبدلت البتاو بالفينو"، على سبيل المثال، أوضح من عبارة: "استبدلت بالبتاو الفينو." والسبب وراء هذا الوضوح كامن في اقتراب اللغة في العبارة الأولى من التحليلية.

٤- أشار سيادته إلى أن الطريقة الإملائية التي كُتبت بها قصة "ميريت أمون" المهورة بتوقيع الأستاذ ط. ر. جديدة. و هذا ليس صحيحاً بالمرة. فالحقيقة أنني التزمت هذه الكتابة، فيما أدعوه بـ "اللغة المصري الحديثة" باستمرار منذ مجموعتي القصصية "ضم القمح ليلاً" التي صدرت في سنة ١٩٨٨، وشرحت الأساس النظري لهذه الكتابة في الفصل التاسع ص ٧٢ في كتابي المشار إليه سابقاً و الصادر قبل خمس سنوات كاملة من نشر القصة المذكورة. إذ أوضحت أنها تقوم على كتابة لغتنا المصري الحديثة، وفق معادلة صعبة: المورفيم صوتياً قدر الإمكان، و الكلمة مورفيمياً قدرالمستطاع، وذلك حتى لا نستمر نفهم كي نقرأ بدلاً من أن نقرأ كي نفهم، أي أن الأستاذ المذكور بالحرفين الأوليين من اسمه، متبع في طريقة الإملاء هذه و ليس مبتدعاً. و ليس في وسع أحد أن ينفي اطلاع الأستاذ المذكور على "ضم القمح ليلاً" و قراءته لـ "حاضر الثقافة في مصر" عقب صدورهما مباشرة، بعد أن قدم لهما العرض تلو العرض قبل وقت طويل من كتابة قصته المنشورة في العدد رقم ١٦٣ من المجلة في سنة ١٩٩٦

٥- خطأٌ فصوَّب سيادة المصحح كلمة "الإندهاش" إلى "الدهش". وأظن أن

سيادته يقصد "الدهشة". و سواء أكانت الكلمة الجديدة هذه أو تلك، فإنني أرفض استخدام أي منهما بدلاً من كلمتي: "الإندهاش"، وذلك لأن ظلال الدلالة مع الدهشة تشير أيضاً إلى الإعجاب، الأمر يتضح في قولنا: "شيئ مدهش". وظلال الدلالة تتغير باستمرار، تمهيداً لتغيُّر الدلالة ذاتها. وقد دخل على كلمة "الدهشة"، مثل هذا التغير في لغتنا، ولست ممن يقاومون التغير. ولا أوافق أن يجبرني مصحح على ذلك. و أعتقد في ضرورة أن يأتي التصحيح اللغوي في الهامش، إذا ما كان هناك داعي أو داعٍ له، وهو أمر نادر مع معظم الكتاب ـ الكتاب. وعندئذٍ ينصرف المصحح إلى الجوهر دون المظهر، و يرتفع مستوي عمله بذلك إلى منزلة الـ "proof-reading" أى مطابقة ما كتبه الطابع على ما كتبه الكاتب و حسب. (٧٦)

ختام

عبر القرار الذي اتخذته بوضع هذا الكتاب الوجيز، أراني أحاول، قدر استطاعتي، تأدية بعض ما في رقبتي من دين لمصر. فلقد ظللت أتتلمذ لسنين عديدة على أيدي أبنائها المخلصين، الذين يضمون كل عاشقيها، من كافة الملل و النحل، حتى حدود معاناة السجن والنفي و الإستشهاد، وخصوصاً من الرعيل الأول ممن حالت ظروف خارجة عن الإرادة، عن لقائهم وجهاً لوجه. لكن ذلك لم يحل دون وصول خبراتهم العميقة إليّ سواء عبر تلاميذهم الذين تعلمت على أيديهم، أو خلال أعمالهم التي تقاوم صروف الظروف، و هو الأمر الذي لم يقلل شيئاً، من أفضالهم عليّ، وعلى أمثالي من أبناء جيلي، سواء سمحت ظروف هؤلاء، أن يعترفوا، بتلك الأفضال، وأن يحاولوا، كما أفعل حالياً، ردها بصفتها ديوناً واجبة السداد، أو لم تسمح. و ليس في هذا القول أي استهجان لسلوك أحد. فحتى وقت قريب لم أكن أعرف أن عندي ما أقول عن عملية التترجيم، أي أنني كنت ماضياً دون علم بأنني أتقنت، خلال رحلتي المهنية التي تمتد ورائي إلى ربع قرن، أدوات معينة واكتسبت خبرات خصوصية، تستحق نقلها إلى جيل جديد، مثلما تسلمتها، بشكل أو بآخر، من أجيال سابقة. و لولا الصدفة، التي تتمثل في قرار من ناشري أن يحوّل كتاباً ترجمته إلى مراجع معين، لما فتحت عينيّ على أن ما أملك يستحق التسجيل أو تسويد الصفح، وذلك من وجهة نظري التي قد يشوبها القصور بطبيعة الحال.

و لو أنني أتذكر الآن بداية بزوغ حقيقة أنني أقف على قمة هرم عظيم من التراكم، في هذا المجال عندما حوّل إليّ مدير وكالة أنباء خليجية، عملت بها ثلاث سنوات في أواخر السبعينات، برقية "ترجم" خريج "وطني"، حسبما يجري تعبيرهم،

من الدفعة الأولى لقسم اللغة الإنجليزية الذي كان قد أُفتتح حديثاً في كلية الآداب هناك، كي أقيِّمها. و كان أن نظرت في البرقية طويلاً ثم أرسلت عيني عبر الشباك في لحظة تأمل، وعوضاً عن تقييم ما في يدي، وجهت إليه هذا السؤال:

ـ كم سنة تحتاجها بلادكم لتخريج مترجم بكفاءة المترجم المصري؟

و كان أن صمت الرجل قليلاً ثم قال:

ـ هو أقل من خمسين سنة!

xxx

في الفصل الأول، كما لمس القارئ الكريم تساءلت عن لب عملية التترجيم. وهل هي فن أو حرفة، وإذا كانت فناً فهل هو صعب أو مستحيل، كما يقول البعض؟

و في الفصل الثاني تناولت مهمة المترجم. و قسَّمتها إلى ثلاثة أضلاع: الموضوع و اللغة المنقول عنها أو اللغة المصدر واللغة المنقول إليها أو اللغة الهدف Target Language .

و في الفصل الثالث اقتربت أكثر من عملية التترجيم ذاتها. و رأيت أنها قراءة عميقة، و بهذا المعنى فإن كل جملة تحتمل عدداً لا نهاية له من الترجمات أي القراءات.

و في الفصل الرابع توقفت أمام ثلاثة معوقات:

التفاصح: الذي يشغل المترجم عن الدقة الفائقة التي لا تتأتى إلاّ خلال نقل المعاني و ظلالها من لغة، يُفترض أن القارئ لا يعرفها إلى لغة يُفترض أن يعرفها حق المعرفة، أي إلى لغة، غاية في البساطة و الدقة و الرهافة، أي لا يحتاج، معها، إلى ترجمة جديدة.

الإلتصاق: الذي كان هدفاً لمقاومتي. ولكنني لم أكن غافلاً عن أن هذه المقاومة تجتذب نقداً وجيهاً يتمثل في الضرر الذي ينجم عن قصر إتخاذ المعايير النهائية من داخل الثقافة القومية المحلية، وهو الأمر الذي يهدد بإغلاق الشبابيك إلى جانب الأبواب على قيم الثقافة الخاصة. و يستطيع أصحاب هذا النقد الذي لا أنكر

وجاهته، أن يضيفوا أننا نخسر بترجمتنا:

To carry the coal to New Castle

إلى:

"يبيع الماية في حارة السقايين"

كل ما كنا لنكسبه لو ترجمناها إلى:

"يحمل الفحم إلى نيوكاسل".

و هذا يبدأ بفقدان الإحساس بأجنبية العبارة، أي باختلافها، وهو اختلاف مشروع بل و مفيد لنا حيث يزيدنا غنى، بطبيعة الحال فوق تعبيرنا الموازي.

و لكنني أملك رداً، أتمنى أن يكون وجيهاً، هو الآخر، هو:

(١) لا ينبغي أن يتجه سهم التثاقف acculturation إلى ثقافتنا المصرية من ثقافة واحدة، حتى لو كانت هي الثقافة الأكثر سيادة في العصر الحالي، بل ينبغي أن ننفتح على أكثر من ثقافة واحدة. كيلا نقع فيما يمكن أن يُسمّى بمحاصرة الذات بقيم الثقافة الإنجليزية ـ الأمريكية.

(٢) إذا سلّمنا بأن في التعددية إثراء للوجدان و توسيعاً لآفاق العقل، أي بأفضليتها النسبية على الواحدية، أو الأحادية، أو ما أشبه، جاز لنا أن نؤكد على ضرورة أن تتبنى الثقافة الأوسع إنتشاراً و الأكثر سيادة مفردات الثقافات الأقل إنتشاراً و الأقل سيادة، أي أنّ يتجه سهم التثاقف من ثقافتنا المصرية، بصفة رئيسية، إلى الثقافة الإنجليزية ـ الأمريكية السائدة، وإلاّ نكون، نحن بني الإنسان، قد خسرنا بذلك رافداً قومياً هاماً يستطيع أن يساهم في "ترفيد" الثقافة العالمية السائدة أو تتجه إلى السيادة. و بناء عليه ينبغي أن يأتي في المقدمة تبنى أصحاب الثقافة الأوسع إنتشاراً لمفردات الثقافات الأقل إنتشاراً.

(٣) لما كان حجم التدفق، في الوقت الحاضر، من الثقافة الأكثر انتشاراً نحو ثقافتنا، أكبر من التدفق في الإتجاه العكسي، صار متوقعاً أن يحمل هذا التدفق في طياته مفردات و صيغاً و طرق تفكير الثقافة الأولى إلى ثقافتنا بنفس الدرجة، وهو

الأمر الذي يهدد بنبذنا لخصوصيتنا، بصورة أسرع و أيسر، دون أن نتبنى أفقاً أرحب أي متعدداً، بل نكون قد حاولنا النوبان المستحيل في خصوصية أجنبية واحدة، و هو الأمر الذي لا يقود إلاّ إلى التشوه واستشعار الدونية و الإحساس باللامبالاة، أي مما بدأ يعاني منه بالفعل، بدرجات متراوحة من يسمون أنفسهم بالـ "المتعلمين المصريين." نتيجة لنبذهم ثقافتهم القومية و لا أقصد بطبيعة الحال سوى القومية المصرية.

و في الفصل الخامس مضيت شوطاً أكبر في تناول فنية فن الترجيم. وتساءلت، مع القارئ الكريم عن الأسباب التي تجعل ترجمة ما جيدة وأخرى أقل جودة. و توصلت في هذا الصدد إلى بضع آليات خاصة، قد يؤدي إستئناس المترجم بها إلى الإرتقاء بمستوى عملية التترجيم بين يديه. و بعبارة أخرى بذلت، ولا أدري ما إذا كنت قد قنصت طيري أو لم أفلح، محاولة نحو استخلاص بضعة قوانين داخلية من واقع خبرتي في هذا المجال، تلك التي أستطيع أن أقول عنها، بصدق، أنها طويلة نسبياً.

أما الفصل السادس فلقد أفردته، كما فعل أ.د. محمد عناني، لترجمة الشعر. و لكنني اختلفت مع أستاذي بالمعنى الحرفي لا المجازي، إذ ارتأيت أن أترجم الشعر إلى اللغة المصري الحديثة، أي إلى اللغة "الطازجة"، كما يسميها الفرنسيون، وهي في نفس الوقت اللغة الوحيدة التي أستطيع أن أقول بالفم المليان أنني أمتلكها، على قدر ما بذلت من جهود في دراسة لغات عديدة، حية وميِّتة على حد سواء. ولكن هذين السببين لم يكونا الوحيدين وراء إقدامي على هذه المحاولة الجسورة: ترجمة بضع قصائد من اللغة العربية ذاتها، بعد تخليص شعريتها من الترهل السائد في ديوان الشعر العربي بصفة عمومية، حتى ولو بدت قصائد مستقلة، إلى هذه اللغة التي لا أمل من وصفها بـ "اللغة المصري الحديثة"، ولا يكل "المتعلمون المصريون" من دمغها بـ "العامية"، مقتفين في ذلك، مع الأسف العميق، مواقع أقدام أجانب مفرضين.

و صحيح أن موضوع الكتاب ليس الدفاع عن "العامية"، إلاّ أنني لم أستطع أن أمر مرور الكرام على محاولات من يسمون أنفسهم بـ "المتعلمين المصريين" إدارة ظهورهم لها، حتى عندما تقدم لهم التعبير الأدق في تترجيم تعابير أجنبية تعجز "فصحاهم" عن نقلها بكافة مستوياتها و إيحاءاتها و ظلالها. مثال:

hurly-burly

higgledy- piggledy

هذان التعبيران الإنجليزيان اللذان لا تملك العربية مقابلاً مقبولاً لهما. و لست غافلاً عن محاولات عديدة نحو نقلهما خلال تعابير مثل: "ضجيج و عجيج، ضوضاء، صخب" الخ بالنسبة للأول. و :"في حالة فوضى، مخربط، ملخبط، في هرج ومرج" الخ بالنسبة للثاني الخ. و لكن "العامية" تملك مقابلاً أكثر توفيقاً لهما هو، كما لا يجهل وان تجاهل، كثيرون: "زيطة وزمبليطة"، و"خلطة ـ بيطة"، على التوالي. تراني هل أبالغ إذا قررت أن موقف "المتعلمين المصريين" من "عاميتهم" هنا لا يبعد كثيراً عن موقف ذلك الزوج "الحصيف" الذي يعاقب زوجته بخصي (وليس إخصاء) نفسه؟

و في الفصل السابع و الأخير توقّفت أمام دور المراجع و حدود ذلك الدور. وهو الفصل الذي أملك أدلتي عليه بخط يد السيد الأستاذ الدكتور. لكنني لم أشأ أن أذكره بالإسم لرغبتي الدائمة في تجاوز الشخص إلى عمله. فالأشخاص فانون أما الأعمال فخالدة، و هي لذلك أنفع وأجدى.

و في ظل المراجعة وجدتني أتوقف أمام دور المصحح اللغوي الذي أخذ يسد علينا كل السبل إلى تطوير اللغة التي نستخدمها كلغة للعلم والتعليم في مصر، والإرتقاء بها، في محاولة غير مشروعة من جانب المصحح نحو بسط قداسة القرآن على اللغة التي حملته، أي اللغة العربية، ناسياً أو متناسياً أن هذه اللغة "الفصحى" حملت أيضاً نصوصاً غير مقدسة، بالمرة، بعضها لـ"مسيلمة" و أخرى لـ "سجاح"، وثالثة لـ "والبة بن الحباب"، وذلك من باب ضرب الأمثلة دون حصرها. و بناء عليه فقداسة أي نص في أي لغة لا يلحق بها أي قدر من تلك القداسة إذ أنها مقصورة عليه دون سواه من نصوص في نفس اللغة المعنية.

نقطة أخيرة: قد يعيب البعض استخدامي لعدد من اللغات تصل إلى تسع، أربعة أو بالتحديد خمسة منها ميِّتة، في هذا الكتاب. ولكنني أرى أن عدد هذه اللغات لا يزيد عن الحد الأدنى الذي ينبغي على كل خريج للمدارس الثانوية في مصر، أن يحوزه قبل استحقاق هذا الوصف: متعلم مصري، دون القوسين اللذين

أصر عليهما باستمرار، أي دون تحفظ.

و لا يفوتني هنا أن أشير إلى أنني ابتعدت، قدر الإمكان عن "الترجمات"، التي تظهر على صدر الصحف المصرية، "القومية" منها وغير القومية على حد سواء، بعد أن سلّمت أمرها لخريجي كليات الإعلام في مختلف ربوع مصر، فهذه "الترجمات" تهبط، في أحيانٍ ليست قليلة إلى درجة من البؤس تخرجها، جملة وتفصيلاً، عن مجال التترجيم. ويكفي أن صحيفة كبرى في مصر العسكرية ترجمت، ونشرت في صدر صفحتها الأولى عبارة:

International Jurist Committee

إلى: لجنة المحلفين الدولية و ليس الحقوقيين، وكأن الـ"مهمة" التي يُختار المحلفون لأدائها "مهنة" كالطب و المحاماة!

كما نشرت نفس الصحيفة ص٥ يوم ١٥-٧-٢٠٠٠ عبارة مرض "نقص المناعة المكتسبة"، وبذلك "إكتشفت" هذه الصحيفة أن الإكتساب خاص بالمناعة، وليس بالنقص! وكان ذلك "تترجيماً"، للعبارة الإنجليزية:

aquired immunodeficiency syndrome.

و ترجمت نفس الصحيفة اسم لوحة "بيكاسو" الشهيرة في صدر صفحتها الأولى يوم ٥ نوفمبر ٢٠٠٠من:

La femme aux bras croisés

إلى:

"المرأة مكتوفة اليدين"

بدلاً من:

"السيدة المعقودة الذراعين"

و بذلك تكون هذه الصحيفة قد أغفلت الفرق الدقيق الذي لا يزيد عن حد موس بين قدرالإضطرار في العبارة الأولى و درجة الإختيار في الثانية التي تكافئ من حيث التأثير العبارة الفرنسية ـ المصدر. و كان هذا "ترجيماً" في بقعة جيو- سياسية كفت عن تسييد قيمة العمل. و هذا أمر طبيعي طالما تسير الأمور في هذه البقعة، منذ فترة طالت، وفقاً لقانون صكه في الستينات كبير منظري الفاشية و رأس سدنة العسكروت الحاكم: "الإخلاص قبل الكفاءة." و سوّغه سيادته والأولى "باعه" لأبناء الأمة المصرية بأن "الثوار" إضطروا إليه حماية لثورتهم، وهي في نفس الوقت، كما راح يفقّهنا سيادته، ثورتنا!

و قد يتساءل قارئ كريم: كيف لا أتوقف أمام علامات الترقيم التي تؤثر تأثيراً كبيراً على المعنى المراد، بل و قد تحدد وظيفة الكلمة في جملتها، وإغفال هذه العلامات قد ينقل الكلمة من حالة الفاعل إلى المفعول أو العكس. لكنني إرتأيت أن الغفلة هنا تحرم المرء من دخول مملكة التترجيم، وبالتالي يكون الحديث فيها أو عنها خارج الموضوع off-topicو الأولى دون الموضوع.

و لو أنني أقع من وقت لآخر على نماذج ساطعة و محزنة في نفس الوقت، لهذه الغفلة. ففي الترجمة التي نشرتها صحيفة "قومية" كبيرة تعمل أيضاً في سدانة النظام الحاكم، خلاف تلك التي ذكرتها قبل قليل، لمقال المعلق الأمريكي "توماس فريدمان"، الذي نشره في صحيفة "هيرالد تريبيون" في الربع الأخير من سنة ٢٠٠٠ ، دون أن أعرض بخير أو شر لجدارته بالتصديق و الأولى صدقيته. فلقد ترجمت الصحيفة المصرية هذه الفقرة:

The fact is you owe us, and your own people ,some real leadership on regional peace and domestic democracy.

على هذا النحو:

"و الحقيقة هي أنك مدين لنا أنت وشعبك بقيام زعامة حقيقية تستند إلى أساس من السلام الإقليمي و الديمقراطية في مصر"

و القراءة الصحيحة، بطبيعة الحال، لهذه الفقرة تعطف عبارة your own people، على ضمير الشخص الأول في صيغة الجمع و حالة المفعول: usلو ليس

على الشخص الثاني: you، و بالتالي ينبغي أن تجري الترجمة الأصح لها على هذا النحو:

"والحقيقة أنك مدين لنا و لشعبك ذاته، بأن تطرح زعامة قوية في مجاليْ السلام الإقليمي و الديمقراطية المحلية في مصر"

أما الترجمة التي ظهرت على صدر الصحيفة "القومية" والأولى الحكومية فهي تترجيم لجملة أخرى، لم تطرأ على ذهن الكاتب، هي:

The fact is that you and your own people, owe us.etc.

و غني عن الذكر أن الأسباب تتراكم يوماً إثر يوم ولحظة بعد أخرى على ضرورة تقليص حجم كليات الإعلام في مصر، تلك التي تخرِّج، بوضعها الحالي، "مهنيين" دون تخصص كافٍ، وان لم يمنع الأمر نبوغ أحادٍ منهم في مهنتهم.

و لعل القارئ الأشد حصافة يلاحظ أنني لم أستخدم من المصطلحات العلمية إلاّ أقل القليل، و خصوصاً من اللغويات الذي يعد، بين العلوم الإنسانية أحبها إلى وجداني، وذلك في سبيل توسيع قاعدة المتلقين لهذا العمل الذي ينصب على فن التترجيم.

و في خاتمة الختام لا يسعني إلا أن أسوق هذه الترجمة الروعة التي أبدعتها د. مرفت عبد الناصر، التي لا تعمل في ميدان التترجيم بل الطب النفسي، كي تكون "مسك الختام" لفقرة من قصيدة الشاعر الإنجليزي المعروف "وليم بليك" عن الشاعر الإنجليزي الكبير" جون ميلتون":

I am that Shadowy Prophet who Six Thousand Years ago.

Fell from my station in the eternal bosom.Six Thousand Years.

Are finished. I return! Both Time & Space obey my will.

I in Six Thousand Years walk up and down: for not one Moment

Of Time is lost, nor one Event of Space unpermanent

But all remain: every fabric of Six Thousand Years

Remain permanent.

ستة آلاف عام،

وانا ظل نبي

يسكن أحضان الأبدية

ستة آلاف سنة مرّت

و انا عائد.

و لسوف يستجيب لي

الوقت و المكان

لم نفقد شيئاً.

كل لحظة وكل حدث باقٍ

في خيوطٍ غُزلت

في ستة آلاف عام.

هوامش و مراجع

(1) Culture Bound. Edited by Merrill Valdes.p (00) Cambridge University Press 1994.

(2) The Craft of Translation. Edited by Biguenet & Rainer Schulte.The Study entitled "Pleasures and problems of translation,by Donald Frame.p.71

ونستطيع ترجمة سطور "فيرلين" إلى ما يلي:

النهنهات الطويلة،

اللي طالعة من كمنجات

الخريف بتجرح قلبي،

بسكِّينة الرخاوة الرتيبة.

(3) Laberintos. Poemas de Badr Tawfik. Traduccion de Muhammad Abuelata & Hani El Meadawi Prima edicion (privada) El Cairo, 1999.p 130/ 131

(4) The Craft of Translation.Ibid.p.VII

(5) Culture Bound Ibid. The Study entitled "Learning a second language"p.33.

(6) The craft of Translation.Ibid p.6

(٧) مصر الفراعنة. تأليف: "آلان جاردنر" ترجمة: "نجيب ميخائيل ابراهيم" ص٣٣

(8) A Dictionary of sentences and idioms.

تأليف: اسماعيل مظهر. الطبعة الأولى. سنة ١٩٥٠

(٩) نشرة مهرجان الشعر الأسباني سنة ١٩٩٨ في قسم اللغة الأسبانية. آداب القاهرة.

(10) The Age of Nationalism.Hans Kohn.New York.Harper& Brothers Publishers.!962.p 83.

(11) German Short Stories - Deutsche

Kurzgeschichten.Penguin Book 1964.p28

(12) Contes-Françaises French Stories.Bantam Dual-

Language Books.New York. 1964.p 4

(13) Ibid.p 46/47

(١٤) قاموس المنهل. سهيل إدريس. طبعة ١٩٧٣

(١٥)أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة. تأليف: فريدريك إنجلز. ترجمة: إلياس شاهين.دار التقدم موسكو.دون تاريخ. ص ٨٥

(١٦) المرجع السابق ص ١٠

(١٧)قلق في الحضارة. تأليف: "سيجموند فرويد". ترجمة: ج. طرابيشي. ص ٢٠.

(١٨)أصل العائلة. مرجع سابق ص ٤٦

(١٩)أصل العائلة. مرجع سابق ص ٩٠

(20) For Bread Alone.Mohamed choukry.London.Peter Owen.1973.

(21) Myth and symbol in ancient Egypt.R.Clark.Thames & Hudson.London. 1978.p118.

(٢٢) الرمز والأسطورة في مصر القديمة.تأليف: رندل كلارك. هيئة الكتاب. الألف كتاب الثاني. ص ١١٥

(٢٣)أخناتون. تأليف: سيريل ألدريد. هيئة الكتاب. الألف كتاب الثاني. المقدمة ص ٧و٨

(٢٤) الشاهنامة. تأليف: الشاعر الفارسي العظيم الفردوسي. ترجمة: الفتح بن علي البنداري.ص ٩٨ وما بعدها.

(25) The Craft of.Ibid p.ix (٢٥)

(26) The Craft of.Ibid p.viii

(27) The Craft of .Ibid p.xv

(28) The Craft of.Ibid "No Two snowflakes are alike :

Translation as metaphor" p.6

(29) The Craft of.Ibid "Building a Translation, The reconstruction Business.Margare Sayers Peden.p13"

(30) The Craft of.Ibid p.6/7.

(31) The Craft of.Ibid"Pleasures and problems of

translation"Donald Frame.p.81

(32) Une Mort trás douce.Simone de Beauvoir.

Gallimard. 1964.p.9

(33) Mohamet.Maxim Rodinson.Imp.Bussiére.1962.p 32

(34)Egypt of the Pharaohs.Sir Allan Gardiner.p.72

(٣٥) مصر الفراعنة. تأليف سير الأن جاردنر. ترجمة: د. نجيب ميخائيل إبراهيم ص ٩١

(36) El Ingenioso Hidalgo Don Quijote de la mancha .

Miguil Cervantes . Classicos Universales . Planeta .

1992.

(37) Don Quixote . Translated by J. m. Cohen . The Penguin classics . 1961

(٣٨) دون كيخوته. تأليف ثربانتس. ترجمة: د.عبد الرحمن بدوي. دار النهضة العربية ,١٩٦٥

(٣٩) "دون كيخوته". سرفانتس. ترجمة: عبد العزيز الأهواني. مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥ إلى اللغة العربية.

(٤٠)"مائة عام من العزلة" تأليف: جابرييل جارسيا ماركيزترجمة سامي و إنعام الجندي. سنة ١٩٧٩ دار الكلمة. بيروت.

(٤١) مائة عام من العزلة. ترجمة د. س. العطار.دار سعاد الصباح.

(42) Terre des hommes.Antoine de Saint- Exupery. Gallimard.1939 p.9

(٤٢) أرض البشر. تأليف: أنطوان دي سانت اوكسبيري. ترجمة: مصطفى فودة. ص١٣

(44) Myth and symbol .Ibid.p.13

(٤٥) الرمز والأسطورة في مصر القديمة.مرجع سابق. ص ٩

(٤٦) تراث الإسلام .لجنة الجامعيين لنشر العلم.الجزء الأول. فصل أسبانيا و البرتغال. تأليف: جيه. بي. تراند. ترجمة: حسين مؤنس. ص ١، ١٠ مكتبة الآداب و مطبعتها بالجماميز سنة ١٩٣٥

(47)Annales Du Service Des Antiquités De L'Egypte. Tome XIV p.7

(48) The Craft of .The pleaures and problems of translation.D.Frame.p 76

(49) Egypt Canaan and Israel in Ancient Times.Donald Redford.p.111

(50)Pablo Neruda.Selected poems. A bilingual edition,edited by Nathaniel Tarn.Penguin Books 1975.p 74

(51)Ibid p.75

(٥٢) مقدمة في علم الإستغراب د.ح.ح:

"المادة التي يأتي بها الوعي الأوروبي لذاته كنوع من النقد الذاتي واضعاً نفسه في مرآة نفسه تختلف عن مادة الإستغراب التي يتم فيها رؤية الغرب من منظور اللاغرب، ورؤية الآخرين من منظور الأنا.هذه المادة الثانية مادة أولى و ليست مادة جاهزة، نتيجة لوصف الأنا للآخر و ليس وصف الآخر لنفسه تنقلها الأنا عنه. مادة من جهة الأنا وابداعه و ليست من إفراز الآخر و قينه." و يكتب سيادته في الهامش: "و ذلك في كتابات اشبلنجر و هوسرل و شيلر وبرجسون و توينبي و جارودي و غيرهم من الفلاسفة المعاصرين" ص ٢٢

(53) Alchemy:{ME alkamie, alquemmie,fr.MF or ML;MF

alquemie. fr.ML ,alchymia. fr.(Arabic) alkimia.fr.al+science and speculative philosophy aiming to achieve the transfomation of base metals into gold.} Webster's Seventh New Collegiate Dictionary 1972.

(54)Alchemy,the infant stage of chemistry.{ ar.al-kimia late Gr.chemeia,chymeia,variously explained as the Egyptian art(khemia,the black land = Egypt. From the Egyptian name), the art of chymes (its supposed inventor) ,or the art of pouring (chyma,fluid,cf.cheein, to pour)Chambers Twentiest century Dictionary .Bombay, New Delhi Calcutta, Madras, Bangalore.1972.

(55) Annales .Ibid.p.102

(56) Annales .Ibid..p.11

(٥٧) تاريخ مصر ليوحنا النقوسي. ترجمة: د. ع. ص. عبد الجليل. دار عين. الطبعة الأولى ,١٩٩٩

(58)Egypt, Canaan, and Israel in Ancient.Ibid . p.5

(59)Ibid.p.115

(60) Akhnaten, the Heretic king.Donald Redford.Princeton University.1987 p. 187

(61) The Theories of the Symbol.Tzvetan Todorov . Translated by Catherine Porter.p9

(٦٢) (١٢حكاية عجيبة.جابرييل جارثيا ماكيث. دار سعاد الصباح)

(٦٣) الكتاب المقدس. العهد العتيق. سفر الملوك الثاني. الفصل الحادي عشر. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٦٠ ص ٥٣٤:

. {و كان عند المساء أن قام داود عن سريره و تمشّى على سطح بيت الملك فرأى "عن" السطح امرأة تستحم و كانت المرأة جميلة جداً(٣) فأرسل داود وسأل عن المرأة فقيل له هذه بتشايع بنت أليعام امرأة أوريا الحيثي(٤) فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت عليه فدخل بها و تطهّرت من نجاستها.}

(٦٤) الكلمات العربية المستعملة في اللغة الفارسية. تأليف: حسين محقق. الكويت ١٩٨٠:

" وهناك أيضاً ثمانية حروف لا تُستعمل في الفارسية وهي:

ث، ح، ص، ض، ط، ظ، ع، ق."

(65) Britannica.V.16.p.939.

(٦٦) كافة الترجمات الشعرية هنا منقولة من جانبي عن كتاب: "فن الترجمة" لـ د. محمد محمد عناني. الطبعة الثانية. الشركة المصرية العالمية للنشر"لونجمان".

(٦٧) سونيتات شكسبير الكاملة مع النص الإنجليزي. ترجمة: بدر توفيق. أخبار اليوم.الطبعة الأولى ١٩٨٨

(٦٨) المرجع السابق ص ١٣، ١٤

(٦٩) ديوان أبونواس. دار صادر بيروت.

(70) Ibid. Akhnaten.p.25

(٧١) خطط المقريزي ج ١ ص ٥٠

(٧٢) السيرة الحلبية ج ٣ الرايات والمغازي ص ٧

(73) Agypten: Die Welt der Pharaonen . Konemann . 1997" Die Organisation der Koniglichen Verwaltung"p.357

(74)The Sacred Chain, A history of the Jews .Norman Cantor. Harper Perennial.1994.
".Similarly,all the claims for archeological verification of the first millennium of Jewish history as told in the Bible-have eroded . Abraham,Isaac,Moses- if they ever lived, if they were real historical figure,there is no basis for believing so outside the Hebrew Bible itself. Even the famous Exodus from Egypt when the Jews were slaves unto Pharaoh, the liberation

celebrated each Passover- more than one hundred

years of determined and immensely expensive

historical research and archeological quest in the

Nile Delta have not yielded one single shred of

verification to this story that has fired Jewish (and sometimes Christian) imagination through the centuries."p.3

(٧٥) وقد وضعت أمام إحدى الجهات العلمية سؤالاً حول هذه العبارة. فجاءتني ردود عديدة من متخصصين و مهتمين جادين بالحضارة المصرية القديمة، لعل أهمها:

- There is a statuette in the Egyptian Museum of Akhnaten with a woman or girl sitting on his knee.They are kissing and she is stroking his forearm. I have seen it described as an example of paternal affection or as an erotic statue(particularly because of the stroking gesture) in which case it could be described as Akhnaten dandling Nefertiti or Kiya on his knee. Chris Bennett.

- " In regard to the term "dandle",perhaps poetic license rather than misprint is the best term for Redford's use of the word in connection with the broken relief now in the Louvre(Aldred, Akhnaten and Nefertiti, Brooklyn,1973, No.56&fig 53.) to which Redford apparently refers.The word "dandle" is generally defined as "to move lightly up and down. As on one's knee" WebsterUnabridged,1994.(Since in this relief Akhnaten appears to have his lap full of Nefertiti and his daughters, that use of "dandle" may have been difficult." George B. Johnson.Archaeology Dept. Hocking College

- ".The only picture that I have seen that even comes close is Nefertiti sitting on Ahknaten's lap.She would have been too big to "dandle".References: Royal Women of Amarna page 102,103,106(closeup).Terri Weekely

و لعل أهم ما نستطيع الإطمئنان إليه في هذا الصدد أن فعل " "dandleيتعذر أن يحظى بتترجيم أوفق و لا أفصح من الفعل "هشّك" الذي تعرفه اللغةالمصري الحديثة، لغة "المشتومين" كيلا نقول "المنبوذين" أي الأميين المصريين، ولو أنه يقبل أيضاً أي إلى جانب ذلك، تترجيمه إلى "ربّت".

(٧٦) مجلة القاهرة عدد ١٦٥ سنة ١٩٩٦

فهرس

استفتاح ٧

الفصل الأول ١١

الفصل الثانى ٢١

الفصل الثالث ٣٧

الفصل الرابع ٤٥

الفصل الخامس ٧١

الفصل السادس ٩٩

الفصل السابع ١٣٥

ختام ١٦٣

هوامش ومراجع ١٧٢

١٥/ ٥٩٤٨

رقم الايداع ١٣١٧٧ /٢٠٠١

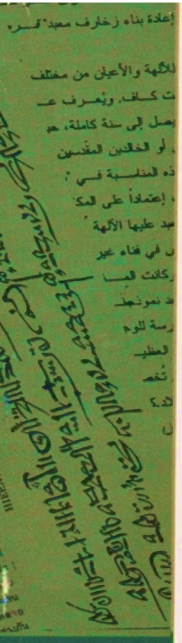

هذا الكتاب

وبناء عليه فإن المعنى الصحيح لكلمة ما قد لا يكون مكتوباً إلا على صفحة الهواء، أى بين طبعتين لقاموس واحد وبعبارة أخرى، مرصودا فى حركته. ولو اتيح للعروبيين الإعتراف، أبعد من مستوى الشفتين، بالتغيير فى المجال اللغوى، لعرفوا أن كلمة «جز»، وإن كانت تعنى فى وقت ما «قطع» إلا أن إستخداماتها اللاحقة حورت هذا المعنى قليلاً باتجاه تخصيصه. فعهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على سبيل المثال يفرض على أهل الكتاب أن «يجزوا نواصيهم» أى يقصوا «لا يقطعوا» شعر مقدم الرأس. ولقد تابع الفعل ميله إلى التخصص الذى بدأه منذ وقت طويل حتى أصبح فى لغة الحياة اليومية مقصوراً على قص الشعر. وهكذا صارت عبارة مثل «المجزوزة الرأس» توحى بـ «المقصوصة أو المحلوقة الشعر». وبطبيعة الحال واصل هذا الفعل، مثلما تفعل افعال أخرى عديدة استقلالها سواء بالتخصيص أو التعميم، دون استئذان من أحد، سواء أكان خالداً أم فانياً، حتى صار يدل على جز شعر والأدق صوف الحيوانات وحسب مثل الغنم.